الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

كلية أصول الدين — قسم الكتاب والسنة

آراء محمد أركون في التفسير
دراسة نقدية

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الاتجاهات المعاصرة في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:
بولعراس منصوري

إشراف الأستاذ الدكتور :
رابـــح دوب

لجنة المناقشة

سعيد عليوان	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيساً
رابـــح دوب	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفاً ومقرراً
عبد الرحمان معاشي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية : 1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال عز وجل:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ ﴾

سورة النساء الآية 58

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــــــداء

الإهداء

إلى . .

الرسول الكريم محمد ﷺ .

والديّ العزيزين . . اللذين برضاهما أنال

رضى الله ﷻ .

زوجتي . . وأبنائي .

كل المخلصين الذين يرمون للإصلاح خدمة

للإسلام والبشرية ودفعا للجهل .

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شـــكـــــر وعـــرفـــــان

أتقدّم بالشّكر الجزيل والامتنان العميق إلى من أتشرّف أن أكون واحداً من طلبته ، ألا وهو الأستاذ الدكتور : **رابح دوب** على ما قدّمه لي طيلة المرحلة النّظرية وكذا خلال فترة إنجازي لهذه الرّسالة بعد تكرّمه وقَبوله الإشراف عليّ . حيث فتح لي أبواب مكتبته ، وخصص لي من وقته النّفيس ما ساعدني على إتمام هذا العمل ، إضافة إلى صبره عليّ ، فكان لي نعم القدوة خُلقا وعلماً ، فاستفدت منهما أيّما استفادة ، فجزاه الله عني كل خير .

ما بقي من محمد أركون

– فالقرآن ليس بحاجة إلى تبجيل لكي يفرض غناه وعظمته . القرآن من التفسير الموروث إلى الخطاب الديني ص 124 .

– على الرغم من أن أبحاثي تتركز بشكل مباشر على حالة الجزائر بسبب أصولي وولادتي ، إلا أن انتشارها هناك هو الأضعف والأقل . نحو تاريخٍ مقارَن للأديان التوحيدية ص 383 .

– لم أتخلَّ أبداً عن ثقافتي الأصلية ، و لم أقطع الجسور مع مجتمعي وبيئتي الأصلية ، على العكس ؛ لقد حاولت وأنا في الغُربة أن آخذ المسؤولية كاملة على عاتقي . الفكر الإسلامي نقد واجتها 267 .

مقـــدمـة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله عدد ورق الأشجار، وعدد مكاييل البحار، والصلاة والسلام على نبيه سيد الأطهار، وآله وصحبه ، عدد ما أظلم عليه ليل وأشرق عليه نهار ، وبعد :

لقد عني المسلمون بـ قرآن الكريم عناية كبيرة : حفظا ، وجمعا ، وتدوينا ، تفسيرا ، واستنباطا ، وفقها وذلك لأنـ دستور الأمة ، و المصدر الا وّل من مصادر التشريع الإسلامي ، من أجل ذلك تفانى العلماء منذ عصر الرسول ﷺ ، في حفظ ، والتفقه فيه ، والعمل بأحكامه ، ثم جاء التابعون وتابعوهم وسارو على طريق من سبقهم في خدمة كتاب الله ﷻ ، كثرت التفاسير ، ونمت معها الأدوات التي بها يفهم كلام الله ﷻ ، عصرا بعد عصر كثرت اليوم الدعوات وتعالت الأصوات إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم ، كان من أولئك المعاصرين الذين حاولوا فهم كتاب الله ﷻ وفق أسس المناهج الغربية الجديدة الدكتور محمد أركون .

1 - طرح وضوع :

من هنا وقع اختياري لهذه دراسة في محاولة لوضع لبنة في هذا الصرح العظيم " التفسير وعلومه " الذي تعاقبت عليه جهود العلماء قديما وحديثا ، وسأقوم في هذا البحث بمحاولة لكشف عن آراء محمد أركون في تفسيره لكتاب الله تعالى مطبقا في قراءته له المناهج الحديثة ، مبرزا النتائج التي توصل إليها وقد عنونته بـ

" آراء محمد أركون في التفسير - دراسة نقدية - "

2 - الإشكالية :

من خلال عنوان البحث سوف أركز على الإشكالية التالية : هل آراء محمد أركون تعد نوعا من التفسير ؟ و ماهي المناهج التي طبقها في هذه الدراسة ؟ ما هو الجديد الذي اكتشفه أثناء قراءته ؟ وهل تعرضه للسور والآيات كان إنتقائيا أم عرضيا ؟

هذا ما سوف أكشفه وأجيب عليه خلال رحلتي في ثنايا هذا البحث - إن شاء الله - .

3 - الدراسات السابقة :

معظم هذه الدراسات كان أصحابها في اختصاص الفلسفة ، باستثناء باحث واحد كان تخصصه عقيدة ، وبالتالي كل باحث سوف تفرض عليه نزعته التخصصية ، بأن يتكلم من ـ لاله على إنتاج أركون الغزير ، وممن كتب بحثه على فكر أركون

أ الخطاب الديني عند محمد أركون من خلال مشروعه الفكري ، أطروحة **دكتورا** للباحثة الطاوس غضابنة .

فمن خلال إطلاعي على هذه الأطروحة الخطاب الديني (القرآن والحديث) ، كانت الإشارة فيها إلى مقصود أركون من المعنى العام للدين ، و بصفة خاصة الأديان التوحيدية . كما ركزت الباحثة كذلك على الفروق بين المصطلحات الغربية والمصطلحات العربية ، فالأطروحة تتناول مشروع أركون من حيث المناهج الغربية وهدفه من محاولة تطبيقها ، وبالتالي تختلف في هدفها على ما أريد البحث فيه وهو تناول إسقاطات أركون على القرآن الكريم فقط .

ب - المرجعية الفكرية لمشروع محمد أركون ، أطروحة **دكتوراه** للباحث فارح مسرحي جامعة باتنة .

بداية استعرض الباحث محاور عمله ، منطلقا من تحديد إشكالية البحث التي دارت حول التساؤل التالي : ما هي المصادر الفكرية الأساسية التي يستمد منها أركون مختلف المفاهيم والمناهج التي وظفها في أعماله ودراساته ؟ وما مدى مشروعية وفعالية هذه المرجعية ؟ هل جعلت من المفكر محمد أركون مبدعا أم تابعا ؟ وإلى أي حد يمكن الإفادة منها وتطبيقها في قراءتنا للواقع العربي الإسلامي ؟ وقد أجاب الباحث على هذه الإشكالية ، من خلال أربعة فصول ، خصص الفصل الأول منها للمرجعية الإسلامية لأ ون ، مبرزا تأثير المعتزلة وخاصة ما تعلق بمسألة خلق القرآن ، وأبو حيان التوحيدي في مفهومه للأنسنة ، وابن رشد كرائد للعقلانية الإسلامية . أما الفصل الثاني فقد خصصه للمرجعية الغربية عامة ، والفرنسية على وجه الخصوص . أما الفصل الثالث فقد خصصه الباحث لإبداعات أركون ضمن نظرية الإسلاميات التطبيقية ، التي رام من ورائها بلوغ الحداثة ، بما هي عقلنة وتحرير من الدغمائية والاستبداد .

وأخيرا الفصل الرابع الذي كان بمثابة الرؤية النقدية للمشروع الأركوني . وبالتالي تختلف في هدفها على ما أريد البحث فيه .

ج أطروحة **دكتوراه** للباحثة الألمانية المتخصصة في الدراسات الإسلامية أرزولا غونتر بعنوان " محمد أركون ناقد معاصر للعقل الإسلامي . (طبعت في كتاب دار النشر إيرغود 2004 م .

لقد أوضحت المؤلفة في كتابها بأن اختيارها لعنوان الكتاب يعتمد على البؤرة المركزية في فكر أركون وهي نقد العقل الإسلامي والتي تجلت في كل كتبه وأحاديثه ، حيث جاء مخطط كتابها : الباب الأوّل : يتناول سيرة حياة محمد أركون ، الباب الثاني : قضايا وتصورات نظرية (مصطلحات ومقدمات لنقد العقل الإسلامي) ، الباب الثالث : دوافع من أجل البحوث

الإسلامية ، الباب الرابع : أصوات لمحمد أركون (أصداء فكرة في الأوساط المغاربية ، الباب الخامس : تعريف تحليلي (مؤلفات أركون ومقالاته الأساسية .

د – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ، رسالة **ماجستير** في الفلسفة للباحث عبد الغني بن علي ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 2004 / 2005 م . فهو موضوع إبستمولوجي ، يعرض النقد كما فهمه وطبقه محمد أركون على الفكر الإسلامي مبرزا أهميته ومكانته في الفكر بشكل عام .

هـ منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي ، دراسة تحليلية نقدية ، رسالة **ماجستير في العقيدة** ، الباحث عبد الله بن محمد المالكي 1431 هـ .

تناول الباحث ترجمة أركون ثم تطرق إلى فكره ومناهج النقد التي طبقها على التراث ، وخطورة مشروعه على المسلمين . وبالتالي اعتقد أن هذه الدراسة حسب إطلاعي عليها تختلف في هدفها على ما أريد البحث فيه .

و الأسطورة والمعرفة في فكر محمد أركون ، رسالة **ماجستير** ، للباحث أحمد إبراهيم الفارس ، جامعة الأردن 2000 م . هذه الرسالة ولا يوجد أدل عليها من عنوانها أنها تختلف تماماً على ما أصبوا إليه في رسالة .

ز العلمانية في فكر محمد أركون ، رسالة **ماجستير** ، للباحث فيصل عثمان إسماعيل وزوز ، الجامعة الأردنية 1996 م . وكذا هذه الرسالة ولا يوجد أدل عليها من عنوانها ، فلها علاقة بالجانب الإيديولوجي ، ولا علاقة لها بالتفسير .

ح النص الديني وإشكالية القراءة في الفكر العربي المعاصر " محمد أركون نموذجا " رسالة ماجستير ، للباحث سليمان العبّار ، جامعة دمشق 2004 لم أقف على مضمون هذه الرسالة ، رغم بذل قصارى جهدي في ذلك .

ط - القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية إشكالية النص عند محمد أركون ، أطروحة دكتوراه للباحث الحسن العباقي (طبعت في كتاب الطبعة الأولى عام 2009 م . وكذا هذه الأطروحة لم أقف على مضمونها ، رغم بذل قصارى جهدي .

4 - أسباب اختيار الموضوع :

لقد دفعتني إلى اختيار هذ الموضوع والرغبة في إنجاز أسباب أذكر منها مايلي :

أ كون موضوع البحث متعلقا بآيات القرآن الكريم ، وشرف البحث بشرف موضوعه ؛ ولاشك أن شرف كتاب الله ﷻ عظيم .

ب- مكانة محمد أركون بين المفكرين والفلاسفة المعاصرين ، وما وقع في شأنه من تباين في الآرا .

ـ – الوقوف على مثل هذه القراءات يفيد طالب العلـ في أخذ الأدب عن أهل العلـ في طريقة ردودهم وانتقاد بعضهم لبعض ؛ وبذلهـ في كل ذلك النصيحـ لله ﷻ ولرسوله ﷺ .

د محاولة تحديد مفهوم المناهج الحديثة تحديدا دقيقا ، وضبط المصطلحات المستخدمة ومآلاتها .

هـ اندراج هذا البحث ضمن نطاق تخصصي في الدراسات العليا ، وهـ الاتجاهات المعاصرة في التفسير وعلوم القرآن ؛ وكونه يتناول شخصية معاصرة - محمد أركون – ، ويبرز موقفها من قضية تفسير القرآن الكريم ، وكيف يجب أن يُفهم ؟

ا – المنهـــج :

موضوع بحثي يخدمه أربعة مناهج علميا وهي :

أ – المنهج الاستقرائي : والذي سيساعدني في تتبع المواضع التي تناول فيها محمد أركون السور كاملة ، أو الآيات المتفرقة في كتبه الكثير .

ب – المنهج الوصفي : والذي سأستخدم في تحليل المناهج والمصطلحات محل الدراسة .

ج – المنهج النقدي : حيث أقوم بمناقشة تلك الآراء ونقدها ، وذلك بعرضها على الأصول العلمية لشروط التفسير ، وقواعد المفسرين ؛ للوصول إلى مدى صِحَّتها أو خطئها .

د – المنهج التحليلي : وذلك بتحليل تلك الآراء المستخرجة من كتب أركون ، ومحاولة إيضاح مراده ، وشرح غامضها ، وبيان مقاصده في تلك الآراء قدر المستطا .

ا – الخـــطـــة

بالنظ في المادة العلمية المجمّعة قد وجدت في كتابات أركون سبع (٧) سور مفسرة كاملة ، ومقتطفات وانتقاءت في ثمان وثلاثين (38) سورة مما استطعت التوصل إليه وجمعه ، وقد أدهشتني كثرة هذه المادة ، وبالتمعر في إشكاليات هذه الدراسة التي أهدف إلى الإجابة عنها ؛ اقتضى الحال أن أقسم هذا البحث إلى مقدمة ، فصل تمهيدي : يتضمن مبحثاً أوّلاً : أعرض فيه السيرة الذاتية والعلمية لمحمد أركون ثم مبحثاً ثانياً : يتضمن المناهج النقدية والمصطلحات التي أعتمدها في قراءته .

الفصل الأوّل : القراءة الحداثية للسور المنتقاة ويتضمن مبحثان ؛ المبحث الأول : وفيه أتطرق إلى القراءة الحداثية للسور المكية . أما المبحث الثاني : فيتناول القراءة الحداثية للسور المدنية .

الفصل الثاني : القراءة الحداثية للآيات المنتقاة ويتضمن مبحثان ؛ المبحث الأول : وفيه أتطرق إلى القراءة الحداثية للسور التي تناول منها سبع (٧) آيات فما أكثر . أما المبحث الثاني : فيتناول القراءة الحداثية للسور التي تناول منها أقل من سبع (٧) آيات . وخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها مع التوصيات .

7 - الأهـــداف :

· الرغبة في الإطلاع على أعمال محمد أركون كاملة وفهم طريقة في تطبيق المناهج الحديثة ، ومن ثمّ معرفة النتائج المتوصل إليها (إيجابا أو سلبا) .

جمع الآراء المبثوثة والمتناثرة في الكتب لمحمد أركون في التفسير في سفر واحد ، حتى يَسهل على طالب العلم المتخصص في التفسير خاصة والعلوم الإسلامية عموما اقتنائها بيسر وسهولة .

- خدمة البحث العلمي ؛ لأن " آراء محمد أركون في التفسير في حدود ما أعلم أنا لم تتناول أعمال أركون من هذه الناحية ، فأرجوا إن لم أكن من بين المساهمين في إضافة لبنة إلى صرح بحثنا العلمي في جامعاتنا فحسبي أن أكون من الملفتين له .

- محاولة التوصل إلى أحكام موضوعية فيما كتبه المفكر أركون والتزامي الحيادية ؛ وخاصة أننا نجده يشكو من عدم إنصافه من قارئ ، فيقول في هذا الشأن في كتابه " قضايا في نقد العقل الديني ، وكيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 5 - على سبيل المثال : " أشعر بقلق أكبر عندما أتذكر سوء التفاهمات التي دفعت عددا كبيرا من القراء العرب إلى توجيه القول الباطل ، والتأويل الخاطئ ، والهجوم اللاذع ، ضد ما كتبت ونشرت ، للأسف فهم لم يقرؤوا بإمعان ولم يجتهدوا حق الاجتهاد لإدراك ما قصدته وفهم ما عبرت عنه بمصطلحات تدفع دائما إلى التوسع في البحث والتثبت في التفسير والتأويل " .

- خدمة التراث الجزائري خصوصا والإسلامي عموما ، لأن من أهداف هذه الدراسة خدمة كتاب الله الكريم ، والذود عنه .

8 - الصعوبات :

واجهتني في طريق البحث بعضُ الصعوبات أجمل ذكرها في الآتي :

- الصعوبة البالغة في تتبع آراء محمد أركون في التفسير في عشرين كتاباً من مؤلفاته .
- تناثر المادة العلمية وتفرقها في ثنايا كتبه الكثيرة ، مما يصعب جمعها .

- إضافة إلى ذاك التناثر في المادة العلمية المقصودة بالبحث والتحليل ؛ صعوبة الوقوف على رأي محمد أركون الدقيق والحقيقي في حكمه على عدة قضايا .

- الأسلوب الصعب في كتابات أركون ، وتناثر المادة - كما ذكرت آنفاً - أرهقني كثيراً في تتبعه .

- توسعه في شرح المناهج ، ونشأتها ، ومناقشة أصحابها ، فمثلا يشير في قراءته إلى آية ما ، ثم ينتقل بك عبر صفحات كثيرة ، وهو يتكلم على المناهج أو التاريخ . وأحيانا لا يكمل قراءته للآية ، بدعوى عدم معرفة سياقها الأول الذي نزلت فيه .

- وكما هي عادة أركون في دراساته ، فإنه من الصعب أن تظفر معه بجواب نهائي للمشكلة المطروحة .

- كما واجدت صعوبة في الموازنة بين فصول البحث ، وذلك راجعٌ لطبيعة الموضوع .

وفي الأخير أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور **رابـــح دوب** - أمد الله في عمره - الذي كان لي منارًا اهتدي به في أي وقت أشاء ، فقد فتح لي أبواب العلم ومنابع المعرفة أرِدُ من نبعها الصافي ، ومُنحت فرصة التعبير عن الرأي واحترام رأي الآخرين ، ليشتد عودي ، وتقوى مداركي ، و لم يترك مسألة في هذه الرسالة إلا أطلع عليها ووجهني فيها .

ثم لا يسعني إلا أن أتوجه بامتناني البالغ إلى أساتذتي في المرحلة النظرية بقسم الكتاب والسنة كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة .

وأخيراً لا أدعي فيما كتبته الكمال ، ولا السلامة من زلات البيان ، فإن كنت من المقصرين فقد يستصوب للمرء اجتهاده ، وليعذر في تقصيره وخطئه والحمد لله رب العالمين .

الفصل التمهيدي
أركون وتطبيقاته المنهجية

المبحث الأوّل :
السيرة الذاتية والعلمية لمحمد أركون

المبحث الثاني :
مناهج النقد عند أركون ومصطلحاته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : السيرة الذاتية والعلمية لمحمد أركون

أوّلاً : السيرة الذاتية

عندما بدأت في تجميع المصادر والمراجع التي تكلمت عن المفكر الجزائري محمد أركون ، وجدت أن هناك تداخلاً بين السيرة الذاتية له مع السيرة العلمية ، إلى درجة أنه يصعب الفصل بينهما . كذلك وجدت تبايناً في بعض الأحداث رُغم أنه من المفكرين المعاصرين لنا ، أي أن الاتفاق على سيرته أقرب من الاختلاف عليها .

كما أن أركون في كتبه وحواراته نادرًا ما يتحدث عن سيرته الذاتية ، حيث توجد مقالة وحيدة له عن سيرته الشخصية ، وربما كانت الغلبة فيها للجانب الأنثروبولوج ي . وقد ظهرت أوّل مرة في كتاب جماعي بعنوان : " الأدب والظاهرة الشفهية في المغرب الكبير . تحية إلى مولود معمري " . وعنوان المقالة هو : " مع مولود معمري في توريرت ميمون من الثقافة الشفهية إلى الثقافة العالمة " . وهي المقالة التي ظهرت من جديد في كتابه « Humanisme et islam combats et propositions » الصادر سنة 2005 .

ولد محمد أركون في فيفري 928 م [2] (أي : يوافق السنة الهجرية تقريبا 346 [3]) بقرية وريرت ميمون [4] ، وهي قرية معلقة على سفح جبل جرجرة في منطقة القبائل الكبرى (تيزي وزو) ، بالجزائر ، وهو من أسرة بسيطة تقطن أسفل القرية ، لأن موقع البيت يشير إلى هرمية نازلة ترتبط بالتاريخ وبمكانة العائلة ، وتشير الذاكرة الشفهية لعائلته ، أنها تركت ناحية قسنطينة لطلب الحماية في دوار بني يني . وتشكل قرية توريرت ميمون إلى جانب ست قرى أخرى دوار بني يني ، وهي نفسها قرية مولود معمري [5] .

---

1 – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ، مصطفى كيحل ، الطبعة الأولى 432 هـ – 2011 م ، منشورات الاختلاف – الجزائر ص 23 بتصرف .

2 – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ، عبد الغني بن علي ؛ رسالة ماجستير ، المشرف الدكتور عبد الرحمن بوقاف ، جامعة الجزائر قسم الفلسفة ، السنة الجامعية 2004 / 2005 م ص 27 .

3 – هذا التاريخ الهجري مستنتج من القاعدة الفلكية الدقيقة : هـ $= \frac{33}{32}(م - 622)$.

4 – جاء في كتاب الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 23 ، اسم القرية توريرت ميمون واعتقد أن الصحيح تاوريرت .

5 – المرجع نفسه ص 23 .

وهو الابن البكر عند أبيه ، تتكون أسرته من أربع بنات وثمانية أطفال [6] . وفي هذه القرية قضى طفولته [7] ومراهقته ، وبدأ يتعلم اللغة الفرنسية وعمره سبع سنوات في المدرسة الابتدائية .

ويذكر أركون أنه ظل لا يعرف إلا اللغة الفرنسية واللغة الأمازيغية ، و لم يتعلم العربية إلا بعد خروجه من منطقة القبائل والتحاقه بمدينة وهران في الغرب الجزائري [8] ، (وبالضبط كما ذكرها أركون في قرية عين العربة وكانت تقع في عين تموشنت التابعة لوهران [10] . وكان ذلك في سن التاسعة من عمره [11] ، اشتغل أبوه خضاراً أثناء الفترة الاستعمارية ، حيث كانت الوضعية الاقتصادية للسكان الأصليين متدهورة جداً ، ومنه عاش أركون تجربة الحرمان والفقر من جانب ، والسُّخرية ثانياً من طرف أصدقائه في تسلّيهم بعنقه المحمر من لسع البق والبراغيث بسبب نومه على الحصير ، مما ترك آثاراً نفسية كبيرة عنده لرفع التَّحدي بتحسين صورته [1] .

كما نلاحظ أن من إرهاصات هذه المرحلة بدء القلق الفكري على شخصية أركون ؛ بسبب اكتشافه للتنوع الثقافي الموجود في الغرب الجزائري ، فأركون يتذكرها قائلاً : عندما خرجت من المنطقة القبائلية لألتحق بالمدرسة الثانوية في وهران بدأت تجربة المثاقفة المزدوجة والمواجهة الثقافية كان عليّ من جهة أن أتعلم العربية وأكتشف المجتمع الناطق بالعربية وليس بالبربرية ، ومن جهة ثانية كان عليّ أن أكتشف المجتمع الفرنسي المستعمر [2] .

وخلال سن الثانية عشر من عمره تعلم القرآن في مدرسة قرآنية أنشأها عمه . بدأ دراسته الابتدائية بمدرسة فرنسية نظراً لعدم وجود مدارس عربية ، ونال الابتدائية ثُم الإعدادية ؛ عاش من خلالها التأثيرات الثقافية الفرنسية ، فدرس في هذه المراحل اللاتينية في الصفوف : السادس ، السّابع ، التاسع ؛ من خلال نصوص ، فرجيل ، شيشرون تيرتوليان والقديس سيبريان ، أمّـــ [13]

---

[5] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 27 .

[7] – المرجع نفسه ص 23 .

[8] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 23 - 24 .

[9] – المرجع نفسه ص 23 .

[10] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ؛ محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، الطبعة الأوّلى 2011 م ، دار الساقي بيروت ، ص 49 .

[11] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 27 ؛ بتصرف .

[12] – العقل الإسلامي أمام تراث الأنوار في الغرب – الجهود الفلسفية عند محمد أركون ، رون هاليير ، ترجمة جمال شحيد ، الطبعة الأوّلى 2001 م ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع 167 .

[13] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 27 - 28 ؛ بتصرف .

فيما يخص تأثره بالتاريخ الفرنسي فكان من خلال برنامج التَّاريخ المقرَّر زمن الجمهورية الثالثة بالضبط الثورة الفرنسية [4] . ومنذ ذلك الحين بدأ يعيش الصدمة المريرة بسبب تشربه لثقافة أخرى غير ثقافته الأصلية . وكذلك محاولة الاندماج والتواصل ثقافيا مع الجزائريين الناطقين باللغة العربية ، هذه الصدمة العنيفة تركت له أثارها النفسية والفكرية ممّا ولّد فيه النزعة النقدية وعدم تقبل أي شيء بسهولة ، مع هذا يعترف أركون أن هذه المرحلة التي مرّ بها لم تكن خاصة به فقط ، بل هناك العديد من إخوانه الجزائريين الذين يتقاسمون معه هذه المشكل ، فهو يروي لنا : في سنّ الثالثة عشرة ترتّب علي أن أواجه صدمتين ثقافيتين في صباي . وقد تركتا أثرهما لأنني خضت صراعاً لأتمكّن من التأقلم مع هذا الوضع . و لم يكن بوسع أحد أن يساعدني لا أبي ولا أمي ولا الجوار ، كنت وحيداً مثل كثيرين من الجزائريين ، لست ظاهرة استثنائية [15] . ثم تابع كذلك تعليمه بالمدرسة الثانوية في وهران ، حيث انتقل بين ثانويتين : " أرديون " و " لاموسيير " ، وفيهما أمضى دراسته الثانوية [6] . وبعد حصوله على البكالوريا بدأت دراسته للأدب العربي أي أثناء المرحلة الجامعية بجامعة الجزائر [7] ، وكان ذلك عام 949 م [8] .

في المرحلة الجامعية يصف لنا أركون واقعها المعيش قائلاً : كان هذا الاستعمار موجودا بقوة داخل الجامعة . وكنا خمسة أو ستة طلاب فقط من أصل جزائري يدرسون اللغة العربية والآداب العربية ، وأما الفرنسيون الذين يدرسون في بقية الكليات الأخرى فكان عددهم بالألوف ، بالطبع كانوا يأنفون من دراسة اللغة العربية ويحاولون منعها والتضييق عليها إلى أكبر حد ممكن [9] .

يبدو أن أركون وهو لا يزال طالبا في جامعة الجزائر غير راضٍ على أساتذته المستشرقين ، فيقول واصفاً لهم : " لأن أساتذتي كانوا هناك في درجة الصفر لم تكن هناك أية أبنية ثقافية . كانت

---

[14] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 27 – 28 . بتصرف .

[15] – العقل الإسلامي أمام تراث الأنوار في الغرب – الجهود الفلسفية عند محمد أركون ص 67 – 168 .

[16] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 24 .

[17] – يُنظر كتاب : النزعة النقدية في فكر محمد أركون . ص 28 .

[18] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 19 .

[9] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 25 .

الصحراء ، لقد تعلمت على يد شخص يشبه هنري بيريس الذي كان مربيا ممتازا ، لقد كان معلما قصير القامة ولا يشعر بأي قلق فكري ولا بأية مشكلة أو نظرة فكرية إلى وضعنا . مع العلم أن الغليان كان قد بدأ مع الحركة الوطنية وأن الحرب ستنشب بعد ذلك بثلاث سنين [20] [21] حيث تحصل سنة 952 م على شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي ، كما تحصل على دبلوم الدراسات العليا حول ' الجانب الإصلاحي في أعمال طه حسين " وكان ذلك أوّل اتصال له بالفكر العربي الحديث ، كما اشتغل في تلك الفترة بالتدريس بثانوية الحراش بالجزائر التي كانت تعرف باسم " ميزون كاريه ' [2] .

ثمَّ تحصل على موافقة مدير الدراسات العربية من أجل السَّفر إلى باريس خلال نوفمبر 1954 م ، لتحضير الأغريغاسيون (التبريز) فحضّرها مع مستشرقين كباراً ريجيس بلاشير ، ليفي بروفنسال ، برونشفيك . لاوست . تحصّل عليها في اختصاص اللغة والأدب العربي في باريس [23] بعدها بدأ التدريس كأستاذ بثانوية " ستراسبورغ " بين عامي (956 . 959) [4] . وفي سنة 957 م سجل أركون بحثا ميدانيا مع جاك بيرك " لدراسة الممارسة الدينية في منطقة القبائل " . ولكن اندلاع الثورة وعمليات ' لاكوست " العسكرية بمنطقة جرجرة نسفت هذا المشروع [5] ، وفي عام 958 م بدأ التحضير لأطروحة الدكتوراة مع جاك بيرك ، وامتثالا لنصيحة أستاذه بلاشير اختار الاشتغال على الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري " مسكويه فيلسوفاً ومؤرخاً) ، كما اشتغل أستاذًا مساعدًا في السربون من 960 م إلى 969 [6] . نال محمد أركون رسالة الدكتوراة بالسوربون سنة 969 م ، عُيِّن بعدها محاضرًا في جامعة ليون الثاني من 969 إلى سنة 977 م ، وقبلها دعاه برونشفيك كأستاذٍ زائرٍ لمدة ستة أشهر في جامعة أُوكلاَ ، بلوس أنجلس سنة 968 م . ثمَّ أستاذ اللغة العربية والحضارة العربية والحضارة الإسلامية في جامعة باريس الثامنة من 972 حتَّى سنة 977 م .. وأستاذ الفلسفة والحضارة الإسلامية بجامعة

---

[20] – العقل الإسلامي أمام تراث الأنوار في الغرب – الجهود الفلسفية عند محمد أركون ص 68 – 69 .

[21] – العقل الإسلامي أمام تراث الأنوار في الغرب – الجهود الفلسفية عند محمد أركون ص 68 - 69 .

[22] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 24 .

[23] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون . ص 28 .

[24] – المرجع نفسه ص 28 .

[25] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 26 .

[26] – المرجع نفسه ص 28 .

السوربون الجديدة (أي باريس الثالثة) ، نال الدُّكتوراة الفخرية رفقة إدوارد سعيد من جامعة إكستر ببريطانيا سنة 2001 م [7] .

الأساتذة الذين تركوا بصماتهم على فكر أركون :

خلال هذه المرحلة تأثر بالدراسات التاريخية لمدرسة الحوليات الفرنسية خاصة لوسيان لوفيفر من خلال كتابيه (دين رابليه) و (قدر مارتن لوثر) . كما تأثر بعلم الاجتماع الدينّي من خلال غابرييل لوبرا الذي أسس علم اجتماع ديني كمي يقوم على استقصاءات الممارسات الدِّينية . كذلك تأثر بكتابات كلود ليفي شتروس البنيوية في الأنثربولوجيا والكتابات الأنثروبولوجية كذلك لجورج بالانديه [8] .

ويقارن أركون بين نشأته ونشأة هاتين الشخصيتين :

الأولى هي شخصية عبد الرحمن بن خلدون . في (732 - 808 هـ / 1332 - 1406 م) . لقد ولد في أوساط الارستقراطية العربية ، وعندما بدأ يتثقّف ويطل العلم وجد مكتبة عربية غنية جداً بالثقافة ، فانفتح لها مثقفاً كبيراً ومفكراً مهماً ... أما أنا يقول أركون : " فقد نشأت في الجزائر إبّان الأربعينات والخمسينات ، و لم أحظ بمثل تلك المكتبة . لقد دَرَست في ثانوية فرنسية علمانية أثناء الجمهورية الفرنسية الثالثة ، وكنت بعيدا عن كل مكتبة عربية ، لقد اختلف الأمر : كان عليّ أن أقاتل وحدي " [29] .

أما الشخصية الثانية هي شخصية " مولود معمري " ابن قريته ، ولكن مولود معمري ينتمي إلى عائلة لها مكانة مرموقة في تاوريرت ميمون ، ويذكر أركون " أن شباب القرية كانوا معجبين بشخصية مولود معمري ، الذي كان مابين 1945 - 1952 المثقف اللامع والأنيق والمحبوب في القرية ، وكان له الحظ أنه درس في باريس وتحصل على شهادة ليسانس في الآداب [30] الكلاسيكية ، وكان أبوه هو أمين القرية ، ويمثل الذاكرة الجماعية للقرية ويحظى بمكانة كبيرة في دوار بني ينى [1] .

---

[27] – المرجع نفسه ص 29 .

[28] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 28 .

[29] – العقل الإسلامي أمام تراث الأنوار في الغرب - الجهود الفلسفية عند محمد أركون ص 168 .

[30] – المرجع نفسه ص 25 .

[31] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 25 .

ويذكر أركون حادثة سوسيو ثقافية كان هو بطلها عاشها في قريته بعد تخرجه سنة 952 م من جامعة الجزائر بشهادة ليسانس في اللغة والآداب العربية ، حيث شعر أنه بالإمكان لأوّل مر[2] أن يعوض عن شعوره بالنقص أمام عائلة معمري في قريته ، لأن التمكن من اللغة العربية يسمح للفرد بفهم مصادر الدين الصحيح ، وتتمثل هذه الحادثة في أنه ألقى محاضرة في " نادي ريفي " حول ظروف المرأة القبائلية ولكن الذي حدث أن أمين القرية ' سلام معمري " وهو والد " مولود معمري " نهره بشكل عنيف لأنه لم يطلب منه الإذن بمخاطبة عرش بني يني ، وأن أركون غير مؤهل لذلك بسبب انتمائه للعائلات الدنيا ، وهو بذلك خرق الهرمية القائمة والذي شفع لأركون هو كون والده معروف بسلوكه القويم . لقد كان لهذه الحادثة أثرا عميقا في شخصية ومسار أركون ، ويفسرها تفسيرا ثقافيا وسوسيولوجيا وانتربولوجيا ، فهي من جهة تدل على تجليات لميكانيزمات ضبط خطاب السلطة والمجتمع في منطقة القبائل ، كما تدل أيضا على بنية العلاقات الاجتماعية بين الصغار والكبار وأساليب تسيير الجامعة لنفسها في غياب الدولة [3] .

يبدو أن أركون لّما كان طالباً كان يعاني من كبت فكري وتعطش معرفي ، فهو لا يزال يتذكر ذلك . و لا تستطيع الطبقات الزمنية المترسبة والمتراكمة فوق بعضها البعض أن تنسيه ذلك ، حيث وصف استماعه لمحاضرة واحدة أعتبرها حادثا شخصية أثرت في ما بعد كثيراً على مساره الفكري ، حيث يقول : فعندما كنت لا أزال طالباً في جامعة الجزائر استمعت إلى محاضرة لمؤسِّس مدرسة الحوليات الفرنسية لوسيان فيفر عن " دين رابليه " . وكانت بمثابة الصاعقة أو الوحي الذي يترل علي . لقد كشفت لي الطريق الذي ينبغي أن أسلكه في ما بعد بعدة سنوات[4] .

كذلك لا يزال متذكراً الأداء الهزيل لجامعة الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي ، وخاصة مادة التاريخ التي بـــرع فيها الأساتذة المستشرقون وهم يتكلمون عن تاريـــخ غيرهم ، مستخدمين منهجيـــة

---

[32] – المرجع نفسه ص 25 .

[33] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 26 .

[34] – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد محمد أركون ؛ ترجمة وتعليق هاشم صالح ؛ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ؛ لا توجد سنة الطبعة ص 247 .

دغمائية تجعل العقل محاطاً بسياج حصين لا تنفلت منه الأفكار القلقة المستكشفة أبداً : لم يكن هناك أي شي في جامعة الجزائر يثير الانتباه أو يفتح الذهن لم يكن حولي أي شي . ولم أسمع أبداً أي درس في التاريخ ، أو في تاريخ الأفكار كما كان يمارسه لوسيان فيفر [5] .

أركون الإنسان :

لما سُئل أركون من طرف تلميذه هاشم صالح ، عن أي الأشخاص ترك بصمته الفكرية ، مما أدي إلى إنارة مساره العلمي ، أجابه قائلا : إن لم يؤثّر عليّ أي مفكر بعينه ... ، أمّا أنا فلم أتأثّر بالأشخاص بقدر ما تأثّرت بالعلوم والمنهجيات . وقد كنت باستمرار أذهب من هذا العلم إلى ذلك ، ومن هذه المنهجية إلى تلك ... اللّهم إلاّ شخصاً واحداً أشعر نحوه بنوع من الضَعْفِ والأسى والمودة الصافية التي لم ينل منها مرُّ السنوات : أبو حيان التوحيدي [6] .

يكتف أركون بذكر هذا التأثر فقط ، بل انفلت منه عقد عواطفه ، وأصبحت تتساقط العاطفة تلوى أختها في تسارع لها غير معهود ، حتى وكأني شعرت بأركون قد تحرج من ظهور ما كان مكبوتاً ومحتفظا به لنفسه دون غيره ، وهو المعروف بصرامته المنهجية ، فأستدرك ذلك بذكر الأسباب التي جَعَلته توأماً له : أبو حيان التوحيدي هو أخي التوأم هو أخي الروحي ، أخي في الفكر . إنّي أحب . أحب هذا الإنسان ، أحب كشخص . لأني أجد فيه صفتين من صفاتي الشخصية :

- زعة التّمرد الفكري : أي رفض كل قسر أو إكراه يمارس على العقل أو الفكر .

ب - ثم رفض كل فصل أو انفصام بين الفكر والسلوك ، أو بين العمل الفكري والمسار الأخلاقي العملي [37] .

ويضيف أركون من أسبابه الموضوعية ، متستراً بها كلما زاد في إظهار عاطفته اتجاه التوحيدي : وشاءت الصدفة أن يكون عربياً مسلماً ، بل ومسلماً كبير . وكل ذلك قوّى من علاقتي به أكثر . يُضاف إلى ذلك أنّه اُضطهد في حياته . وعانى مثلما عانيت أنا [38] .

---

[35] - المصدر نفسه ص 247 .

[36] - الفكر الإسلامي - نقد واجتها ص 249 .

[37] - المصدر نفسه ص 205 .

[38] - المصدر نفسه ص 250 .

ول هاشم صاـ : " هنا راح أركون يتحدّث عن علاقته بالتوحيدي بطريقة أدهشتي . فلأوّل مر يكشف عن مكنون عواطفه بهذا الشكل ، هو المشهور بتوازنه الشديد وعقلانيته الصارم . وفي بعض اللحظات راحت نبرات صوتّه تتهدّج وهو يستعرض علاقته الفكرية الحميمة " بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدبا ' [39]

كما نجده أيضاً ، معترفاً بشخصيته المتحفّظة ، وربما يعود ذلك لنزعته الأكاديمية ، ومنهجيته الصا ـ التي تكون قد ألجمت ولو قليلاً عواطفـــه :

في الواقع ، إني لا أعبّر عن ذاتي العميقة مر خلال أسلوبي ، فطبيعتي الشخصية متحفّظة عموماً وهذا ينعكس على علاقاتي مع الناس كما أنّي لا أدعها ترشح بما أقولها وإنما ألجمه ... ولا ريب في أن النزعة الأكاديمية قد أساءت المجال تضطر المر لضبط لغته أو لجمه وعدم تركه على سجيته [0] .

ثانياً : السيرة العلمية

العمل النقدي لأركو :

كان له أوّل مقال عاه 960 م كنقد لكتاب الإسلام الحديث ، لفون غرونبوم في مجلة " أرابيكا " المتخصصة بالدراسات العربية الشرقية [1] .

نشاطاته الفكري :

ألقى دروساً ومحاضرات في أشهر الجامعات العالمية من جنوب إفريقيا والعالم العربي وأوربا وآسي وأمريكا [2] .

وقد أجرى الكثير من الحوارات واللقاءات ولعل أبرز هذ المجلات كالتالي :

- مجلة الفكر العربي المعاصر ، الصادر عن معهد الإنماء العربي ببيروت .
- مجلة المستقبل العربي ، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربي .
- مجلة عالم الفكر ، الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت .
- مجلة فكر ونقد تصد في المغرب ويشرف عليها الدكتور محمد عابد الجابري .

---

[39] – المصدر نفسه ص 250 .

[40] – الفكر الإسلامي – نقد واجتها ص 252 .

[41] – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 28 .

[42] – المرجع نفسه ، ص 29

، – مجلة مدارات فلسفية ، الصادر عن الجمعية الفلسفية المغربية [3] .

مـــؤلفـــاته :

أنجز الكثير من الأعمال العلمية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية . وقد ترجمت إلى العديد من اللغات ، نذكر منها :

. – الفكر العربي ترجمة عادل العوا ، دار عويدات بيروت .

2 – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ترجمة هاشم صالح مركز الإنماء القومي - بيروت .

3 – الإسلام والأخلاق والسياسة : ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي - بيروت .

4 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي - بيروت .

5 – الإسلام ، أوروبا ، الغرب ترجمة هاشم صالح دار الساقي - بيروت .

6 – الفكر الإسلامي قراءة علمية : ترجمة هاشم صالح ، مركز الإتحاد القومي ، و المركز الثقافي العربي : بيروت .

7 – نافذة على الإسلام ، ترجمة صيّاح الجهيّم ، دار عطية للنشر .

8 – العلمنة والدين الإسلام ، المسيحية ، الغرب ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت .

9 – النزعة الإنسانية والعقلانية العربية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : – عنوان أطروحته للدكتوراه – : ترجمة هاشم صالح دار الساقي - بيروت .

10 - نقد العقل الديني الإسلامي ، ترجمة صالح هاشم مركز الإتحاد القومي ، و المركز الثقافي العربي : بيروت .

1 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ترجمة هاشم صالح دار الساقي بيروت .

2 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت .

3 – معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية : ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت .

4 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد : ترجمة هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر .

---

[43] – منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي – دراسة تحليلية نقدية – رسالة ماجستير ، الطالب عبد الله بن محمد المالكي ، الأستاذ المشرف عبد الله بن محمد القرني ، جامعة أم القرى قسم العقيدة ص أ – ك .

5 – تاريخ الإسلا والمسلمين في فرنسا منذ العصور الوسطى وحتى يومنا هذا ؛ منشورات ألبان ميشال أركون مع مجموعة من باحثير .

6 – الإسلام بين الأمس والغد ، محمد أركون و لوي غارديه ، ترجمة علي المقلّد ، الناشر دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

7 – كتاب - من منهاتن إلى بغداد " ما وراء الخير والشر " ؛ محمد أركون و جوزيف مايلا ، ترجمة عقيل الشيخ حسين .

8 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ؛ ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت .

9 – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ؛ محمد أركون ؛ ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ؛ 2011 م ، هذا الكتاب صدر بعد وفاة محمد أركون ، الذي توفي في 4 من سبتمبر 2010 م ، مع أن هذا الكتاب أولاه أركون أهمية كبرى ، وكأنه يريد أن يسابق الزمن ، يقول هاشم صالح في مقدمة هذا الكتاب الصفحة رقم 7 كان ينبغي لهذا الكتاب أن يصدر في حياته ، وهو الكتاب الوحيد الذي أصرَّ على مراجعته شخصياً قبل الدخول إلى المستشفى . وقد فاجأني بذلك . و كان ينتظر صدوره بفارغ الصبر ، لكنَّ القدر شاء له ولنا مصيراً آخر ...

وما نلاحظه حول مؤلفات أركون هو أن كتبه تضم جملة من الأبحاث ذات طابع مختلف . يهدف من خلالها خدمة مشروعه حيث نجده يطرح عدة إشكاليات في مجال التاريخ ، والفلسفة ، والسياسة ، وعلم أصول الفقه ... الخ ، متوسلاً بأحدث المناهج المبتكرة حتى وإن لم تكتمل ؛ في سبيل نقد التراث وتنقيته بعد غربلته على حد زعمه .

فهي تأخذ الطابع الثنائي :

مثل كتاب من منهاتن إلى بغداد – ما وراء الخير والشر " ، محمد أركون و جوزيف مايلا ، ترجمة عقيل الشيخ حسين ، الطبعة الأوّل ، دار الساقي 2008 م .

كما في كتابه ' الإسلام – الأخلاق والسياسة " الصادر عن منظمة اليونسكو سنة 1986 م . أو كتابه " الإسلام الأمس والغد " مع لوي غارديه .

تاريخ الإسلام والمسلمين في فرنسا منذ العصور الوسطى وحتى يومنا هذا ، منشورات ألبان ميشال 2006 م ، أركون مع مجموعة باحثين .

أو تأخذ الطابع الحواري :

على شكل كتب حوارية ، أي أسئلة تطرح على أركون وهو يجيب كما في كتابه " الفكر الإسلامي : نقد واجتهاد " أو كتابه ' الإسلام . أوربا ، الغرب " .. الخ . وبشكل عام فإن كتبه هي عبـــارة عن مجمـــوعة من الأبحاث والدراسات تـــدور حول " نقد العقل الإســـلامي " . في عام 003! م نال محمد أركون جائزة ابن رشد للفكر الحر في برلين [4] .

مصـــــادر ثقافته :

ربما تركت الكلام عن مصادر ثقافته ، بعد استعراض لأهم نشاطاته الثقافية ، ومـــؤلفاته الفكرية ، حتى ندرك غزارة علم هذا الرجل ، وتتبعه لكل ما هو جديد . وإذا كان الكُتاب الحداثيين ، كانوا متشبعين بثقافتهم الأصلية نشأة ، ثم بعد ذلك أخذوا بما تيسر لهم من الثقافة الغربية ، ومن مناهجها ، فإن أركون عكس ذلك ، فهو غريب على ثقافته ، وإن كان في وطنه ، لأن الجزائر كانت آنذاك تحت الاحتلال الفرنسي . فكانت كل مراحل تعليمه باللغة الفرنسية ، وإذا أردنا أن نصنف مصادر ثقافته : فيمكننا أن نقول أن اتصال أركون بالفكر الغربي ، كان في بدايته الأولى عبر الاستشراق ، عندما كان طالباً جامعياً بالجزائر ، فمن بين هؤلاء الأساتذة المستشرقين ، ريجيس بلاشير الذي نجده يذكّر بفضله [5] ، و ليفي بروفنسال ، برونشفيك ، لاوست ، غابرييل لوبرا ، كلود ليفي شتروس ، جورج بالانديه [46] . وكذلك ما لُحظ في كُتبه ، من تأثره الكبير ، بميشال فوكو ، وجاك دريدا ، ...

أمّا المصدر الثاني لثقافته ، فهو التراث الإسلامي ، ومن خلال تتبع كتبه ، اعتقد أن التلامس الحقيقي قد بدأ أثناء أطروحته للدكتوراه ، وتأثره الكبير بالتوحيدي ، ثم بعد ذلك اِطلع وبحث في مؤلفات بقية أعلام الفكر الإسلامي من أمثال ، ابن مسكويه ، الغزالي ، فخر الدين الرازي ، الطبري ، ابن تيمية ، ابن رشد ، ...

وفـــاتـــه :

---

44 - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 49 .

45 – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 25 .

46 – يُنظر : النزعة النقدية في فكر محمد أركون ص 28 .

توفي المفكر الجزائري محمد أركون عن عمر ناهز 82 سنة ، في المستشفى بباريس يو الثلاثاء 16 من شوال 1431 هـ الموافق لـ 24 من سبتمبر 2010 م ، ودفن بوصيةٍ منه في الدار البيضاء بالمغرب رحمه الله [47] .

هذا ما تيسر قوله مما تعلق بالأستاذ محمد أركون ، و أهم نشاطاته وكتبه ، التي تقريبا جلّها تُرجم إلى اللغة العربية . وقد قصدت في ذلك الاختصار والإيجاز ، وأعرضت عن التفصيل والإطناب ، واكتفيت بما اعتقدته أنه ربما يعطي للقارئ تصورا عامًّا عن أركون وخلفيته الثقافية ، وأسباب تكوّنها وظروفها ، لأن المقصد الرئيس من بحثنا هذا هو دراسة آراء محمد أركون في التفسير ، وهو ما سيأتي في فصول البحث القادمة .

---

47 – الكاتب غسان الإمام ، « أركون : ناقد التراث الديني .. أغفل تقديم منهج إصلاحي » ، الشرق الأوسط – جريدة العرب الدولية العدد 11620 ، الثلاثاء 13 شوال 1431 هـ / 21 سبتمبر 2010 م العدد 11620 ، الصفحة الرئيسية . جاء فيها : مات أركون عن 82 عاما في ثلاثاء الأسبوع الماضي خلال إجازتي القصيرة ، اعتزمت أن أكتب عنه هذا الثلاثاء .

كذلك كُتب في موقعه : توفي محمد أركون في باريس يوم الثلاثاء 14 سبتمبر 2010 م ، ودفن بالمغرب بناء على وصيته . المصدر موقع " فونداسيون – أركون . أورغ " التحميل يوم 08 / 06 / 2013 م بتصرف .

المبحث الثاني : مناهج النقد عند أركون و مصطلحاته

أوّلاً : مناهج النقد عند أركون

تعالت اليوم الدعوات إلى إعادة قراءة لنص الشرعي ، متعذرة بحجة الاستفادة مما توصَّلت إليه العلوم الإنسانية عامة ، و خاصةً العلوم اللغوية المعاصرة ، ولعل ضرورة الـ دعو إلى النظر في هذه القراءة وتلك الدعوات ؛ لتمييز صوابها من خطئها . عوض الاكتفاء برمي أصحابها بكلمة قد تهوي بقائلها سبعين خريفاً في النّار – والعياذ بالله – ، فذلك لا يجدي نفعاً ، فكان واجباً علينا دينياً التثبت – الآية – وتقصي الحقيقة من مصادرها .

إذا فما المقص القراءة المعاصرة ؟

هي : استخدام نظريات حديثة جديدة في قراءة النص الشرعي ، سُمِّيت بذلك ؛ تمهيدًا لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة للنص الشرعي[8] .

ما هو من المسلّمات في الثقافة الإسلامية أن القرآن الكريم هو كتاب خالدٌ ، وهو دستور هذه الأمة ، وبالتالي فهو صالح لكل زمان ومكان ، وتنقضي حياة الأجيال دون أن تنضب عجائبه ، وأنه يواكب العصر ، ويلبي حاجياته ، فهذه النظرة أجدها تشكل خطاً متقاطعا ، وبالتالي نقطة التقاء مفصلية مع تلك الأصوات المتعالية ، والتي تنادي باستخدام النظريات الحديثة ، باعتبار أنها أدوات ووسائل يُتَوسَل بها أمام النص ، لينير من خلالها حياة مستخدميها .

ومن الذين عنوا بهذه القراءات ، وهتف مع هذه الأصوات الدكتور محمد أركون ، الذي عرف عنه أن له شراهة غريبة ونهم كبير ، في تتبع كل ما هو جديد في العلوم الإنسانية ، وهو الذي فاق غيره ، في توظيف هذه المناهج الغربية على النص الشرعي . هل هذا يعني أنه مفتتنٌ بها ؟

إن تبني أركون للمناهج الغربية وافتتانه بها لا يعني البتة ارتماءه في أحضان الفكر الغربي ، كما لا يعني قَبوله بكل منجزات هذه الحداثة ، ومثلما هو ناقدٌ للفكر العربي الإسلامي ، فهو ناقدٌ بنفس الدرجة للفكر الغربي حينما ينحرف عن المسار الإبستيمولوجي تجاه المسار الإيديولوجي[9] .

---

[48] – القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير ، محمد كالو ، دار اليمان – سوريا ، الطبعة الأوّلى ، 430 هـ 2010 م ص 36 .

[49] – قراءات في مشروع محمد أركون ، فارح مسرحي ، أعمال ندوة مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية – جامعة الجزائر 2 ، الطبعة 432 هـ - 2011 م ص 33 .

وهذه شهادة ثانية على قدرة هذا الرجل الفذة : ويبدو محمد أركون مطلعاً على الفكر النقدي الغربي ومتحكماً في مفاهيمه ومصطلحاته ومتابعاً لتياراته ومذاهبه ، خاصة في النصف الثاني من القرن الماضي ، حيث نجد نصوصه غنية بالإحالات إلى الكتب والأجهزة المفاهيمية والمصطلحية للعلوم الإنسانية والاجتماعية وتياراتها العلمية المختلفة [0] .

وهل يدعو إلى ذلك – تطبيق المناهج – عن حُسن نية ورغبة في تحقيق استمرارية حفظ الوحي وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، أم هو ، ن يفعل ذلك هدمًا للدين وقضاءً عليه ؟ اعتقد أن الجواب على هذا السؤال تكمن صحته في صدره وليس في عَجَزه . فهو يقول : بعضهم يعتقد أن تطبيق المناهج الحديثة على دراسة التراث يؤدي إلى تدمير الإسلام ! وهذا خطأ ما بعده خطأ . إن إنعاش التراث والكشف عن وجهه الحقيقي ونفض غبار الزمن المتطاول عنه لا يمكن أن يتم إلا بعد تطبيقها " [51] وكان الهدف ولا يزال تحليل كل مشاكل العالم الإسلامي والعربي اليوم [2] . كنت قد بلورت إستراتيجية جديدة للبحث العلمي ونشر المعارف والتحليلات المضيئة آملاً في أن يستيقظ الإسلام يوماً ... [3] .

فأركون إذا يريد تنظيف وتلميع تراثنا ، فلذلك نجده يذكر ما يريد إنجازه : رحت أدشن ورشتين كبيرتين للبحوث العلمية عن الإسلام وتراثه العريق ، الورشة الأوّلى إتَخَذت اسم " علم الإسلاميات التطبيقية " أما الورشة الثانية فقد إتَخَذت اسم " نقد العقل الإسلامي ' وذلك عبر مساره التاريخي الطويل العريض [4] . وهذا المشروع الضخم لم يكن وليد الصدفة والارتجالية بل كان نتيجة تجربة طويلة من الملتقيات التي : ' كانت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر تنظّم مؤتمراً كبيراً ، مكلفاً من الناحية المادية ، تحت عنوان « مؤتمرات الفكر الإسلامي » وقد حصل ذلك على مدار عشرين سنة أو أكثر بين عامي 969 م و991 م ... وقد حضرتُه وشاركتُ فيه بشكل منتظم طيلة ثمانية عشر عاماً ، وهناك أحسست للمرة الأوّلى بالحاجة لأن أدشّن علماً جديداً [55] .

---

50 - الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 13 .

51 - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 184 .

52 - المصدر نفسه ص 382 .

53 - المصدر نفسه ص 49 .

54 - المصدر نفسه ص 99 .

55 - المصدر نفسه ص 382 .

ما أجمل هذا الإحساس الذي أحسّه ؛ ولكن هل يدرك أركون خطورة هذا الإحساس الذي خالجه ، فاختيار المفاهيم ليس إلاّ اللبنات التي منها تؤسس المنهجية ومن ثم فما من عمل منهجي إلاّ ويكون قوامه عملية التأصيل للمفاهيم ؛ من خلال عمليات بحث وتنقيب ؟

لكنه يجيب بأنني : كنت قد اخترتُ منذ عام 970 م الطريق الأكثر وعورة وصعوبة من دون أن تكون لديَّ أية سذاجة أو أوهام حول إمكانية تحقيقه أو تحقيق التغيير السريع [6] .

إذا فأركون ينفي عنه السذاجة النفسية والسطحية العقلية ؛ بل هو صاحب منهج ، مستنسخ من عدة مناهج متعددة ومتنوعة . فما هي هذه المنهجية يا ترى ؟

منهجية أركون :

يقول أركون : أتبع في بحوثي « المنهجية التعددية » لا « الأحادية الجانب » . لا أطبِّق منهجية واحدة على التراث الإسلامي ، بل عدة منهجيات كالمنهجية الألسنية ، والمنهجية التاريخية ، والمنهجية الاجتماعية ، والمنهجية الأنتربولوجية ، وأخيراً التقييم الفلسفي العام أو الخلاصة النهائية [7] .

فبعد ذكر هذا الكم الهائل من المنهجيات ، نستطيع القول بأن أركون يعد بحق محضنة ولودة للمناهج ، ويدرك ماذا يريد باستخدام هذه الترسانة الضخمة على النص الشرعي ؛ على عكس من وصفه بأن منهجه لا منهج ؟ ربما هذا الحكم ناتجٌ عن القراءة الجزئية لكتبه ، أو نقلاً على عمّا يشاع عليه دون روية وتثبت .

وفي موضع آخر عندما سُئل من طرف تلميذه هاشم صالح عن منهجيته التي يطبقها في قراءة التراث قال أنه : يختار مثلاً كتاباً في علم الفقه أو الكلا وبعدها يبدأ بأوّل الخطوات الآتية :

. - يبحث عن العلاقات الكائنة بين الفكر اللاهوتي للمؤلف وبين التصوّرات والمفاهيم اللغوية السائد في عصر ، أي بالنظر إلى بيئة المؤلف ودراستها على مستوى جميع المجالات .

! - وعند ه كتشف هذه العلاقات ، التي تربط فكر المؤلف وتصوّرات أهل بيئته وخاصة على مستوى اللغة [8] .

---

[56] - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدي ص 19 .

[57] - الفكر الإسلامي - نقد واجتها ؛ محمد أركون ؛ ترجمة هاشم صالح ؛ لافوميك المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر لا توجد سنة الطبع ص 247 .

[58] - المصدر نفسه ص 235 ؛ بتصرف .

أ - تحديد نوعية الروابط بين فكر اللاهوتي وتصوّره للغة .

وبعد تجاوز هذه الخطوات الثلاث ، يطرح هذا السؤال : ماذ تعني اللغة بالنسب لمؤلف وذلك مروراً بالمراحل الآتية ، التي يذكرها أركون قائلاً : ثم انتقل بعدئذ إلى مرحلة ثانية لكي أرى ما هي تصوّرات هذ المؤلف في ، يخص علم البلاغ ؟ ماذ تعني البلاغة بالنسبة له ؟ ماذ كان تصوّره للمجاز مثلاً ؟ هل كان ينظر إليه بصفته مجازاً أم بصفته حقيقة ؟ هذا تساؤلٌ حاسـ في م يخصّ تقييمنا له وتحديدنا لنوعية نظام الفكر الذي ينتمي إليه . وذلك حتى يعرَف هل المؤلف يقول بالتأويل أم لا ؟

ب - ثم يتساءل عن ماهية تصوّره لعلم التاريخ ؛ كيف كان يكتب التاريخ مثلاً ؟ [9] .

منهجية أركون	منهجية التاريخ التقليدي
أ - يعتمد على التحليل والتفكيك ب - أفقية عمودية	أ - تعتمد على الوصف والسرد ب - أفقية (متسلسلة زمنيا)

نلاحظ أن أركون لم يكتف بسرد منهجيته التي تعتمد على التحليل والتفكيك مراعيا فيهما الجانب الأنتربولوجي لتلك الفترة المعنية بالدراسة ، بل قارن بينها وبين منهجية التاريخ التقليدي للأفكار [60] .

وكأنه يقوم بدراسة أنتربولوجية على نفسه - أركون - ليصف لنا ظاهرته الشخصية ، لكثرة مناهجه وشغفه بها ، فهو يقول : إن توجهاتي المنهجية المتعدّدة راجعة إلى فضولي الشخصي ومطالعاتي الشخصية ، ولي ط ـ تحب التردّد على أولئك الذين يشتغلون في الحقول المعرفية المختلفة المتعدّدة [61] .

ومن الأسباب التي أدت إلى صقل فكره ، وكما يدل على سعة إطلاعه على التراث الإسلامي في الجانب التاريخي والفكري والفلسفي على وجه الخصوص أنه : قد بذل جهود ـ ديدة ـ راء

---

[59] - الفكر الإسلامي - نقد واجتهاد ص 235 بتصرف .

[60] - المصدر نفسه ص 236 .

[61] - المصدر نفسه ص 247 .

الخطاب القرآني وبقية النصوص ا سلامية الكبرى (نص السيرة النبوية مثلا ، نصّ سيرة علي للشيخ المفيد ، نهج البلاغة ، رسالة الشافعي ، نصوص ابن رشد ، ابن خلدون ، إلخ ...) بعد ذكر شغف أركون بالتعدد والمزاوجة والدمج بين المناهج ، وتتبع كل ما هو جديد ، هل نستطيع أن ننسبه لأحدى المدارس ؟ [63]

يجيبنا : لا يمكن حصري في مدرسة واحدة أو مذهب فكري واحد أو موقف واحد للعقل أو تيار واحد ، ... أو طريقة صوفية معينة ، أو مذهب لاهوتي ... [64] .

ورغم ذلك فهو يريد أن يجيش ترسانة من المناهج الجديدة المتطورة ، ليصيب عمق الإيمان الإسلامي من خلال تفكيك النواة الصلبة التي يرتكز عليها هذا الاعتقاد ، ومن ثم زحزحة المفاهيم التراثية المتوارثة ، وذلك على حد زعمه : كل هذه العلوم والمناهج ينبغي أن تُستخدَم لفهم النواة الصلبة للاعتقاد الإسلامي وتفكيكها من الداخل ، وعن طريق السيطرة على شبكة هذه المناهج ومجمل الإشكاليات المبلورة من قِبَلِ هذه العلوم المختلفة يُمكننا أن نتوصل إلى إحداثِ الزحزحة الضرورية لكل المفاهيم ... [65] .

هل معنى هذا أننا نستطيع القول أن لأركون من الصلاحيات والقوة ، أنه يستطيع استخدام سلطته في توظيف المناهج على النص متى شاء ؟ . بل على العكس من ذلك . يجيبُ متبرئاً : " إن المادة التي أدْرُسُها هي التي تفرض عليّ اختيار المنهج الملائم وليس العكس . بمعنى آخر فأنا لا أطبق المنهج اعتسافاً على النص ... " [66] .

أركون ينتقد المناهج الغربية ولا يثق فيها إلا بعد تجريبها :

في حقيقة الأمر أركون هنا يتكلم عن رأيه الخاص في الحداثة متخفياً وراء الأغلبية ، التي أصيبت بخيبة الأمل في الحداثة التي تنكرت للجانب الروحي للإنسان : خابت آمال الأغلبية في

---

[62] – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 249 .

[63] – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 249 .

[64] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 395 .

[65] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي . محمد أركون ، ترجمة وتعليق هاشم صالح . الطبعة الأولى 1999 م ، دار الساقي ص 33

[66] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي – بيروت ، الطبعة الثانية 1996 م ص 230 .

الحداثة وعادت إلى ما قبلها . ولهذا السبب أصبح الباحثون يتحدثون عن عودة الدين بعد ذلك الفاصل الذي تحدث عن موته [67]

(أو « موت الله » [8] بحسب مصطلح فلاسفة الغرب) [9] .

فبعد هذه الخيبة التي عبر عنها أركون من خلال غيره ، فهو يحذر من التسليم المسبق لكل جديد من المناهج والنظريات الجديدة قبل أن تُجَرب لأنها : لا تكون عادة مضمونة تماماً ، فهي بحاجة إلى بعض الوقت لكي تجرِّب نفسها [0] .

وكأن أركون يستحضر قول أن النبتة التي لا تعيش في غير بيئتها ، أو بمعنى آخر أنها لا تستطيع العيش إلا في بيئتها ، لذلك حاول أن يطبق هذه المناهج التي طبقت على التراث المسيحي ، على التراث الإسلامي : لقد حاولت آنذاك أن أطبّق النظريات الأنتربولوجية ... على دراسة الفكر ، والمجتمع والتاريخ في السياقات الإسلامية منذ أن كانت الظاهرة القرآنية قد انبثقت لأوّل مرة . وأردت بذلك امتحان مدى نجاح هذه النظريات ، أو مدى صحتها ومتانتها عندما تُطبَّق على تراث آخر غير التراث الأوروبي [1] .

وهو يقول هذا الكلام ، لا ينطلق من فراغٍ بل من خلال ما خبره وعايشه ، ومن بين هذه المناهج : البنيوية قد أوهمتنا لفترة قصيرة من الزمن بأنها تمثل انبثاق حقيقة طال انتظارها . في الواقع أنها مثلت جواباً على التطور السريع الذي طرأ على الأنظمة الكبرى [2] .

ونتيجة لهذه الزحزحة التي وقعت له ، أصبح يقوم بالتطبيق الطردي (المعاكس) ، أي بدل أن يطبق المناهج و مصطلحاتها على النص ، يذهب للنص متوسلا به ، ليثبت له صحة المنهج أو المصطلح ، وقد عد هاشم صالح هذه ميزة في فكر أستاذه ، ومن أسباب نجاح منهجيته لأنه :

---

[57] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 278 .

[58] – يقول أركون موضحاً هذه العبارة المنسوبة لانيتشه : المقصود بموت الله هنا نهاية التديُّن التقليدي في الغرب وليس موت الله بالمعنى الحرفي أو المطلق . فالله حيٌّ لا يموت . ثم تحدثوا بعدئذ عن موت الإنسان ذاته (أنظر « الكلمات والأشيا » لميشال فوكو . يُنظر نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 278 .

[59] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 278 .

[70] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 301 .

[71] – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، الطبعة الثانية 2005 م ، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت ص 43 .

[72] – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، الناشر مركز الإنماء العربي – بيروت ، الطبعة الثانية 1996 ص 40 .

" يتخذ الظاهرة الإسلامية « كمثال » لامتحان مدى فعلية هذه المصطلحات والأدوات أو عدم فعاليتها ولماذا ؟ " [73] .

ومع ضخامة مشروعه الذي يتطلب جهود فِرق مجندة للبحث والعمل ، فهو في تواصل مع من لا يعنيهم مشروعه الإسلامي بصفة مباشرة ، ولكن بسبب ما لديهم من الأحكام السلبية المسبقة عن الإسلام : إني أحاول فتح فضاءات للمعرفة العلمية والثقافية ، ينبغي علينا أن نلفت انتباه الأوروبيين إلى البعد الثقافي والفكري العميق ، لأن هذا البعد موجود في الإسلام ... [4] .

ما هي طريقته في قراءة القرآن ؟

أركون عندما يقرأ القرآن ، يأخذ بعاد تأثيرات التسمية أي لا يذكر « القرآن » ، فهي كلمة مشحونة ولها القدرة على استلاب النفس والفكر ، لذلك يحبذ اعتباره « نصاً » مثل بقية النصوص الدينية الأخرى أي بعيداً عن الشحنات النفسية ، صحيح أنه ينبغي أن نطبق عليه المناهج الألسنية والتاريخية والسوسيولوجية كأي نص آخر ، ولكن لا يمكن أن نتجاهل بعداً آخر كما يفعل العلماء الوضعيون في أبحاثهم ، وهو يقصد بذلك : البعد الروحي أو الشحنات النفسية التي تُدعى بالإيمان ، فهذه أيضاً تشكل جزءاً لا يتجزأ من الموضوع المدروس [5] .

بالرغم من تعدد استخدامات أركون للمناهج ، إلا أنه يعطي الأولوية لبعضها ، قبل غيرها ، فهو لا يكتفي بتوظيف المنهجية الألسنية على نص من نصوص الشرع ويتوقف ، بل يَعُدها ليست إلاّ مرحلة أولى من مراحل الدراسة ، ثم تتلوها بعدئذ الإضاءة التاريخية ثم على ضوئها تتبعها المنهجية الأنتربولوجية ، ثم في نهاية الدراسة تأتي اللحظة الحاسمة لحظة التقييم الفلسفي للدراسة . والسؤال الذي يستوقفنا هنا : هل معنى هذا أن أركون يريد إلغاء القراءة الإيمانية ؟ في الحقيقة أنه يريد تطبيق المناهج الحديثة ومحاولة اكتشاف مدى فاعليتها : وبعدئذ يُقارن بين جميع هذه [76]

---

[73] – المصدر نفسه ص 118 .

[74] – الإسلام ، أوروبا ، الغرب – رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، الطبعة الثانية 2001 ، دار الساقي – بيروت ص 179 .

[75] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 38 .

[76] – المصدر نفسه ، ص 37 .

القراءات العلمية وبين القراءة الإيمانية أو التراثية الشائعة [7] . ولهذا ينبغي على المفكر المسلم الحديث أن يحتاط لنفسه جيداً ويجهز نفسه علميّا بشكل لا غبار عليه فيطلع على كل ما يخص [78] معرفة النصوص القديمة والشروط التقنية للاجتهاد الكلاسيكي . ينبغي أن يمتلك كل ذلك أوّلاً ، فلا يعتبره تحصيل حاصل ، أو شيئاً تراثياً لا قيمة له . ذلك أن الانتقال من مرحلة الاجتهاد الكلاسيكي إلى مرحلة نقد العقل الإسلامي ينبغي أن يُصمَّم ويُصوَّر على أساس أنه امتداد للاجتهاد وإنضاج له [9] .

ونافلة على القولين السابقين تذكر الباحثة غضابنة : تأتي قراءات محمد أركون على أنقاض التفسيرات التقليدية (الإسلامية) للقرآن ، بحثاً عن مكامن النقص والقصور فيها وطرح في مُقابلها قراءات جديدة يراها مُستوفية للشروط والمعايير العلمية [0] .

أركون بحكم الظروف التي نشأ فيها ، البعض يعده نسخة استشراقية بامتياز ، أو أنه الابن الشرعي للاستشراق من أمه الحضارة الإسلامية التي أنجبته وتربى بعيداً عنها في أحضان أبيه – الاستشراق – فما هو رأيه هو في نسبه ؟ هذا ما نحاول معرفته من خلال ما صرح به .

ما هي علاقة أركون بالاستشراق ؟

أركون في عدة مناسبات ينتقد المستشرقين على منهجياتهم المتبعة ، وخاصة المنهجية الفلولوجية التي اشتهروا بها – المنهجية اللغوية – وأنهم لا يستخدمون المناهج الحديثة على التراث الإسلامي ، مثلما يفعل زملاؤهم علماء الغرب في تطبيقها على التراث المسيحي ، فعلى سبيل المثال ، كلمة القرآن فهي كلمة مشحونة فهي تحتاج إلى تفكيك مسبق من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة التي طُمِست من قِبل المفسرين :

---

[77] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل · نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 37

[78] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي - بيروت ، الطبعة الأولى 1991 م ص 20 .

[79] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 20 .

80 – الخطاب الديني عند محمد أركون – من خلال مشروعه الفكري ، الطاوس غضابنة ، أطروحة دكتوراه ؛ إشراف الدكتور عبد الحفيظ عصام ، جامعة قسنطينة ، 2011 م ص 362 .

وكذ من قِبل المنهجية الفيلولوجيه [1] . النصّانية أو المغرقة في التزامها بحرفية النص [2] .

وهنا نجده ينتقد المستشرقين من خلال اعتراضه على تطبيق المنهجية الفيلولوجيه بهذه الطريقة . ولكن النقطة المهمة التي يجب أن نشير إليها ، أن أركون في مواضع عديدة من كتاباته أثنى على المستشرقين ، وفي مواضع أخرى ينتقدهم بشدة ، ممّا أدى بالبعض ممن قام بالقراءة التبعيضية لكتبه ، بأنه متناقض مع نفسه ، وكذلك كان موقف بعض الآراء المتقطعة في فكرها ، منه بأن ذلك يعد مراوغة تكتيكية لقارئه ؛ مع إخلاص شديد لمستشرقيه ، ولكن أعتقد أن الرأي الصواب هو ، أن السلوك البشري مهما كان لا يسير على خط واحد ، وهنا ينتج التعدد في الآراء ، فأركون يقبل بالمنهجية الفلولوجية ويعتبرها : " تشكّل المرحلة الأوّلى وليس كل مراحلها كما يزعم المستشرقون والمستعربون " [3] .

، ذا هو الفرق الجوهري بينه وبينهم ، ويرجع سبب هذا التباين فيما بينهم إلى أنّ المنهجية الفللوجيا – اللغوية – : " لا تستطيع أن تفسِّر لنا سبب نجاح النصّ القرآني وإحداث تأثيره الضخم على الأرواح والنفوس " [4] . ومن المآخذ كذلك التي عدها أركون عليهم ، فإن القرآن الكريم يعلن بكل وضوح انتماءه للديانة التوحيدية ، ديانة إبراهيم ، فإن علماء الغرب يرفضون تصنيفه في خانة الأديان السماوية (المسيحية واليهودية) ، لذلك يقول : إنهم يأنفون أن يفعلوا ذلك لكيلا يساووا الإسلام بهما . وهذا استبعاد إيديولوجي يضاف إلى الاستبعاد التيولوجي الذي ساد في العصور الوسطى [5] .

إضافة إلى هذا فأركون يشكو من سوء فهم أعماله في فرنسا خصوصاً ، وفي الغرب عموماً ، ويعود ذلك إلى سبب تورطه في التفريق بين العلمانية والعلموية ، وكذا خلافه الجوهري مع

---

81 – ينتقد أركون الجهة الاستشراقية الكلاسيكية المغرقة في وضعيتها وتاريخويتها . فالمنهجية التاريخية الوضعية التي تبلورت في القرن التاسع عشر ، والتي يَتَّبعها الاستشراق ، لا تأخذ العوامل النفسانية أو الإيمانية أو الإيديولوجية لظاهرة الوحي في الاعتبار . كل ما يهمنا هو التأريخ للوقائع الثابتة ، الملموسة والمحسوسة مادياً . أما ما عدا ذلك فلا وجود له بالنسبة لها ، القرآن " من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ، يُنظر إلى : من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 42 .

82 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 29 .

83 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 208 .

84 – المصدر نفسه ص 208 .

85 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ؛ محمد أركون ؛ ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي - بيروت ، الطبعة الثانية 1995 ص 32 .

الوضعين : الذين يعتبرون أن الظاهرة الدينية قد حسمت نهائياً أثناء عصر التنوير في القرن التاسع عشر [36] . وهذا ما يرفضه أركـــون نهائيا ، مع قلة ممن يشاطرونه هذا الـــرأي .

وقد أُنتُقِد بسبب مواقفه - قضية سلمان رشدي ، أحداث 11 سبتمبر - من طرف بعض زملائه ، فوصفه البعض بأنه أخطر من الأصوليين ، والبعض اتهمه بأنه شيخ حديث ! ... فكان جوابه : بأنه ليس لاهوتياً إلى الدرجة التي يتصوّرونه ، ولكنه ليس مادياً إلحادياً كما يرغبون ، فهناك طريق ثالث غير هذ ولا ذاك [37] .

وعلى كل فإن نقد أركون تجاوز حدود الاستشراق ، ليصل نقده إلى الفكر الغربي عموماً ، فهو يطبق النظريات الحديثة على التراث الإسلامي والغربي على حد سواء ، أما هم فيكتفون بتطبيقها على تراثهم فقط : والمنهجيات التي أُطَبِقه على التراث العربي الإسلامي هي المنهجيات نفسها التي يطبّقها علماء فرنسا على تراثهم اللاتيني المسيحي أو الأوروبي [38] .

كما يعتبر ذلك : هو النقص الثقافي والعقلي لـ نظريات الفلسفية الكبرى المبنية دون أن تأخذ بعين الاعتبار تجربة الإسلام التاريخية بصفتها إحدى التجارب العالمية الكبرى [39] .

ما هي خصوصية النص الديني عند أركون ؟

اتفق أركون مع علماء الغرب في توظيف مناهجهم ، كل على تراثه الخاص به ، لكنهم يحاولون تجريد أركون من كل خصوصية ، من خلال تطبيق علمانيتهم غير المتفتحة - على حد تعبير أركون - على التراث الإسلامي ، وهذا يعي بالنسبة له : " إنكاراً كاملاً لخصوصية الخطاب الديني ، وهنا يكمن مصدر كل المعارك التي تنشب بيننا ، وكل أنواع سوء التفاهم والأخطا " [40] .

نذكر هنا موقف هاشم صالح من بعض اتهامات أصحاب الجاهلية الجدد ، الذين ورثوا مقولة لآبائهم في الجاهلية ، وبالرغم أن القرآن الكريم قد أجابهم ، فهم قد ورثوا كذلك عنهم قلوبهم التي لا يفقهون بها ، قال ﷻ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً

---

[36] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 330 .

[37] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 218 - 219 .

[38] – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 247 .

[39] – المصدر نفسه ص 255 .

[40] – المصدر نفسه ص 292 .

وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان ، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل103 . فلو كان هذا الكلام مقتبس من الكتب السابقة – التي حرفت – فمن باب أولى أنها هي التي تحدث ثورة في تاريخ البشرية ؛ وهي الأصل وليس الفرع المقتبس عنها ، مما يدل على أنه ليس : مجرّد تقليد للكتب المقدسة التي سبقته لما استطاع أن يؤثر كل هذا التأثير . وإذن فهناك شيء جديد فيه . شي خصوصي يتعلّق به دون غيره [1] .

ويستطرد هاشم صالح ، واسمح لنفسي أن أستطرد معه ، بما وقع لديّ من إعجاب " صحيح أن القرآن يأخذ عناصر شتى من الكتب المقدّسة التي سبقته ومن قصص الشعوب القديمة والبيئة المحيطة ، ولكنه يعجنها ويصهرها حتى تخرج وكأنها شيء آخر ، وكأنها على غير ما هي عليه " [92] .

هذه الخصوصية الموجودة في كتابنا العزيز ، هي التي جعلت أركون يعترف بخصوصيته التي امتاز بها ، وأنه يلبي له رغباته ، في اختيار أي منهج ، أو أي قراءة يريد أن يطلبها القرآن : " إن المادة إذن هي التي تفرض اختيار هذا المنهج أو ذاك ، وليس المنهج هو الذي يخضع المادة المدروسة لمفاهيمه وقوالبه تعسفاً . نقـــول ذلك بخصوص كل النصوص فكيف إذا كان الأمـــر يتعلق بالقرآن ؟ " [93] .

ما هي يا ترى هذه الخصوصية الموجودة بين النص القرآني ، وأيَّ نص أدبي آخر ؟ . إذا الفرق بينهما ؛ هو ما يمكن أن يتضح من خلال الجدول التالي [4] :

	النص الديني	النص الأدبي
المصدر	مقدس / متعال	بشري
القصد	محدد / مُعيَّن	واعٍ / لا واع
المخاطب	مثالي ... (بالطاعة)	غير محدود ... (قراءة محتمل
مكان " المعنى "	الحقيقة / اليقين	تجربة شخصية / اجتماعية
زمان " المعنى "	لا زمني / متجاوز	ظرفي

91 - الفكر الإسلامي – نقد واجتها . هامش ص 208 .

92 – المصدر نفسه ؛ هامش ص 208 – 209 .

93 – الفكر الإسلامي قراءة علمية ص 230 .

94 – الخطاب الديني عند محمد أركون – من خلال مشروعه الفكري ص 173 .

غاية " المعنى "	تقويم الإنسان اختباره	غير محددة ... (تواصل) متعددة
مادة " النص "	نموذجية / معجزة	طبيعية / صنعة
معايير " النص "	الحق / الحلال / الحرام	إيديولوجية / جمالية

بعد هذا القول المـ ـز ، ومهما يكن سوف يبقى موجزاً لأنه يتعلق بكلام ربِّنا ، العليم السّميع الخبير ، ولكن الذي لابد أن يوجز بالإجابة عنه ، هو هل أركون طبق جميع هذه المناهج على الورشة الأوّلى من مشروعه الكبير التي اِتَخَذت اسم " علم الإسلاميات التطبيقية " ؟ أو بمعنى آخر ، ما هي القراءات التي أضطر أركون للتوسل بها تلبية لسلطة النص الديني ؟ من خلال تتبع آراء أركون في هذا الشق من مشروعه تبين لي – والله أعلم وأعلى – أنه اقتصر على ثلاث قراءات ، محاطة بسياج سميك من المصطلحات الصعبة التي سوف يأتي التعريف بها في المصطلحات وكما نجد أن الباحث بسّام الجمل ذكر أن قراءة أركون للقرآن : تتضمّن بالضرورة ثلاث لحظات هي :

– اللحظة **اللسانية** (اكتشاف النظام اللغويّ للنصّ .

– اللحظة **الأنتربولوجيّة** (البُنَى الأسطوريّة في النصّ .

– اللحظة **التاريخيّة** (حدود عمل المفسّرين على اختلاف اتجاهاتهم) [5] .

كما وجدت أن الباحثة الطاوس غضابنة ذكرت هذا الرأي وأن أركون : يحدد خطوات القراءة التي يتبعها في ثلاثة أزمنة هي :

– زمن لساني أو مرحلة ألسنية .

– زمن أو مرحلة أنثربولوجية .

– زمن أو مرحلة تاريخية [6] .

وبعد الاستئناس بهذين الرأيين ، سوف أحاول بداية تبيان هذه القراءات التي توسل بها أثناء قراءته للقرآن الكريم ، وتوضيح مفهومه الخاص عنها ، وهي القراءة الألسنية ، و القراءة ا ربولوجية ، القراءة التاريخي .

---

[95] – أسباب النزول ، بسّام الجمل ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، الطبعة الأوّلى 2005 م ص 29 - 30 .

[96] – الخطاب الديني عند محمد أركون – من خلال مشروعه الفكري ص 203 وكذا المقدمة الصفحة ط .

ا : **القراءة الألسني** :

لماذا علينا دراسة السيميائية ؟ .

يقول أركون : إنه لسؤال مُلِحّ ، إلى حدٍّ ما ، لأنّ المعروف عن كتابات السيميائيين ازدحامها بالمصطلحات . قال أحد النقّاد ، بعبارة لا تخلو من البراعة : « تخبرنا السيميائية عن أشياء نعرفها ، لكن بلغة لن نفهمها أبداً »[97] . بدأت بهذه المقولة ، والتي هي من باب وشهد شاهدٌ من أهلها ، حتى نتهيأ ، ونتجهز بالصبر ، على تشعب هذا العلم ، من خلال كثرة مدارسه ؛ ولذلك حاولت أن أختصر و قتصر على ما له علاقة بانتقاءات أركون ، أو ما يُكَمّل ذلك .

فالقرآن الكريم بما أنه هو المسترجع للتراث السابق للكتب السماوية ، مما أُعطى له سلطة الهيمنة عليها ، وهو الذي يحمل في طياته تاريخ الأمم الغابرة ، وصاحب لغة رفيعة بانتمائها للغات السامية ، ولفهم هذه التناصيّة العجيبة لهذا الكتاب . " وحدها منهجيات حليل الألسني والسيميائي الحديث قاد ة على تحليل هذه العملية الكيميائية العجيبة لصهر المعنى القديم وتوليد المعنى الجديد "[98] وهذا على حد زعم أركون ، فهل نرى ما يثبت ذلك في الفصلين القادمين ؟

لقد هج عالم اللغويات السويسري فرديناند دي سوسير (857ا - 913ا م) الدراسات اللغوية الكلاسيكية ، ذ انشغل بدراسته وتدريسه ردحا من الزمن ، هذه الدراسات التي تعتمد على نظام العلاقات بين اللغات من خلال المنهج المقارن[99] ، وراح يضطلع بالدراسات باعتبار أن اللغة نظام (من العلامات)[00] تدرس في ذاتها ولذاتها ، وهذه العلامات تنقسم إلى

---

97 – أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ؛ ترجمة طلال وهبة ، المنظمة العربية للترجمة - بيروت ، الطبعة الأولى 2008 م ، ص 42 .

98 – الفكر الإسلامي – نقد واجتها ص 208 - 209

99 – المقارنة : تكون بين لغتين مختلفتين ، لكن تنتميان إلى أصل واحد (أي أرومة واحدة) مثل (العربية والعبرية) لغة سامية . المقابلة : تكون بين لغتين مختلفتين ، وا تنتميان إلى أصل واحد مثل (العربية والا فرنسة ، والمقارنة هنا تكون بين الوحدات الصوتية . الموازنة : تكون في الأصل بين نصين ينتميان إلى لغة واحدة (أبو الطيب المتنبي و أو العتاهية .

100 – نحن هنا ليس بصدد إجراء مقارنة بين ما توصل إليه علماء الغرب في مجال الدراسات اللغوية من البنيوية ، السيميائية ، والدال والمدلول ، ... وأن علمائنا سبقوهم لذلك – وإن كان – مثل أبو الفتح عثمان بن جني ت 392 هـ في كتابه الخصائص قال : اللغة أصوات ، وكذلك ما قال به أبو عمرو الجاحظ في البيان والتبيين : المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي ، بأن هذا المعنى يشبه ما ذهبت إليه المدرسة الأمريكية بأن معنى اللغة في العمل . كما قال : وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء . أو ما قال به العلامة عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته : علم أسرار الحروف هو من تفاريع علم السيمياء ... فهذه المقارنات والمقاربات ليس محل موضوع بحثنا .

الدال والمدلول والرابط بينهما (أي العلاقة بينهما . وهنا يجب أن نوضح ولو في عجالة المقصد من هذه المصطلحات :

- الدلالة : هي منطوق يوحي بالاطلاع والتعريف ، أو هي منطوق لغوي خفي الإشارة .

وفي المجال اللغوي تشكل له ثلاثة ركائز هي : دال صوتي ، ومدلول معنوي ، ومرجعية فكرية اجتماعية (مرتبطة بالعادات والتقاليد) [01] . وإذا كان من المتفق عليه ، أن المفهوم والمصطلح يعد كل منهما مفتاحا لحل المنغلقات والإشكالات ، وإزالة الغموض والإبهام ، فهل منطوق الدلالة يقوم بهذه الوظيفة ؟

يجيب : " للأسف فإن منطوق الدلالة لا يقوم بهذه الوظيفة ؛ وأن ما اكتسبه من شهرة في الاستعمال ، يعود إلى اعتباطية التفكير فيه " [02] . ولو كانت طبيعية - أي ليست اعتباطية - لتوحدت لغات العالم حول تسمية الأشياء ، ونُطِقت بنفس الصوت .

لكن يمكننا القول بدلا من ذلك إذ أي كلم في اللغا هي **رمز** وإن اللغة تعمل بوصفها نظام من الرموز لقد حلل سوسير الرمز إلى مكوّنيه :

. - الصوت أو ا المكوّن الصوتي ، ودعاه **الـــدّال** signifier أو signifiant بالفرنسية .

! - والمكوّن الذهني أو الفكري conceptual ودعاه **المدلول** signitied ignifié) أي : أد المدلول ليس شيئا بل فكرة عن شيء ، أو ما يخطر في ذهن المتكلّم أو السّامع عند التلفّظ الدالّ الصحيح [103] وهذا يعني أن الدال يشكّل الجانب المادي من اللغة ، أما المدلـــــول فهو الجانب الذهني من اللغة ، وهو جانب كثيراً ما نعتبره غير مادّي مع أنه من المؤكد أن المدلول في الدماغ هو أيضا حادث عصبي و الدوائل والمدلولات ! يمكن فصلها بهذه الطريقة إلا من قبل المَنظِّر اللغوي ، أما في واقع الحال فهم لا ينفصلان . تشكل هذه ا المصطلحات الثلاثة ، الرمز ومكوّنيه معا ، قاموس الدلالة » [04] .

---

01 - ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ، مكي درار ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع - الجزائر ، طبعة خاصة 433 هـ /2012 م ص 93 . بتصرف .

102 - ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ص 93 . بتصرف .

103 - وقريبا من هذا عرف مكي درار : الدال : هو من يقود إلى شيء ما ، يسمى المدلول المرجع نفسه ص 105 . المدلول : هو المعنى ، أو المحتوى ، أو الفكرة المرجع نفسه ص 121 .

04 - البنيوية وما بعدها - من ليفي شتراوس إلى دريدا : جون ستروك : ترجمة محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة 996 م ص 11 .

وقد كان فرديناند دي سوسير ، رسم للعملية التكميلية رسماً بيضويا ، وقسمه إلى قسمين :

المدلول = الصورة البصرية .

الدال = الصورة السمعية .

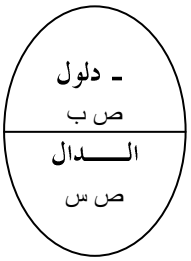

من هذا المخطط ، يتضح تصور دي سوسير ، في علاقة الصوت بالمعنى ، وأن الصوت هو الدال ، والمحتوى هو المدلول . وهي علاقة ثلاثية تجمع بين : " الدال والمدلول والفكرة (المحتوى العقلي الذي يحضر في ذهن السامع " [05] .

وعلى ضوء ما نحت في أذهاننا في درس اللسانيات في المرحلة النظرية من دراستنا ، وبطريقة منطقية احتمالية أن صور الأصوات لدى الإنسان أربع :

- الصورة الصوتية ص ص ⟵ مستبعدة .
- الصورة المرجعية (ص م ⟵ مستبعدة .
- الصورة سمع ية ص س ⟵ الدال ، الصورة السمعية مرتبطة بالصوت .
- الصورة ذهـ ية ص) ⟵ المدلول : بالصورة ذهنية مرتبطة بـ رجع (الواقع .

نُلاحظ أن أركون بعد تعريفه بعلمي اللسانيات و السيميائيات ، يذكر دور السيميائيات في الحيا ، وأن هذا الأخير قد تطوّر كثيراً في فرنسا ، وقد أصبح مخططا حتى للحياة اليومية ، وما يطرأ فيها من مستحدثات . فعلم الألسنيات يهتمّ فقط بنظام العلامات اللغوي ، ، أمّا علم السيميائيات فيهتمّ بدراسة كل أنظمة العلامات غير اللغوية : أي كل المناخ الرمزي الموجو في المجتمع والمحيط المجتمع : ' من طريقة تنظيم الشوارع والساحات العامة ، إلى أنظمة إشارات المرو " [06] .

بل ذهب أركون أبعد من ذلك ، عندما نظر إلى ظاهرة قد امتازت بها فرنسا أكثر من بقية دول العالم ، أي الهجرة ، واصفاً إحساس وشعور ذلك المهاجر : " وعندما ينتقل إنسان من مجتمع إسلامي شرقي إلى مجتمع حديث غربي يفاجأ بمناخ سيميائي ورمزي جديد ومختلف كلياً . وأحياناً تكون الصدمة قاسية فيحّس بالخوف وعاطفة الضياع والتزعز " [07] .

---

105 - ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ص 107 - 108 . بتصرف .

106 - الفكر الإسلامي - نقد واجتها ص 200 .

107 - المصدر نفسه ص 200 .

وربما من الأسباب التي جعلت أركون يتخذ من السيميائيات قاعدة صلبة في تحليله للقرآن ، أنها – السيميائيات – مخترقة ا بنيته بقوة ، مما سهل مهمته في أن يشخص الصراع الموجود على مستوى النص أنه بين طرفين رئيسيين : النبي ومن آمن بدعوته ، و الطرف الثاني الذي رفض هذه الدعوة . ومن السنن أن هذا التضاد سيؤدي إلى الصراع المسلَّح بي هما . وكذا من السنن أن تكون الغلبة لفئة ما حتى ي – ي ا – راع ، من هـ جـ اء وصفهُ لها بأنها :

بنية دراماتيكي – صراعية – مثيرة لأنها مسرح للصراع بين عدّة أطراف أو بالأحرى بين طرفين أساسين [108] .

لقد استطاع علم الألسنيات الحديثة أن يحدد التواصل اللغوي فيما يخص الأعمال السردية ، والمعرفية ، والتشريعية وطبيعة العلاقة بين الأفراد الفاعلين في النص على ـ و التالي :

مُرْسِلٌ ⟵ رسالة ما ⟵ مُرْسَل إليه . وهذه هي عملية التواصل بكل بساطة .

وكل خطاب – وي يهدف إلى توصيل رسالة شفهية أو كتابية من المُرْسِـــل إلى المُر – ل إليه . والله في الخطاب القرآني مُرسِل ومرْسَل إليه . بمعنى أن عنه يُصدِر كل شيء ، وإليه يعود كل شيء ، كما تقول الآية القرآنية : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقر 156 . والعلاقة بين الله ورسوله (أو بين المُرْسِل والمُرْسَلُ إليه) تحالفية وثيقة . والنبي نفسه له مكانةٌ لغويةٌ أو توصليةٌ مزدوجة أيضاً : فهو مُرْسَلٌ إليه لأن الله يُرسِلُ إليه الرسالة ، وهو مُرْسِل إلى البشر أو مبلِّغ . وحدهم البشر يتمتعون بمكانة لغوية واحدة : فهو مُرْسَلٌ إليهم . وعندئذ ينقسمون إلى قسمين ، إمّا أن يُطيعوا ، وإمّا أن يعصوا وفي – الة الأوّلى يمدحهم كثيراً . وفي ا – الة الثانية يلعنهم كثيراً [109] ولتوضيح الكلام السابق سوف ألخصه في هذا المخطط ، مبيناً كيفية حدوث هذا التواصل ، ويكون على النحو الآتي :

أوّلاً : الله ﷻ مُرْسِل ⟵ إلى النبي ﷺ .

الله ﷻ مُرْسَ لٌ إليه ⟶ يعود إليه كل شيء .

ثانياً : النبي ﷺ مُرْسِل ⟵ إلى البشر .

---

108 – القرآ – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 35 .

109 – المصدر نفسه ، الهامش ص 51 .

النبي ﷺ مُرْسَلٌ إليه ⟵ الله ﷻ مُرْسِل .

ثالثاً : الله ﷻ مُرْسِل ⟵ إلى البشر .

النبي ﷺ مُرْسَلٌ (مُبلِّغ ⟵ إلى البشر .

أراد رواد الفكر الغربي أن يُحَوِلوا الإنسان إلى شيء – مادة بدون روح – لكي يكتشفوا قوانينه مثلما تكتشف القوانين في مجال علوم الفيزياء والأحياء ... مع العلم أن هذه العلوم سابقة بقرون العلوم الإنسانية ، وأعتقدُ أن الصعوبة تكمن في :

– أن الإنسان هو الدارس و العينة المختبرة في نفس الوقت ، وهذا يبعد الموضوعية إلى حد كبير .

– أن الإنسان عمره قصير ، فقد يشاهد منتصف الظاهرة دون معايشة أوّلها أو آخرها (دراسة حضارة ما) ، ممّا يؤدي إلى قصور في الحكم .

– عدم ثبات الإنسان على مستوى الشعور والفكر ، فهو ظاهرة (عدم الثبات .

– الاختراع التكنولوجي يدر الأرباح أكثر من اختراع نظرية في العلوم الإنسانية .

لذا اعتقد بأن أركون كان أقرب منهم إلى الصواب ، عندما اعترض على إفراطهم في تطبيق المنهج البنيوي : " إنه ينتقد النزعة التقنية والعلموية الزائدة عن الحد لهذا المنهج ، فهذا كلود ليفي ستروس يعلن صراحة بأنه يريد أن يطبِّق على مجال الإنسانيات مناهج العلوم الطبيعية نفسها [10] .

كما نلاحظ أن أركون يريد توظيف علم الألسنيات في تفكيك القرآن في العمق أي البُنى ، وهدفه من ذلك الوصول إلى معرفة أساليب القرآن في التأثير على قارئيه ومستمعيه ، ليجندهم إلى صفه : " علم الألسنيات يساعدنا على فهم هذه الأساليب وتشريحها من الناحية اللغوية " [11] .

ما هي صعوبات علم الألسنيات ؟

لقد أحدث المنهج البنيوي [112] أو المدرسة اللسانية ثورة معرفية كبرى واختلافات عميقة ،

---

[10] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 32 ، بتصرف

[111] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 36 .

[112] – فالبنيويّة منهج تحليليّ يدخل فيه تطبيق النموذج الألسني على أنواع كثيرة من الظواهر الاجتماعيّة . أسس السيميائية ، ص 33 .

سواء على مستوى تعريف المنهج وخاصة في الجانب اللغوي ، أو في المراحل التي مر بها ، أو كذا على مستوى التوظيفات ، إلخ . ولكن على الرغم من هذه الصعوبة سوف نتبع ونقتفي آثار أركون واختياراته ، رغم أنه صرّح بنفسه أنه لا ينتمي أو يلتزم بما عند مدرسة واحدة ، بل يطلب الرحلة لدى كل جديد ، ممّا يؤدي إلى مضاعفة الصعوبة أكثر : " تتلخص هذه الصعوبة في أننا عندما نتحدث عن العجيب المدهش في القرآن فإن ذلك يعني أننا سنطبق عليه بالضرورة مناهج التحليل الألسني والأدبي التي تم إنجازها اعتماداً على النصوص المكتوبة : هـــذا في حين أن القرآن – تماماً كالتوراة والإنجيل – هو أوّلاً لغة دينية ... فينبغي أن نعترف بأنه لا تزال تنقصنا الألسنيات وعلم الدلالات الملائم (سيميوتيك) من أجل أن نحلل بدقة لغةً كهذه " [13] [14] .

إضافة إلى تلك المعوقات ، فهو يعترفُ أيضاً بصعوبة التمييز بينها أحياناً ، ومرد ذلك إلى : بعد أن تفرّع هذا العلم إلى عدة فروع كعلم السيميائيات (علم العلامات و الرمو) ، وعلم المعاني (السيمانتيك) ، وعلم الدلالات والإشارات (السيميولوجيا) ، إلخ . وكلها علوم متقاربة ومتداخلة ويصعب التمييز بينها أحياناً [115] .

وممّا زاد الأمر تعقيداً الخلافات الكثيرة بين أبناء الألسنية ، على هذا العلم الذي لم يكتمل نضجه بعد ، فأركون من خلال خبرته يذكر " أن الألسنيات هي علم في طور التكوين والبحث عن مناهجه الخاصة . وأعرف عن طريق التجربة أن هناك خلافات كثيرة وصراعات عديدة بين علماء الألسنيات ، وأنهم يجدون صعوبة كبيرة في التوصل إلى اتفاق ما " [16] .

ممّا جعل أركون لا ينخرط معهم ويكون عضوا دائماً في مدارسهم ، بل فضّل أن يكون زائراً لهم مصرحاً بحياده : " فأنا أحاول فيما يخصني أن أستخدم ما يبدو لي مفيداً وذا مردود " [17] . مع وجود هذه المعوقات على مستوى التطبيق على النص ، هذا لا يعدم أن للقراءة الألسنية على الأقل بعض المزايا .

ما هي مميزات القراءة الألسنية ؟

---

[113] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 190 .

[14] . الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 190 .

[15] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 36 .

[116] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 230 .

[117] – المصدر نفسه ص 230 .

كانت ميزة قراءة الألسنية هي أنها خلّصت الباحثين من هيمنة منهجية تاريخ الأفكار التقليدي الذي كان سائد في السوربون ، وكان هذا التاريخ التقليدي يعتقد أن للأفكار حياةً خاصة وأنها تسبح فوق الواقع وفوق الأشياء ، وأنه يكفي أن نسرد تاريخ العقائد الفكرية المتسلسل عبر التاريخ لكي نفهم كل شيء [18] .

– تطبيق المناهج والمصطلحات الألسنية والتاريخية على كيفية تشكُّل النصوص المقدَّسة هي اكتساب مساحة من الفكر العلمي على أشياء ومفاهيم ووقائع موضوعية تخص هذه النصوص المكرَّسة بالذات [19] .

– فالتحليل السيميائي يقدّم لنا فرصة ذهبية لكي نُمارس تدريباً منهجياً ممتازاً يهدف إلى فهم كل المستويات اللغوية التي يتشكّل المعنى (أو يتولّد) من خلالها [20] .

! : القراءة التاريخية :

نستطيع القول بأن المنهج التاريخي : و الذي ربط فَهْم النص بزمن تاريخي غير ممتد ، شكَّلته الظروف الخاصة المحيطة بالنص ، ويرتبط هذا المنهج بعدد من المدارس الفلسفية ؛ كالوجودية ، والماركسية ، وحركة اللسانيات الحديثة [121] .

كما أن بعض الآراء تذهب إلى القول أنه عندما يراد فَهم الوحي ، لا بد أن ينتقل من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني (أي أنسنته) ، معللة ذلك بأن : النصوص وإن كانت ثابتة في منطوقها ، إلا أنها متحركة في المفهوم تبعًا لتغيُّر الز ـ ان والم ـ ان ، ينتهي هذا المنهج التاريخي [22]

وما تفرع عنه من نظريات إلى التعدد غير المحدود في تأويلات النص [23] .

---

[18] – قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم الإسلام اليوم : محمد أركون ؛ ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الرابعة 2009 ؛ الهامش ص 35 .

[19] - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 217 .

[120] – القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 35 .

[21] – ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر – دراسة نقدية إسلامية – ؛ خالد السيف ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، الطبعة الأوّلى 1431 هـ 2011 م ص 214 .

[122] – المرجع نفسه ص 214 .

[123] – ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر – دراسة نقدية إسلامية – ص 214 .

كما نجد أن أركون كان مفهومه للمنهجية التاريخية في نفس هذا الاتجاه ، حيث هي : " التي تحاول ربط النصوص المقدّسة بالزمان والمكان والبيئة وأحداث العالم الأرضي ، تثير حفيظة المؤمنين الذين يتخيَّلونها فوق التاريخ والزمان والمكان ، وكأنها لا علاقة لها بالبيئة أو بالعصر الذي ظهرت فيه . وهنا يكمن الفرق أيضاً بين النظرة الأفقية (أي التاريخي) . والنظرة العمودية (أي الأسطوري) أو الإيمانية التقليدية " [124] .

وهكذا نجد إلحاحات أركون قد تتابعت ، ممّا يدل على أهميتها ، لأنه بمعرفة ماضينا نضيء لمستقبلنا : ألحّ على ضرورة إتباع المنهجية التاريخية قبل أي شيء آخر ، وينبغي أن نعلم ما حصل في تاريخ المجتمعات الإسلامية ، وأن نعترف بحقيقة ما حصل لا أن ننكره ونتعامى عنه [25] .

وحتى نصدق إلحاحه ، فقد اتخذ المنهجية التاريخية الحديثة لإحدى ورشاته وأعطاها : " مكانة محورية في مشروعه العام (نقد العقل الإسلامي) " [26] .

وكما يعتبر أركون مقتفٍ بارع لآثار كل ما هو جديد ، ووليد للمناهج الحديثة ، حيث يقول : والمنهجية الجديدة التي تحظى باهتمامي الآن أكثر من غيرها هي منهجية علم النفس التاريخي [127] ، لهذا السبب أركّز على أهمية الخيال والمخيال والأسطورة والوعي الجماعي كعامل أساسي ومحرك في التاريخ الإسلامي [128] .

وكان الفيلسوف الهولندي سبينوزا SPINOZA هو المؤسس الحقيقي للنقد التاريخي للنصوص المقدسة في دراسته التاريخية للعهد القديم [29] . أما بالنسبة للتراث الإسلامي فإن النقد التاريخي حسب زعمه : " لم ينجز بعد في الثقافة العربية الإسلامية ، وما أنجز بالنسبة لأركون ما زال ضعيفاً ونادراً " [30] . ممّا جعله يسعى بكل ما أُوتي من قوة جهد وفكر إلى محاولة تطبيق

---

124 - الفكر الإسلامي - نقد واجتهاد ص 208 .

125 - الفكر الإسلامي - نقد واجتهاد ص 244 .

126 - المصدر نفسه ص 244 .

127 - يقصد أركون **بعلم النفس التاريخي** : ذلك الفرع من فروع علم التاريخ الحديث الذي يدرس عقلية الناس في الماضي ، وكيف كانوا يؤمنون ويفكرون . ومن كبار روّاد هذا العلم في فرنسا لوسيان فيفر ، مؤسس مدرسة الحوليات الفرنسية . يُنظر : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 37 .

128 - الفكر الإسلامي - نقد واجتهاد ص 249 .

129 - الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 258 .

130 - الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 259 .

النقد التاريخي ، على القرآن الكريم ، والنصوص التأسيسية الأخرى أي الحديث النبوي الشريف ، والسيرة النبوية ...) ، وسبب وصف أركون بأن ما أنجز من نقد غير كاف ، يعود لسببين كما ألح مراراً في كتاباته : الأوّل داخلي يعود لتقصير المسلمين ، نتيجة النظرة الدوغمائية المسيطرة ، والسبب الثاني خارجي يعود للنظرة الإيديولوجية لعلماء الغرب لغير تـــراثهم . ومع هذا فأركـــون لا يكتفي بمطـــالبة العلماء من كلا الجهـــتين بممارســـة عمليـــة النقد ، بل يرى : إنه لا يمكن تحقيق أي تقدم في مسألة تاريخيَّة القرآن ، والتاريخية طبقاً للقرآن ، إلاّ إذا وضّحنا مبدئياً ، المفهومات المفتاحية الثلاثة التالية :

أ – مفهوم الدوغمائية وكيفية اشتغال الروح الدوغمائية .

ب – مسألة المرور من مرحلة الفكر الأسطوري (mythique) إلى مرحلة الفكر التاريخي الإيجابي (الواقعي .

ج – فلسفة اللغة .

لايزال كل واحد من هذه المفهومات موضوعَ تفحص لدراساتٍ جارية اليوم لم تنته بعد [31] .

نجد أن أركون اشترط قبل الانتقال إلى النقد التاريخي للقرآن الكريم ، أنه لابد من توضيح أو إحداث زحزحة للمفهومات المفتاحية الثلاثة السالفة الذكر ، يفهم منه أنه هناك فرق بين المنهجية التاريخية والمنهجية التبجيلية ، أو العاطفية ، في قراءة التراث ، مقارناً بذلك بين : " كتاب جوزيف فان إيس / وكُتُب هشام جعيط أو محمد عابد الجابري التي تتحدّث عن الفترة نفسها : فترة الإسلام الأوّلي ، أي القرون الهجرية الثلاثة الأوّلى . وهذا لا يعني بالطبع أن هشام جعيط أو محمد عابد الجابري لا يعرفان الحداثة أو العقلنة أو المنهج التاريخي ، ولكنهما ليسا متحررين تماماً من اسر العقلية التقليدية المهيمنة " [132] .

ما هي مميزات القراءة التاريخية ؟

– القراءة التاريخية [33] للقرآن تحجّم من تأثير القراءة الإيمانية أو التقليدية التي لا تعبأ إطلاقاً

---

[31] - الفكر الإسلامي قراءة علمية ص 125 .

[132] – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 35 .

[133] – **ما الفرق بين التاريخية التاريخانية ؟** : التاريخية : دراسة التغير والتطور الذي يصيب البُنى والمؤسسات والمفاهيم من خلال مرور الأزمان وتعاقب السنوات أي المؤرخ : لا يتنبأ بأي اتجاه مسبق لحركة التاريخ . وإنما يترك المستقبل مفتوحاً لكل الاحتمالات . مفهوم التاريخوية : مرتبط بالفلسفة الوضعية والنظرة الفللوجية التي سادت القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن ،

بمعطيات التاريخ والجغرافيا والواقع ، ولا ريب في أن القراءة التاريخية سوف تؤدي إلى نتائج تحريرية هائلة إذا ما أحسنّا القيام بها ، دون أن يعني ذلك إضعاف الإيمان ، أو إضعاف قيمة القرآن [34] .

– ولكن المنهجية الحديثة في علم التاريخ (مدرسة الحوليات مثلاً) تأخذ هذه العوامل بعين الاعتبار ، وذلك من خلال علم النفس التاريخي La psychologie historique . فهذا العلم لا يدرس فقط الوقائع المادية لثقافة ما ، وإنما يدرس المادي / والروحي ، أو الواقعي / والخيالي ، ولا يختزل الحقيقة الإنسانية إلى بُعد واحد فقط كما تفعل المدرسة الوضعية [35] .

الحقيقة الدينية التاريخية :

والسـ ا الذي يجب أن يطرح هنا ، هل صحة الحقيقة الدينية أو الطفرة المعرفية التي بواسطتها فصلت الفلسفة الكلاسيكية عن علم السيميائيات [136] ، نستطيع الجزم بصحة الحقيقة التاريخية دائماً ؟ . و الجواب عن هذا السؤال أنها : تبقى نسبية على الرغم من دقّتها ، فعلم التاريخ ينتمي إلى دائرة العلوم الإنسانية لا دائرة العلوم الدقيقة . وبالتالي فحقيقته ليست مطلقة وإنما هي تغتني باستمرار وتصبح أكثر دقة باستمرار . لقد عَرَف المؤرخون المعاصرون كيف يصبحون متواضعين على الرغم من كل الإنجازات التي حققوها ، منهجياً ومصطلحياً ، طيلة الفترة الأخيرة (أنظر إنجازات مدرسة الحوليات الفرنسية مثلاً) [37] .

القرآن الكريم متعال عن الزمن :

وهذه من دلائل إعجاز القرآن الكريم ، فالحروف هي نفسها الحروف المشكلة منها النصوص الأدبية ، فلماذا لا يوجد فيها سحر وجاذبية القرآن التي تأخذ الألباب ؟ لأن : الخطاب القرآني

والذي يعني دراسة التاريخ وكأنه محكوم بفكرة التقدم المستمر في اتجاه محدود وثابت معروف سلفاً . تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 23 .

[134] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل · نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 205 .

[35] – القرآ – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديـ ص 42 .

[136] – من أهم المبادئ التي قامت عليها البنيوية لدى فردينان دي سوسير : النظام / البنية / الشمولية / الآنية / محور التركيب / محور الاستبدال / المحايثة ، وما يعنينا منها في مقصدنا هنا هو : المنهج الآني الذي يضاده في أذهاننا هو المنهج التاريخي .

المنهج الآني : هو دراسة اللغة في فترة زمنية محددة (بغض النظر عن مراحل تطورها .

والمنهج التاريخي : هو تتبع المراحل التي تقطعها اللغة من مرحلة إلى أخرى .

[137] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقا – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ . هامش ص 100

يُحَوِّل ما هو واقعي أرضي إلى مثالي متعالٍ ، وما هو عَرَضي عابر إلى أبدي دائم عن طريق استخدام المجاز بكثافة وغزارة . كما ويحذف الكثير من الأحداث والوقائع المحسوسة [138] التي عاشها النبي تاريخياً لكيلا يُبقي منها إلا بعض الإشارات والتلميحات الغامضة وذلك من أجل تساميها وتصعيدها (أو تعاليها) [39] .

ما هي صعوبات القراءة التاريخي ؟

– يصعب على المؤرخ الحديث اليوم أن يكتشف تاريخية الكثير من الآيات القرآنية بسبب طابعها التعميمي والتجريدي الخالص (إن الخطاب المجازي يشتغل عن طريق الرمز والإيحاء والتصوير الرائع وربط كل شيء بالمطلق المتعالي) [40] .

– المسلمون المعاصرون نسوا حتى هذا العلم – أسباب النزول [41] – ، وفقد القرآن طابعه التاريخي بشكل أكثر من السابق ، وأصبح يبدو فوق الواقع والتاريخ بشكل كامل . وساعد على ذلك بُعْدُ الشقَّة الزمنية بيننا وبين لحظة القرآن . ممّا صعب الأمر [42] .

– إن عدم ربط المحطات الزمنية ببعضها ، وكذا مقارنة أحداثها ببعضها البعض ، يصعب مهمة المؤرخ من أن نعرف الواقع بشكل صحيح أو مطابق ، وخاصة أن الحداثة لم تهتم كذلك بتحقيب التاريخ ، لهذا يذكر أركون أنه : من الظاهـــرة [43] القرآنية ، إلى الظاهرة الإسلامية ، إلى

الظاهرة " الهوية الحديثة " لا يوجد تعاقب كرونولوجي (أي زمني) بين هذه المحطات التاريخية والثقافية الثلاث - وهذه لحظات أساسية : لحظة القرآن والنبوة ، لحظة تشكيل الدولة الإسلامية والشريعة والفقه ، لحظة الحداثة بدءاً من القرن التاسع عشر (نقول ذلك وبخاصة إذا ما اعتبرنا أن

---

[138] – المصدر نفسه ، هامش ص 104 .

[139] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، هامش ص 104 .

[140] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 104 ، بتصرف

[141] – يقول أركون : كان المفسرون القدامى قد حاولوا الكشف عن أسباب النزول وربط كل آية أو سورة بمناسبة معينة أو حدث معين . وهم بذلك قد ساهمو – ربما عن غير وعي منهم – بربط القرآن بتاريخيته وإنزاله من سماء التعالي إلى أرضية الواقع والتاريخ . يُنظر : من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 104 ، بتصرف .

[142] – المصدر نفسه ص 104 ، بتصرف

[143] – الظاهرة : تعني التغير وعدم الثبات والاستقرار في كل شيء ، كظاهرة انعدام الأمن ، والأمراض الاجتماعية . أنظر : ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ، مرجع سابق ص 2 .

الحداثة ليس أنها لم تهتم ـ ة تحقيب تاريخ الف ـ ، بقدر ما هي ـ وقف معين للعقل)
44
.

دور المؤرخ الحديث :

يشخص أركون الداء الموجود على مستوى الذاكرة الجماعية ، أو الشعور به ، وكذا النقص الإدراكي على مستوى المنهجية التاريخية ، لأن : " الوعي التاريخي ضامر عندنا وإيقاظه صعب . الوعي الأسطوري اللاتاريخي يحتلّ الساحة كلياً ، وعلى المستويات كاف " 145

هذا الوصف المحبط نوعاً ما من قِبَل مُفَكرِنا ، هل جعله يعتكف على حياته اليومية التي يسمح لها أن تأخذ الرتابة بتتالي الزمن ؟

يجيب كلا : أنا أناضل ضد عصور بأكملها من توقف الحيوية والحرك في المجتمعات الإسلامية والعربية 46

ما هو واجب المؤرخ اليوم ؟

يصف أركون المؤرخ كما يريده قائلاً : فالمؤرّخ الحديث في ما يقر ويتفّحص هذه الأخبار والأحداث الماضية ، يعيد تشكيل النظام الفكري لمرحلة تاريخية بأسره ، ويعيد إبرازه إلى دائرة الضو بكل خطوطه ومحاوره وحدوده العامة 147 .

ة : القراءة الأنتربولوجية :

علم الأنتربولوجيا هو العلم الذي يهتم بدراسة كل ما يتعلق بالإنسان من عادات وتقاليد ، تاريخ ، ... ولذا يبدو أن أركون سيطرت عليه النزعة الإنسانية ، أو تأثر بتوأم روحه – التوحيدي – وهو يقر بذلك ، لدرجة أنه لسنوات عديدة وهو يلح سواء على مستوى الملتقيات والمناسبات في فرنسا ، أو من خلال كتاباته على ضرورة دراسة العلم الأنتربولوجي وتدريسه ، فلماذا هذا الإلحاح و اللجاجة يا ترى ؟

فيجيبنا : فهو الذي يُخرج العقل من التفكير داخل ، السياج الدوغمائي المغلق ، إلى التفكير على

---

144 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 208 بتصرف

145 – الفكر الإسلامي – نقد واجتها ص 231 .

46 الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 231 .

147 – المصدر نفسه ص 234 .

مستوى أوسع بكثير : أي على مستوى مصالح الإنسان ، أي إنسانٍ كان ؛ وفي كل مكان [48] المقصود به أيضاً : دراسة كل الشعائر والطقوس والرموز والعقائد الموجودة لدى كافة الأديان البشرية وليس فقط التوحيدية واستخلاص السمات المشتركة [49] .

، أركون يفرق بين المجتمعات التي تعتمد على الثقافة الشفهية ، التي تنسخها على الذاكرة ، والمجتمعات التي تعتمد على الثقافة المقروءة ، التي تنسخها على الكتب ، لذلك نجد أن : " هذا التمييز الذي يقيمه أركون بين الخطاب الشفهي / والنص المكتوب ليس فقط ذا أهمية أنتربولوجية [50] ، فممارسة الذاكرة والعقل في المجتمعات الشفهية ، ليست هي نفسها ممارسة الذاكرة والعقل في المجتمعات التي تعرف الكتابة وتؤسِّس وجودها على الكتابة " [51] .

و لم يكتف أركون بالتفريق بين التراث الشفهي والمكتوب فقط ، بل راح يتكلم عن : " المسافة الزمنية التي تفصل بين التلفُّظ بالآيات القرآنية لأوّل مرة في زمن النبي . وبين تثبيتها كتابة في عهد عثمان هي ذات أهمية ؛ ولا يُستهان بها . ولكن المؤمن التقليدي لا يأبه لكل ذلك وإنما يعتبر ثانوياً رواية التراث الأرثوذكسي تكفيه وتسيطر على وعيه كلياً . على الرغم من الثغرات لتاريخية التي تنتابها [52] .

ما هي صعوبات القراءة الأنتربولوجية ؟

ونتيجة للأسباب التي ذكرناها آنفاً المؤمن التقليدي مُسَيطَر على وعيه ، وأن الحقيقة هي ما رسمتها له الأرثوذكسية ، و هي الوحيدة . " فالخطأ والكذب (أو المتخيَّل بحسب أركون) ضروريان للحياة أكثر من الحقيقة كما يقول نيتشه . بل إن الحقيقة تصبح قاتلة إذا ما اقترب منها المرء أكثر مما ينبغي ، أو قبل الأوان ... " [53] .

ما هي مميزات القراءة الأنتربولوجية ؟

– أن علم الأنتربولوجيا الحديث يُمارس عمله كنقد تفكيكي ، وعلى صعيد معرفي ؛ لجميع الثقافات البشرية المعروفة . إنه يُمارس عمله بعيداً عن التأويلات التاريخانية الإيديولوجية

---

148 – القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 20 .

149 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 275 .

150 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 201 – 202 .

151 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 201 – 202 .

152 – المصدر نفسه ص 202 .

153 – المصدر نفسه ص 202 .

– وقد أثرت الأنتربولوجيا أو أَخْصَبَت التفكير الحديث عن طريق بلورة المثلثات الأنتربولوجية (العنف والتحريم والحقيقة) أو (الوحي والتاريخ والحقيقة) أو (اللغة والتاريخ والفكر)[54] .

– يعلّمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح متفتحة متفهّمة ، وضرورة تفضيل المعنى على القوة ، ثم تفضيل السلم على العنف ، ...[55] .

فائدة علم الأنتربولوج :

هي أنه يوسع نظرتنا إلى أبعد الحدود عن طريق المقارنة بين مختلف الثقافات البشرية[56] .

نخلُص مما تقدم ، أن مفكرنا يعد من أوائل الذين عنوا بهذه القراءات ؛ و قد اخ ر منذ عام 970 م الطريق الأكثر وعورة وصعوبة من دون أن تكون لديَّ أية سذاجة أو أوهام حول إمكانية تحقيقه أو تحقيق التغيير السريع – كما أشار آنفا في هذا المبحث – ؛ ومعروف على أركون أنه متتبع لكل ما هو جديد في العلوم الإنسانية ، وهو الذي فاق غيره ؛ في توظيف هذه المناهج الغربية على النص الشرعي ، ومما صعّب الأمر علينا ، هو أنه يتبع المنهجية التعددية ؛ ولا يلتزم بواحدة منها فقط .

كما لاحظت أن طريقته في قراءة القرآن الكريم ، تبنى على أنقاض التفاسير الكلاسيكية ، ثم بعد ذلك يتوسل بتلك المناهج الغربية التي اختارها ، م اولاً بعاد تأثيرات التسمية – أي لا يذكر « القرآن » – فهي كلمة مشحونة ولها القدرة على استلاب النفس والفكر بحسب زعمه .

أمّا علاقته بالاستشراق ، فأعتقد ومن خلال تتبعي أنها علاقة ارتدادية ، يسودها نوع من التوتر نتيجة تباين جوهري ، في طريقة كيفية تناول التراث .

وبالرغم من التعدد المنهجي الذي – ذُكر آنف – إلاّ أننا نستطيع القول : أن المناهج التي كانت رئيسية في دراسته للقرآن الكريم ، المنهج البُنيوي ، المنهج التاريخي ، المنهج الأنتربولوجي ، هذه الآليات والأدوات التي توسل بها لدى النص ، فتشكلت ثلاث قراءات أساسية في آرائه ؛ وهي كالآتي :

---

154 – القرآ · من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 7 .

155 – المصدر نفسه ص ؛ .

156 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقا – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 3؛ .

- القراءة اللسانية (اكتشاف النظام اللغويّ للنصّ .
- قراءة التاريخيّة (حدود عمل المفسّرين على اختلاف اتجاهاتهم .
- القراءة الأنتربولوجيّة (البُنَى الأسطوريّة في النصّ .

بعد الكشف عن الخطوط العريضة ، لقراءات أركون وما يتلق بها ، لا تزال لدينا إشكالية التعامل مع ترسانة المصطلحات التي يستخدمها أركون في كُتبه . هذا ممّا جعلنا نضطر إلى تخصص قسم خاص بها ، فلننتقل له الآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : مناهج النقد عند أركون ومصطلحاته

ثانياً : مصطلحاته

من بواكير مصنوعات الإنسان ومختلقاته : اللغة ؛ التي دعت الحاجةُ إليها ليتواصل بها مع بني جنسه ، وليعبر بها عما يختلج في صدره ، وأيضاً عما يحيط به من الأشياء . ومن المعلوم أن اللغة البشرية ظاهرة اجتماعية فكرية ، أو هي أصوات فكرية ، وكل منطوق هو نتاج فكريٌّ ، لبيئة وجماعة وفترة معينة . وهذا التنوع والتعدد ، نتج عنه فسيفساء من اللغات البشرية المتناثرة ، مما صعَّب علينا دمج ألوانها في لونٍ واحدٍ ، فكان من أعظم المشاكل المعاصرة القائمة في الدراسات اللغوية بعامة ، والعربية بخاصة ، هي صعوبة إنتاج و تحديد المصطلحات العلمية وترجمتها منها أو إليها خاصة . فهذا أركون وهو الذي كان يتكلم بعدة لغات يقول :

إن إنتاج المصطلح أو إعادة بلورته شيء دائم لا يتوقف كالحياة ذاتها . المصطلحات أو المفاهيم هي القلب النابض للمعرفة العلمية . وهنا يتخذ مفهوم الباحث – المفكر كل معناه ودلالته وأهميته المعرفية ؛ فعملي كمؤرخ لتاريخ الفكر الإسلامي عبارة عن جهد متواصل لنحت مصطلحات ومفاهيم نقدية جديدة بغية تحليل مختلف الخطابات المُنتجة من قبل العقل الإسلامي[57] .

لقد شبه هاشم صالح المصطلح تشبيها دقيقاً ، حيث قرب المفهوم إلى الأذهان من أقصر الطرق مع صعوبة فهم المصطلح ، فهو يقول : المصطلح كالإنسان يتجدّد بعد أن يغترب ، ويتغيّر بعد أن ينتقل من بلد إلى آخر ؛ ومن أرض إلى أخرى ، ومصطلحات العلوم الإنسانية إذ يطبقها أركون على التراث العربي – الإسلامي (ويؤسِّس الإسلاميات التطبيقية) تخرج منصهرة منه وفيه ، تخرج وكأنها قد أصبحت غريبة عن منبتها الأصلي بعد أن تزوّجت من خلال التحليل والتطبيق تراثاً آخر وتجربة بشرية أخرى (هي تجربة العرب والإسلام)[58] . ينبغي العلم أن المفاهيم أو المصطلحات لا تعيش إلى الأبد ، وإنما لها فترة عمر قد تطول أو تقصر . لماذا ؟

---

[57] - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 395 .

[158] – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 224 .

يجيب أركون : لأن بلورتها أو عادة بلورتها تتمُّ داخل سياقات متغيرة من الثقافة ، والمعرفة .. ، والثورات العلمية ، إلخ [59] .

بهذه الديباجة ، التي حاولت من خلالها ، التنبيه لسبب تخصيصي قسم خاص بالمصطلحات بداية ، كاسحاً به ما قد يعترضنا من صعوبات ولبس أثناء تحليقنا مع هذا الرسالة .

– **الظاهرة القرآنية** : (أو الحدث القرآني) ، وليس القرآن للدلالة على هذ الحدث . المقصود أن حدث لغوي وثقافي وديني يستخدم مرجعيات تعود إلى القرن السابع الميلادي في العربيا ولا يفهمها جيداً إلاّ من عاش في ذلك العصر أو درسه من الداخل . والحدث القرآني هو انبجاس لغوي رائع وأخّاذ ومفتوح على العديد من المعاني والدلالات لأنه يستخدم لغة رمزية مجازية في معظم الأحيان [60] .

الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية : والفرق بينهما بحسب فكر أركون ، هو أنّ الأوّلى تظلّ متعالية مفتوحة على الاحتمالات المعنوية والدلالات كافة . إنها مفتوحة على المطلق : مطلق الله . هذ في حين أن الثانية (أي الظاهرة الإسلامية) هي تاريخيا بشكل كامل . إنها عبارة عن تجسيد لأحد خطوط المعنى المتضمِّنة في الظاهرة الأوّلى : وليست تجسيداً لها كلها . أو بالأحرى ليست تجسيدا لها إلاّ من خلال الوساطة البشرية ، والدليل على أنّ الظاهرة الإسلامي هي ظاهرة تاريخية بشكل كامل : وليست متعالية : هو أنها ليست خطاً واحداً أو لوناً واحداً ، وإنما عد خطوط ، أو مذاهب واتجاهات . فهناك الخط ال ـ عي : والخط ال . بي : والخط الخار . ي ، وتفرعاتها العديدة [161] .

– **المنشأ الانقلابي** : (أو التفجيري للمعنى) يقول أركون : من المعروف أن علماء الألسنيات والسيميائيات الدلالية يتحدثون عن مفهوم جديد هو (المنشأ الانقلابي أو التفجيري للمعنى) ، ماذا يقصدون بذلك ؟ يقصدون أننا نفجِّر المعنى السائد بعد أن كتشف أنه خاطئ أو ليس إلا (أثراً من آثار المعنى) . ننا نفجِّره أو نفكِّكه لكي نُحلَّ محلَّه معنى آخر أفضل منه وأكثر مقاومة وتماسكاً عندما يصطدم بالواقع . أو قل إنهم يدينون ذلك بشكل أقل . نقول ذلك على الرغم من أنه يحقُّ لنا تماماً في ما يخص مجال الأخلاق أن نتحدث عن (المنشأ التفجيري للقيم) ،

---

159 – المصدر السابق ص 395 .

– قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 29 .

161 – الفكر الإسلامي – نقد واجتها ص 197 بتصرف .

وذلك بعد اختفاء القيم والنهائية الثابتة المرتكزة على الكلام الأبدي لله ، أو على أسس الميتافيزيقا الكلاسيكية ومسلّماتها [62] .

ب – **الأيديولوجيا** : أن لمصطلح الأيديولوجيا استخدامات عديدة تتوقف على نوعية الأساس المعرفي الذي يصدر عنه ، فحين يستخدم الماديون الجدليون مصطلح الأيديولوجيا فإنهم يوظفونه ضمن دلالات المعرفية المادية الجدلية فيسحبون الأديان السماوية إلى المفهوم الأيديولوجي بوصف هذه الأديان نتاجاً للفكر البشري [63] .

– **التلاعبات الإيديولوجية** : هو استخدام الماضي بشكل أيديولوجي من أجل تحقيق أهداف في الحاضر . فالتراث الإسلامي يتعرّض لهذه التلاعبات على يد قوى سياسية تريد الوصول إلى السلطة ، أو المحافظة عليها إذا كانت تمتلكها . وبما أن التراث الديني يشكّل المشروعية العليا في هذه المجتمعات فإن الجميع يدّعونه أو يحاولون احتكاره لمصالحهم [64] .

د – **الخطاب النبوي** : (أو خطاب النبوّة) لا ينطبق فقط على القرآن ، وإنما يشمل أيضاً التوراة والأناجيل ، والواقع أن للخطاب الديني طريقة متشابهة في استخدام اللغة المجازية [65] الرمزية .

ه – **المتخيّلات الاجتماعية** : المقصود بها المتخيلات الجبارة للرأي العام السائد في الجهة الغربية كما في الجهة الإسلامية . فالغرب يمتلك أيضاً متخيّلاً عن الإسلام ، وهو متخيّلٌ سلبي أو عدائي ومستعد للاستنفار في أي لحظة . والعرب أو المسلمون يمتلكون متخيّلاً (أي صورة) سلبية عن الغرب (الشيطان الأكبر ، الإمبريالية ، الاستعمار...) [66] .

و – **الأرثوذكسية** : فالأرثوذكسية بالمعنى الحرفي تعني الخط المستقيم ، ولكنها بالمعنى الاصطلاحي تعني الجمود والانغلاق وفرض خط واحد من خطوط التأويل بالقوة والقسر ، وبدعم من السلطة السياسية عادة [67] .

---

162 – المصدر السابق ص 59 .

163 – منهجية القرآن المعرفية – أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية ، محمد أبو القاسم حاج حمد ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأوّلى 1424 هـ / 2003 م ص 245 .

164 – قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم الإسلام اليوم ص 71 .

165 – القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 59 .

166 – المصدر السابق ص 139 .

167 – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 16 .

- **الأرثوذكسية الدينية** : هي المذهب الإسلامي الرسمي المعتبر أنه هو وحده المستقيم والصحيح ، وما عداه فمنحرف قليلاً أو كثيراً عن المذهب الصحيح [68] .

- **المؤمنين الأرثوذكسيين** كل المؤمنين المسجونين داخل سياجهم الدوغمائي المغلق . بهذا المعنى فهناك مؤمنون أرثوذكسيون مسلمون ، ومسيحيون ، ويهود ، بل وحتى ماركسيون [69] .

- كيف تشكلت الأرثوذكسية عند المسلمين ؟

يقول أركون : حيث أن كل جماعة تعتقد جازمة بأن الصواب لجانبها ، وغيرها خارج عن المنهج ومن ثم عن الجماعة [70] .

إذا كان القرآن ، مصدراً للجميع ، فلماذا هذا الاختلاف ؟

يجيبنا أركون : القرآن لكل المذاهب وفوق المذاهب والانقسامات اللاحقة . وقد نشأت الانقسامات فيما بعد لأن بعض المسلمين تبنّى التفسير الرمزي (أو الباطني) للنص المؤسس ، والبعض الآخر تبنّى التفسير الحرفي (أو الظاهري) ، بعضهم اتبع مدرسة الكوفة في النحو وقراءة القرآن ، وبعضهم اتبع مدرسة البصرة ... إلخ . فهناك حديث سنّي (البخاري ، ومسلم ، إلخ) ، وهناك حديث شيعي (الكليني ، ابن بابويه ، الخ) ، وهناك حديث إباضي (ابن حبيب ..) ، وقد ترسخت مجموعات الحديث أثناء تشكل المذاهب ومن أجل دعمها وتقويتها وخلع المشروعية عليها ، وقل الأمر نفسه عن التفاسير المختلفة والكتب الجدالية والتبجيلية والحامية ، وهذه هي العملية التي أدعوها بتشكل الأرثوذكسيات في الإسلام [71] .

' – **الإبستمي** : pistèmè : هي النظام الفكري الشامل الذي يتحكّم ضمنياً أو عميقاً أو أركيولوجياً بفترة معرفية بأسره كان ميشيل فوكو قد ميّز بين قطعتين معرفيتين كبيرتين في تاريخ الفكر الأوروبي : الأوّلى تتموضع مع ديكارت وتفصل العصر الكلاسيكي الأوروبي عن العصور الوسطى . والثانية تتموضع مع كانط وتفصل عصر الحداثة أو النظام الفكري للحداثة) عن النظام الفكري للعصر الكلاسيكي . ونلاحظ أن أركون في تحقيبه لتاريخ الفكر العربي الإسلامي يرمي كل هذا الفكر الممتد منذ ظهور الإسلام وحتى القرن التاسع عشر داخل دائرة

---

168 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 101 .

169 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 50 .

170 – الإسلام ، أوروبا ، الغرب – رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ص 193 .

171 – المصدر نفسه ص 193 .

النظام الفكري القروسطي (أو ابستمية العصور الوسطى بحسب مصطلح فوكو) . نقول ذلك على الرغم من أنه يميّز داخل هذه الفترة الطويلة جداً بين مرحلة الإبداع والإنتاج (أي العصر الكلاسيكي الذي ينتهي بموت ابن خلدون / وبين عصور الانحطاط الرتيبة)[172][73] .

ب – **التماسكات المغامرة** : فيقصد به أركون المشاريع الفكرية ، فكل مشروع هو كلٌ متماسك ويغامر من أجل المستقبل أو يُراهن عليه[74] .

ت – **السياج الدوغمائي** : هو العقلية الأرثوذكسية المسجونة داخل نظام عقائدي مغلق لا يناقش ولا يمسّ[75] .

– السياج الدوغمائي المغلق : هو من اختراع أركون ، وهو يعني به أن المؤمن المسيحي مثلاً مسجون داخل عقائده الإيمانية التي يعتبرها مطلقة وكل ما عداها خطأ وضلال[76] .

10 – **المودع المقدس** : المقصود به الوحي التوحيدي (يهود ، مسيحيون ، مسلمون)[77] .

11 – **الشعبوية** : ترجمنا المصطلح السوسيولوجي الفرنسي Populisme بالشعوبية أو بالظاهرة الشعبوية وذلك على غرار وزن الفعلوية أينما ورد : إسلاموية ، ماركسوية ، علمانوية ، عقلانوية ، إلخ .. والشعبوية غير الشعبية ، فالأولى ذات مضمون سلبي والثانية ذات مضمون إيجابي ، ففي حين أن الظواهر الشعبية مليئة بالكرم والعطاء وتنحو باتجاه التحرر والتقدم عادة ، نجد أن الظواهر الشعبوية تدل على التعصب والانغلاق على الذات وكره الآخرين . وهي تنتشر عادة في أوقات الأزمات حيث يظهر قادة محركون يعرفون كيف يهيِّجون الجماهير ويلعبون على وتر العواطف الدنيئة لدى الناس[78] .

---

172 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 14 .

173 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 14 .

174 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 171 .

175 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 42 .

176 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ص 19 .

177 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ، مصدر سابق ص 194 .

178 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 171 .

2 – **الفاعلون الاجتماعيون** : مصطلح سوسيولوجي يعني البشر بكل بساطة ، أو البشر العائشين في المجتمع ، وككل المصطلحات السوسيولوجية ، فإنه يبدو بارداً ، جافاً ، موضوعياً ، ومعلوم أن البشر يتنافسون على شيئين أساسين : المال والسلطة ، أو المعنى والخير . فالإنسان يتنازعه دافعان : دافع القوة والتوسع والتسلُّط على الآخرين ؛ ودافع المحبة وفعل الخير وزيادة المعنى الإبداعي أو الأخلاقي في هذا الوجود . وبالتالي فهناك صراع على مدار التاريخ بين إرادة [79] . القوة والتسلُّط ، وإرادة المعنى [80] .

3 - **الرمزية القرآنية** : بمعنى أن القرآن قد دشّن في اللغة العربية ولأوّل مرة صورة معينة عن التضاد بين السلطة الباغية / والسلطة الجائرة ؛ عن سلطة الخير / وسلطة الشر بالمعنى المطلق للكلمة . ولا تزال هذه الصورة الرمزية مسيطرة على الوعي الإسلامي الجماعي حتى هذه اللحظة بدليل أن الخميني قد استطاع تنشيطها واستخدامها بكل فعالية لتعبئة الجماهير الشعبية الإيرانية [81] .

ليست مطلقة كما نتوهم ، و لم تحصل بين عشية وضحاها . وما قبل الإسلام له علاقة بما بعد الإسلام [82] .

4 – **النزعة الإنسانية** : (أو الفلسفة الإنسانية) ذلك الموقف الذي يحترم الإنسان بحد ذاته ولذاته ويعتبره مركز الكون ومحور القيّم [83] . ويقصد بالنزعة الإنسانية كذلك : ازدهار العقلانية وتراجع الظلامية والتعصب الديني [84] .

– ، ذه هي النزعة الإنسانية ، وقد اكتشفتها مع التوحيدي . وهذا المفهو، لم أخترعا و لم أستعره من أوروبا أو من الغرب كما قد يتوهّم بعضهم . وإنما هي حرك ولدت في منطقة إيرا – العراق

---

179 - المصدر نفسه ص 28 .

180 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 28 .

181 - المصدر نفسه ص 193 .

182 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل · نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 191 .

183 – نزعة الأنسنة في الفكر العربي – جيل مسكويه والتوحيدي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي – بيروت ، الطبعة الأوّلى 1997 ص 10 .

184 - المصدر نفسه ص 12 .

في القرنين الثالث والرابع للهجر (التاسع والعاشر للميلا) . الجاحظ مثلاً كان إنسياً كبيراً ، وزعيم من زعماء الحركة الإنسية [85] .

5 – **مديونية المعنى** : مصطلح من اختراع المفكر الفرنسي مارسيل غوشيه في كتابه : " خيبة العالم " ، وهو يعني به أنك تشعر الدَّين المعنوي اتجاه شخص النبي الذي تطيعه عن طيبة خاطر . ولأنك تشعر بأنك مدين له بالمعنى (بمعنى أنه يقدم لك المعنى الذي تحتاجه أو تبحث عن) فإنك تطيعه حراً مختاراً ، ومعجباً . وهذه الطاعة مختلفة جذرياً عن طاعة السلطة التي تفرض نفسها عليك بالقوة . أما النبي فيكتفي بالتبشير والدعوة وقوة الحجة والإقناع والكلام المبين[86] .

6 – **استهلاك القرآن** : (القراءة الاستهلاكية) ، المقصود بكلمة « الاستهلاك » هنا قراءته قراءة تعبُّدية شعائرية ، وعدم التفكير في قراءته قراءة علمية تاريخية . والواقع ، إن القراءة الأوّلى تهيمن على كل وعي المسلم إلى درجة أنها تستبعد بالضرورة أية محاولة للقراءة الثانية [87] .

7 – **المناخ السيميائي** : مناخ العلامات والرموز والعادات والتقاليد المحيطة بالبيئة الأولى للإنسان . فالمناخ السيميائي (أو الدلالي) المحيط بابن المدينة غير المناخ السيميائي الذي يشهده ويعيشه ابن الأرياف . والمناخ السيميائي المحيط بأبناء الطبقات العليا في المجتمع غير المناخ السيميائي لأبناء الطبقات الشعبية الفقيرة (كل اللغات معنية هنا : طريقة الأكل ، طريقة الجلوس على الطاولة ، أسلوب التحية ، الحركات والإشارات ، المطبخ ، اللبس والأزياء ...) [88] .

8 – **الأنظمة السيميائية** : هي مصطلح ألسني حديث ، وهي كل تظاهرات الدلالة والمعنى في صلب الحياة الاجتماعية للبشر . إنها تشمل اللغة ، وأسلوب التحدث ، وأنظمة المرور ، وطريقة الأكل ... إلخ . ومن الواضح أن هذه الأنظمة تختلف من مجتمع إلى مجتمع ، ومن حضارة إلى حضارة أخرى [89] .

9 – **الآليات السيميائية** : هي كل أساليب الحكاية التي تستخدمها الأخبار الواردة في التفاسير الإسلامية . ومن هذه الأساليب أسلوب العنعنة والتشويق والسرد الذكي للأخبار لكي

---

185 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 260 .

186 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 74 .

187 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 203 .

188 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 171 .

189 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 158 .

يقتنع بها المؤمن ويتشربها دون أية مناقشة أو تساؤل نقدي . ونحن نعلم أن علم الألسنيات والسيميائيات المعاصرة قد أصبح قادراً على تعرية هذه الآليات الخفية للخطاب السردي والقصصي [90] .

0! – **البنية السيميائية** أو الشبكة الدلالية والمعنوية التي تخترق الخطاب القرآني من أوّله إلى آخره . ويصفها أركون بأنها بنية دراماتيكية مثيرة لأنها مسرح للصراع بين عدّة أطراف أو بالأحرى بين طرفين أساسيين : النبي ومن آمن بدعوته ، و الآخرين الذين رفضوا هذه الدعوة . ثم يحصل الصراع المسلَّح بين الطرفين حتى يُحسم لصالح الدين ـ ديد . وبالتالي فهي ـ ة [191] .

يحصل الصراع المسلَّح بين الطرفين حتى يُحسم لصالح الدين الجديد . وبالتالي فهي بنية دراماتيكية ، أي صراعية [92] .

1! – **الوظيفة الكهنوتية** : إنها تمارس أو هي موجود في كل المجتمعات البشرية : فليس هناك من دين بدون رجال دين و اختصاصيين بتسيير أمور التقديس [93] .

2! – **التناص** : هي مصطلح ألسني ونقدي أدبي حديث ، فالنصّ ليس مفرد ولا معزولاً ، وإنما هو ينتمي إلى عائلة معينة من النصوص الأخرى التي تجاوزه ، أو تحيط به ، أو تتقاطع معه ... وكل نصّ هو عبارة عن « امتصاص لجمل نصوص أخرى عديدة ثم صهرها وتحويلها » . فنحن نعتقد بسبب سيطرة المنهجية المثالية للإلهام في النقد الأدبي أنّ النصّ اختراع مفرد لا شبيه له في الواقع ، إذ كل نص : على إبداعيته ، يتقاطع مع جمل نصوص أخرى لأسباب معقّدة ومتشابكة . هذا لا ينفي بالطبع ، فكرة العبقرية أو الإبداع كما فعلت بعض أنواع البنيوية المتطرّفة [194] .

3! – **التداخلية النصّانية** : هي الترجمة للمصطلح الفرنسي ntertextualitè ، أو بالأحرى هي الترجمة التي اخترناها نحن – أركون وهاشم صالح – . وهي تعني أن نصاً ما – كالنصّ القرآني مثلاً – قد يتأثر بالعديد من النصوص السابقة له كالنصّ التوراتي والنصّ الإنجيلي ، بل وحتى ما قبل التوراة والإنجيل . وهكذا تتداخل هذه النصوص – أو مقاطع منها – مع النصّ

---

190 - من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 102 .

191 – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 35 .

192 – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 35 .

193 – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 207 .

194 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 203 .

القرآني ، ويستوعبها هذا الأخير حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ منه . وهذا لا يعني التقليد كما يتوهم بعضهم ، وإنما يعني التفاعل والاستيعاب والدمج المبدع الخلاق . ولذلك نجد في سورة واحدة – ؛ سورة الكهف – أصداء واضحة لثلاثة قصص سابقة هي : قصة أهل الكهف المسيحية ، وملحمة غلغاميش الآشورية ، ورواية الإسكندر الكبير الإغريقية . هكذا نجد ثلاث مرجعيات ثقافية قديمة متداخلة مع النص القرآني أو موظَّفةٌ فيه [95] .

4! – **الإسلاميات التطبيقية** تلك المنهجية الجديدة التي اخترعها هو شخصياً لكي يتجاوز منهجيا الإسلاميات الكلاسيكيا الخاصة بالمستشرقين بعد أن يأخا كل م هو مفيد منها [196] .

25 – **الأشكلة** : يقول هاش صالح : كنت قد ترجمت المصطلح الفرنسي roblèmatisation بالأشكلة ، وأما الفعل فهو أَشْكَل ، يُؤَشْكِلُ roblèmatiser ، أي جعل إشكالياً ما يبدو لنا للوهلة الأولى بدهياً أو تحصيل حاصل . وأشكلة الخطاب الديني تعني بالضبط : الكشف عن تاريخيته أو نزع البداهة عنه . فنحن نعتقد جميعاً أننا نفهم القرآن ونعرف ما هو لمجرد أننا ولدنا في بيئة إسلامية ، أو نعرف الإنجيل لأننا ولدنا في بيئة : مسيحية .. إلخ . ولكننا في الواقع لا نعرف شيئاً . إن كل ما نعرفه هو الصورة التقديسية المتوارثة عنه أباً عن جد منذ مئات السنين . ولكننا نجهل كلياً المعرفة التاريخية به ، أي كيف تَشَكَّل لأوّلِ مرة . وضمن أية ظروف ، وما علاقته بالظروف لتاريخية التي ظهر فيها ، إلخ .. كل هذا نجهله لأن معرفتنا به لا تاريخية ، إنها عبادية و طقسية وشعائرية بالدرجة الأولى [97] .

6! – **العقل السكولاستيكي** : هو العقل المدرساني السائد في الأوساط التعليمية الجامعية الفرنسية ، والذي يردد نفس المقولات ويُحَفِّظُها للطلاب عن ظهر قلب [98] .

سكولاستكي بالمعنى الحرفي والأصلي تعني المدرسي (أي الرأي الذي يعلَّم في المدارس) ، ولكنها بالمعنى الاصطلاحي الشائع تعني الروح الدوغمائية والتكرارية والاجترارية لآراء القدماء [99] .

---

195 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 40 .

96 – المصدر السابق ص 193 .

197 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 53 – 54 .

198 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 17 .

199 – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 12 – 13 .

7 – **الزحزح** : lèplacement ، فأركون يزحزح أوّلاً المفهوم عن موقعه التقليدي الراسخ ، ثم يفككه ثانياً ، لكي يتجاوز معناه التقليدي الراسخ ثالثاً [00] .

8 – **علم الاتنوغرافيا** : هو أحد فروع العلوم الإنسانية ، وقد ظهر المصطلح لأوّل مرة في اللغة الفرنسية عام 833 م . وهو يعني الدراسة الوصفية والتحليلية لكل نشاطات شعب ما أو فئة اجتماعية معينة ، ولذا يمكن ترجمته إلى اللغة العربية بـــ علم خصائص الشعوب » [01] .

النظرة الاتنوغرافية : نظرة البحّاثة والصحفيين الغربيين للشعوب الأخرى وثقافاتها نظرة فولكلورية احتقارية وهذه النظرة سادت في القرن التاسع عشر وفي زمن الاستعمار بشكل خاص ، ولكنها لا تزال سائدة في الباحثين اليمنيين والعنصريين [02]

9 – **علم الأتنولوجيا** : فهو أوسع من علم الاتنوغرافيا وإن كان يحتضنه ويتطابق معه . إنه يدرس الشعوب من كل نواحيها : في لغاتها الشفهية وعاداتها وتقاليدها وأدياتها ، وهو يتبع الدراسة الميدانية على أرض الواقع ولا يكتفي بالوثائق المكتوبة كما يفعل المؤرخ . فهناك شعوب عديدة ليس لها تراث مكتوب ولولا علماء الاتنوغرافيا والاتنولوجيا لضاع كل شيء عنها [203] .

10 – **الفاعل** : يؤدي دوره في النص : الفاعل الأوّل = الله . الفاعل الوسيط = الأنبياء . الفاعل الثالث = البشر : مؤمنون / وغير مؤمنين [04] .

11 – **مجتمعات الكتاب** بدلاً من **أهل الكتاب** . يقول هاشم صالح : لفهم نظرية أركون المعقدة نسبياً عن هذا المصطلح ، أنه أراد بذلك نزع القداسة عن المفهوم الثاني من أجل توضيح الظاهرة التالية : إن مجتمعات بأسرها قد عاشت قروناً طويلة ولا تزال على كتاب واحد هو الكتاب المقدَّس . وهذه هي حالة المجتمعات التوحيدية : من يهودية ومسيحية وإسلامية ... أركون يصرّ على الفرق بين الكلام الشفهي والكلام المكتوب لأهميته على حد زعمه – وانتشاره بين عموم الناس . كما أنه يفقد الكثير من تعاليه بعد أن ينخرط في التاريخ الأرضي ويُستَخدم من قِبَلِ البشر فيتأثر بالتاريخ ويؤثر فيه ، باختصار فإن الكتاب المقدَّس حقيقة هو « أم الكتاب »

---

200 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 28 الهامش

201 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 50 .

202 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 194 .

203 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 50 – 51 .

204 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 157 .

بحسب تعبير القرآن ، وهو محفوظ لدى الله في السماء ، ولا يختلط بالتاريخ الأرضي ومشاكله ، وإنما يبقى منزّهاً متعالياً . وما أُوحي منه في القرآن أو التوراة أو الأناجيل ليس إلا جزءاً يسيراً ، أما تمامية الوحي فهي مسجلة في لوح محفوظ عند الله ﷻ [05] .

- مجتمعات الكتاب بدلاً من (أهل الكتاب) ذي التلوينات التيولوجية الشديدة في اللغة العربية ، وهو يقصد به المجتمعات التي سيطرت عليها ظاهرة الكتاب المقـــدس من توراة وأناجيل وقرآن [06] .

2 – **العلمانيا و العلمانوي** : أركون يفرق بين العلمانية المنفتحة على كل أبعاد الإنسان وبين العلمانوية النضالية الحامية السائدة في فرنسا منذ القرن التاسع عشر ، فالوضعية اعتقدت على إثر " أوغست كونت " أن المرحلة الدينية من تاريخ البشرية قد انتهت بمجيء عهد العلم وبالتالي العلم ، وبالتالي فلا داعي للاهتمام بالدين أو دراسته منذ الآن فصاعداً . [07] في رأي أركون أن الدين يشكل أحد أبعاد الإنسان ولا ينبغي أن يستبعد من مجال الدراسة [08] .

- **العلمنة** بالمعنى الواسع والمنفتح للكلمة . إنها لا تعني القضاء على الدين أو الإيمان كما يتوّهم بعضهم ! على العكس ، إنها تولي أهمية كبرى للبُعد الروحي والديني لدى الإنسان . وهنا يكمن الفرق بينها وبين الفلسفة الوضعية والعلمانية المناضلة التي سادت القرن التاسع عشر ، والتي لا تزال سائدة لدى بعض العلمانيين المتطرّفين الذين يرفضون بشكل قاطع أخذ مسألة البُعد الديني للإنسان بعين الاعتبار [09] .

- يقول أركون : أمّا أنا فأعرِّف **العلْمنة** على الشكل التالي : إنها الموقف الحر والمفتوح للروح أمام مشكلة المعرفة ، ولا شيء ينبغي أن يحول بين الإنسان وبين كشف المجاهيل المادية أو الروحية للوجود [10] .

3 – **علم الإسلاميات** : يحل محل مصطلح الاستشراق منذ فترة حديثة العهد في البيئات العلمية ، وسبب ذلك هو أن المصطلح الثاني قد أصبح مثقلاً بالدلالات الإيديولوجية و الجدالية

---

205 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 72 - 73 بتصرف

206 – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 71 .

207 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 69 .

208 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 69 .

209 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 292 .

210 – المصدر نفسه ص 292 .

نظراً لارتباطه بالفترة الاستعمارية من جهة ، وللهجوم الشديد الذي تعرض له من قِبل المسلمين والعرب من جهة أخرى . وعلى الرغم من ذلك فإن أركون ينتقد المصطلح الجديد لأن أصحابه من علماء الإسلاميات لا يزالون يرفضون تطبيق منهجيات العلوم الإنسانية الحديثة على الإسلا[11] .

4- **القراءة التزامنية** : معناها أي ربط كل كلمة بالمعنى الذي كانت تتخذه في القرن السابع الميلادي وفي شبه الجزيرة أثناء ظهور محمد ، وهذه عملية ليست سهلة على الإطلاق ، لأنها تتطلب منا أن نغوص عميقاً في الزمن إلى الوراء . كما تتطلب منا أن ننسى أنفسنا حالياً والمعاني التي نعطيها لنفس الكلمات : ككلمة إيمان ، كفر ، شرك ، جنة ، نار ، إلخ ...[12] .

5- **الطفرة المعرفي** : هي تحرر الباحث من كل المسلمات واليقنيات التي تلقاها منـ[213] الطفولة من بيئته وعائلته أو من دينه ومذهبه . إن هذا التحرر يمثل الشرط الأولي والضروري من أجل أن ينخرط في ساحة البحث العلمي التحريري المعاصر ، ولكن تحقيق هذه القفزة أو ذاك التحرر ليس أمراً سهلاً ، إنه يتطلب بذل جهد ضخم في مصارعة الذات ومحاولة تغييرها من الداخل ونسف كل العقبات التي تحُول بينه وبين استكشاف آفاق جديدة . سوف نكون متفائلين إذا ما قلنا بأن عدد الباحثين العرب الذين حققوا ذلك يتجاوز أصابع اليد الواحدة[14] .

6- **العلامات - الرموز** (هذ المصطلح الأخير يطابق مصطلح الآيات في القرآن ، فالآية = العلامة – الرمز) . إن المفسـ ن القدامى يعرفون المجاز والكناية والمَثَل والقصة التهذيبية ذات العبرة والموعظ ستخدمون بسهول كل أدوات التعبي في كل الأنظمة السيميائية التي ينتجونها . والخطاب الصوفي هو أحد هذه الأنظمة السيميائية ، مثل في ذلك مثل (اللباس ، والأثاث ، وفن العمار ، والقانون القضائي ، إلخ . .) . ولكنهـ لم يكونوا قادرين على فهم الدور الذي تلعبه كل أدا من هذه الأدوات البلاغية أو الألسنية أو السيميائي في تشكيل المعنى والدلالة[15] .

---

211 – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 43 .

212 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 43 .

213 – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 45 .

214 – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 45 .

215 – الفكر الإسلامي – نقد واجتها ص 158 .

37 - **فضـــاء** : هي كلمة وظفها أركون بدلاً من استخدام كلمة المكان أو المنطقة الجغرافية ، ولكن العلوم الإنسانية الحديثة تفضل استخدام كلمات « مادية » أو فيزيائية تشبه المصطلحات [16] المستخدمة في العلوم الدقيقة [17] .

38 - **الأركيولوجيا** : المعنى المجازي للأركيولوجيا غير المعنى الحرفي الذي يعني علم الآثار أو النبش عن الآثار . أما المعنى المجازي أو الفكري فيدل على البحث العُمقي الذي ينبش عن جذور العقائد والنصوص والنظريات والأفكار لمعرفة كيفية تشكلها ونشأتها [18] .

39 - **مصطلح الأملاك الرمزية** : (أو الثروات الرمزية) مصطلح حديث في علم الاجتماع ... ففي العالم يوجد نوعان من الثروة : الثروة المادية ، والثروة الرمزية . والمقصود بالأملاك الرمزية القيم الدينية والروحية ، فهذه يسيطر عليها رجال الدين وأحياناً يستغلونها [219] لأغراض شخصية فيحولونها إلى أملاك مادية ، ومن الأملاك الرمزية أيضاً الشهرة ، أو اسم العائلة إذا كانت كبيرة وذات جاه ، أو الشهادات الجامعية ، إلخ ... [20]

40 - **إنتاج المعنى** : يقول أركون ماذا يعني ؟ فيجيب : يخيل للقارئ أحياناً أن المعنى موجود في منطقة ما خارج الإنسان أو قبل الإنسان ، وأنه ليس بحاجة إلى إنتاج كما تنتج السلع وبقية الأشياء المادية والاقتصادية . ولكن العلم الحديث يرى أنه لا وجود للمعنى خارج العالم المادي وقوانينه وآلياته ، أو خارج فعاليات الإنسان الذي ينتج معنى وجوده أو يهدمه لكي يعيد تشكيله من جديد [21] .

فكل نظام عقائدي أو فكري ينتج المعنى الذي يعيش عليه الناسُ لفترة تطول أو تقصر . ولكنه ينتج أيضاً **آثارَ المعنى** : أي الآثار السلبية والإيديولوجية المرافقة حتماً لكل معنى . وليس من السهل التفريق بين المعنى / وآثار المعنى ... [222] .

---

216 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 223 .

217 - المصدر نفسه ص 223 .

218 - من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 51 .

219 - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 270 .

220 - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 270 .

221 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 158 .

222 - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 22

- آثار المعنى : هي الاستخدامات الإيديولوجية للمعنى ، وهي استخدامات لا مفر منها ولكن ينبغي تفريقها عن المعنى . والقرآن قدم معنى ما ، وهذا المعنى تعرّض للاستخدامات الإيديولوجية أو اللاهوتية فكان أن نشأت المذاهب الإسلامية المختلفة . فكل مذهب أوّله بطريقة ما ؛ وعن هذا التأويل تشكل المذهب وبما أن القرآن يحتمل عدة تأويلات ككل كتاب ديني عالي المستوى ، فإنه كان لا بد من الاختلاف على تفسيره [23] .

1- **– نظام الحداثة** : – الحداثة ليست معاصرة زمنية أو تزامنية ، وإنّما هي موقف فعلي وتوتر روحي معيّن قد يوجد في أقدم العصور وقد لا يوجد بين معاصريك الذين تأكل معهم وتشرب يومياً . والحداثة التي أتحدَّث عنها الآن عربياً - إسلامياً وليست أوروبية غربية [24] .

و ينتقده أركون لأنه فرّغ الساحة من الهمّ الروحي أو من الروحانيات على الرغم من أنه حرّر الإنسان على أكثر من صعيد . فإن التفكير الفلسفي العلمي لا يهتم كثيراً بدمج مواقع الفكر [225] اللاهوتي والعقائد الدينية داخل منظوره النقدي الخاص . إنه لا يأخذها بعين الاعتبار لكي يقيّم أهميتها ووظائفها المعاصرة بشكل دقيق ... فهو يعتقد أنه قد حلّ المسألـــة الدينية أو تجاوزها نهائياً [26] .

لا يحب أركون أن يستخدم مصطلح **ما بعد الحداثة** ، ولذلك يقول : لعصر الاستطلاعي الجديد ، أو العقل الاستطلاعي المستقبلي ، بدلاً من عصر ما بعد الحداثة أو عقل ما بعد الحداثة [27]

2- **– الفللوجيا** : يترجم عادة إلى اللغة العربية بفقه اللغة : أي التبحر في العلوم اللغوية والنحوية والمعجمية ، ... إلخ . ولكن التعريب ليس موفقاً تماماً ، أو ليس كاملاً . فعلم الفللوجيا في الثقافة الأوروبية كان علم العلوم طيلة عدة قرون وخصوصاً في القرن التاسع عشر وحتى منتصف هذا القرن . فهو يعني تحقيق النصوص القديمة أو المخطوطات على أسس علمية معقدة لا داعي لذكرها هنا . وقد أدى تطبيقه على التراث الأوروبي اليوناني والروماني ثم المسيحي إلى

---

223 – المصدر نفسه ص 35 – 36 .

224 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 260 .

225 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 216 .

226 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 216 .

227 – المصدر نفسه ص 306 .

تحقيق نتائج ممتازة . وعندما ظهر الاستشراق راح يطبقه على تراثنا العربي - الإسلامي فيحقق العديد من النصوص الإسلامية الكلاسيكية والمخطوطات القديمة [28] .

3- **المنهجية السلبية** (التحري السلبي) : دراسة التاريخ من وجهة نظر الاتجاهات المحذوفة والمطموسة والمضطهدة وليس فقط من وجهة نظر التيارات الظافرة والراسخة . لماذا ؟ لأن التاريخ العربي الإسلامي - وتاريخ أي أمة بشكل عام - هو مجموع تياراته من سلطة أو معارضة . ولأن النضج العقلي والفكري يفرض علينا اليوم أن نستوعب كل تيارات تاريخنا لا أن نتعصب لبعضها ونرفض البعض الآخر بشكل مطلق كما يحصل للأسف حتى الآن . هنا أيضاً ندخل في صميم إشكالية الديمقراطية والتعدّدية ونجد أن الماضي البعيد مغروسٌ في لحمة الواقع المعاش ، أين هم الذين يريدون أن يتجاوزا أنفسهم ؟ [29] .

4- **التاريخي** : هي من (المصطلحات) التي تثير مناقشات لا تنتهي إلى الحد الذي تصبح فيه عصيَّة على الاستخدام [30] .

- التاريخي : ذلك الامتياز الذي يتمتع به الإنسان في إنتاج التاريخ بكل أحداثه ومؤسساته المادية والثقافية كمعرفة نموذجية من أجل تسريع حركة التاريخ أو إبطائها ولجمها في المجتمعات الإسلامية [31] .

تاريخانية النص : ظهر مصطلح **التاريخاني** للمرة الأولى عام 937 م ، وهو يعني دراسة الأشياء والأحداث في علاقتها بالظروف التاريخية . يمكن القول أيضا بأن التاريخانية تعني أن كل حقيقة (أو شيء) يتطور مع حركة التاريخ (المترجم اعتماداً على قاموس روبير) [32] .

مفهوم معرفي (إبستمولوجي) معاصر يشير إلى ظروف إنتاج الأفكار ضمن نسق ثقافي واجتماعي تاريخي محدد ، أي خلفيا إنتاج الأفكار والشروط التي تصوغها من حيث مفاهيمها وبنياتها الاستنباطي الخاص بها [33] .

---

228 - من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 45 .

229 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 92 .

230 - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 117 .

231 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 158 . بتصرف .

232 - الفكر الإسلامي قراءة علمية ص 157 .

233 - حفريات المعرفة ، ميشال فوكو ؛ ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية 1987 م ص 96 .

التاريخانية والتاريخي : يجب التمييز بين التاريخانية كمدخل لفهم شروط إنتاج الأفكار ضمن حقبة تاريخية معينة بما يصفه فوكو بأركيولوجية المفاهيم وبين التاريخانية كاتجاه أو منهج يهدف لإحداث قطيعة معرفية مع الموروث التاريخي عبر تنمية الإحساس بالتطور والتغيير . ثم أن التاريخانية كاتجاه أو منهج أو نزعة ضد الموروث لا تقف كفلسفة أخرى تَنْزع نحـــو التغيير والتطور ، من الرومانسية وإلى الماركسية وإلى الليبرالية [34] .

الأرْخَنة : ؛ الكشف عن تاريخية الخطاب القرآني عن طريق ربطه بالبيئة الجغرافية والطبيعية والبشرية – القبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي . ومعلوم أن الخطاب القرآني كان قد برع في التغطية على هذه التاريخية عن طريق ربط نفسه باستمرار بالتعالي الذي يتجاوز التاريخ الأرضي كلياً أو يعلو عليه [35]

يقول هاشم : من الواضح أنه يرفض تبنيه – التاريخانية – من أجل فهم التاريخ أو كتابته على الرغم من أنه يعتبرها مرحلة متقدمة بالنسبة للماضي [36]

- هاشم صالح : هذه هي الترجمة العربية التي اخترتها للمصطلح الفرنسي Historisation = أَرْخَنَة ، أي تجذير الشيء في التاريخية بدلاً من أن يبقى معلقاً في الفراغ أو يتجاوز عنان السماء . وبهذا المعنى فلكل شيء تاريخيته على عكس ما يتوهم الوعي المثالي الأسطوري [37]

- **إسباغ الصبغة** التا يـ ية / **نزع الصبغة** التاريخية ، أو الأَرْخَنة / نزع الأَرْخَنة مثلاً : فمؤرخو العصر العباسي نزعوا الصبغة التاريخية عن فترة الإسلام الأولى وشخصيات الصحابة والأحداث الكبرى التي حصلت آنذاك وحوّلوها إلى أشياء نموذجية ، مثالية ، تتعالى على التاريخية . ثم يجيء جوزيف فان إيس " لكي يسبغ الصبغة التاريخية على كل ما كانت قد نُزعت عنه هذه الصبغة منذ قرون طويلة . من هنا الطابع الثوري الذي لا يتنكر لأعمال " فان إيس " وكل النقد التاريخي الحديث . ولكن عملية الأرخنة هذه سوف تزلزل الوعي الإسلامي المعاصر المتعوّد على [238]

---

234 – العالمية الإسلامية الثانية – جدلية الغيب والإنسان والطبيعة ، دار ابن جزم – بيروت ، الطبعة الثانية 1996 م ، ج 1 ص 141 .

235 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 21 .

236 – الفكر الإسلامي قراءة علمية ص 139 . بتصرف .

237 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 53 .

238 – قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ص 49 .

النظرة التبجيلية أو التقديسية للتراث . وسوف يشهد هذا الوعي عندئذ أزمة حادة تشبه أزمة الوعي الأوروبي عندما طُبق النقد التاريخي على المسيحية [39] .

5 – **المغالطات التاريخية** : هو إسقاط مفاهيم الحاضر على الماضي أو لوم الماضي لأنه لم يعرف ممارسات الحاضر ، لكأنه كان قادراً على فهمها واستيعابها ، أو لكأن كل عصر ليس محكوماً بظروفه وإمكانياته ! وهذه هي النظرة اللاتاريخية للمشاكل والقضايا . والغربيون إذ يستخدمون هذه المغالطات التاريخية ضد الإسلام يقومون بعمل سهل ويستسلمون لأحكامهم المسبقة الموروثة . وأما ردّ المسلمين عليهم عن طريق المبالغات التبجيلية والقول بأن « الإسلام » هو دين التسامح دون غيره ، فإنه لا يفيد شيئاً يذكر [40] .

6 – **الأسطورة** : الأسطورة هنا (Mythe) ، **الخرافة** (Mythologie) : والأوّلى ذات معنى إيجابي بحسب استخدام أركون ، وأما الثانية فذات معنى سلبي . ولذلك يخشى من التباس معناهما في اللغة العربية ، فالأسطورة بالمعنى الأنتربولوجي الذي يستخدمه أركون تعني المجاز الرائع أو الخيال المجنّح أو القصة الحسنة التي لها نـــواة في الواقـــع ، وإن لم تكن واقعيـــة [41] أو تاريخية بالمعنى الحرفي للكلمة : " إنا نقص عليك أحسن القصص " . والعقل الوضعي المتطرف لا يعترف بالأسطورة ولا برطوبة الخيال أو عبق الأوهام . هذا هو المعنى الايجابي والمثالي العذب للأسطورة . إنها السقف الأعلى أو السماء الواسعة التي تظلّل الوجود وتخلع عليه المعنى [42] .

يقصد أركون الطابع الفعّال للخطاب القرآني وبنية الأسطورية أي : المجازية الرمزية المنفتحة على المطلق وتعددية المعنى [43] . ثمّ يُلح أركون قائلاً أشير هنا ، منعاً لكل التباس : أني استخدم كلمة أسطوري بالمعنى الأنتربولوجي وليس بالمعنى العربي لكلمة خرافة ، وبالتالي فليس للكلمة أي معنى سلبي [44] .

---

239 – المصدر نفسه ص 49 .

240 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 122

241 – المصدر نفسه ص 52

242 – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 52

243 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 167 .

244 – المصدر نفسه ص 292 .

أن شخصية الإمام عليّ بشكل خاص والشخصيات الكبرى في الإسلام بشكل عام يختلط فيها الجانب التاريخي الواقعي بالجانب التقديسي المضخَّم إلى حد يصبح فيه متعذراً الفصل بينهما أو التمييز بينهما . إن نفس الظاهرة موجودة في الأديان الأخرى وحتى في الماركسية حيث تتحول شخصية ماركس إلى شخصية فوق تاريخية معصومة أسطورية [45] .

7. – **الاندهاش أو الإعجاب** : يعرفه أركون بأنه الحيرة التي تستبد بالإنسان بسبب عدم قدرته على معرفة علة الشيء أو سببه ، أو الطريقة التي ينبغي إتباعها للتأثير عليه ... وينتهي الاندهاش أو الإعجاب بسبب الألفة والرؤية المتكررة ... أما الغريب فهو الظاهرة المدهشة التي تحصل نادراً وتختلف عن العادات المعروفة والمناظر المألوفة [46] .

وهكذا نكون قد أنهينا التعريف بالمصطلحات ، والتي بلغ عددها سبعة وأربعين (47) مصطلحاً ، وهذا العدد يُعتبر قليلاً مقارنة مع توظيف أركون المفرط لها ، غير أني اقتصرت فقط على المصطلحات التي اعتقدت أن لها علاقة مباشرة بدراستنا .

245 – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 159 .

246 – الفكر الإسلامي قراءة علمية ص 189 .

الفصل الأوّل
القراءة الحداثية للسور المنتقاة

المبحث الأوّل :
القراءة الحداثية للسور المكية

المبحث الثاني :
القراءة الحداثية للسور المدنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور المكية

أوّلاً : سورة الفاتحة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ الفاتحة – 1 .

بداية أشير إلى أن أركون توسل بالقراءات الثلاث (القراءة الألسنية ، والقراءة التاريخية ، والقراءة الأنتربولوجية) ، في هذه السورة الكريمة ، وهذا يدل على عظمتها ، بالرغم من قلة عدد آياتها وقد حدد مسار دراسته في ثلاث مراحل حيث يقول :

- سوف نحدد أوّلاً الشيء الذي سنقرؤه .
- ثم ننتقل إلى تنفيذ القراءة المعيّنة بالذات أو ما أُسمّيه : اللحظة الألسنية (أو اللغوية .
- وأخيراً سوف نتأمل قليلاً في ما يمكن أن ندعوه بـــ « العلاقة النقدية »[47] .

– ما هو الشيء الذي سنقرؤه ؟

أركون نجده بداية ، ينبه على أن التحديدات التي كان قد اختارها ، من أجل الانخراط في بحثٍ عن الأسس الإبستمولوجية لتشكيل فكر ديني جدير باللحظة الراهنة ، إنها لا تنطوي إلاّ على قيمة استكشافية ، بل هي مجرد محاولة ، كما يقول : إن التحديدات التي سندخلها هنا ليس لها إلا قيمة المواقع – المقترحات الكشفية أو الاستكشافية – وهي لا تزعم الارتباط بأية إبستمولوجيا جاهزة[248] .

كما ينبه على ضعف وعجز القراءة الألسنية ، وخاصـــة إذا كان الأمر يتعلق بالنصوص المقدسة : ونحن واعون ، في الواقع ، بالنواقص أو نقاط الضعف التي تعتري القراءة الألسنية ، وبخاصة عندما تُطبق على ما يدعي بالكتابات المقدسة[49] .

---

247 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 12 .

248 – المصدر نفسه ص 12 .

249 – المصدر نفسه ص 12 .

نجد أيضاً أن أركون لا يريد أن يرهق القارئ ، بإدماجه في التحليل الدلالي ، بل يريد ألا يخرجه من دائرة القراءة الألسنية ، قائلاً : سنوفر على أنفسنا وعلى القُّراء ذلك الجهد الهائل الذي تتطلّبه مصطلحات ، علم التحليل الدلالي ولذلك ، فإننا سوف نستمر في التحدّث عن قراءة ألسنية [50] أكثر مما هي سيميائية أو علاماتية [51] .

الشيء الذي سنقرؤه ، هو نص قصير : وهو يُشكّل جزءاً من نصّ أكبر وأكثر اتساعاً كان قد نقل إلينا تحت اسم **القرآن** .. من الناحية الألسنية أو اللغوية يُمكن القول بأن القرآن عبارة عن مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات أو المنطوقات المكتوبة باللغة العربية [52] .

الفاتحة : منشأ المفهوم و بروتوكول القراءة :

بعدما عَرَفنا النص الذي سوف نقرؤه ، ونسير تحت ظلاله في هذه المبحث ، نجد أن أركون يولي أهمية بالغة للترتيب الزمني لهذه السورة تتلّ في الترتيب الكرونولوجي الرقم 46 . فما السبب في ذلك يا ترى ؟

يجيبُ : يمكن القول بأنه من المفيد ، على الأقل تاريخياً ، أن نقرأ **الفاتحة** من خلال السياق الممتد من السورة رقم (ـ) إلى السورة رقم (46 ... أن ترتيب سورة الفاتحة له دور كبير في توليد المعاني والدلالات ، وتعبر بأمانة عن المقاصد الأوّلى المتضمَّنة في الحالة الانبنائية الأصلية ، ولكن يقول : لا نستطيع الجزم بشكل صحيح ودقيق عن رقمها بين السور القرآنية [53] .

و لم يكتف أركون بمحاولة معرفة الترتيب الصحيح لسورة الفاتحة بشكل قاطع ، بل أضاف شرطاً ثانياً و هو : ألا تكون السورة غائبة عن مدونة ابن مسعود ومدونة ابن عباس (أو مصحف ابن مسعود ، ومصحف ابن عباس) [54] .

أ – منشأ المفهوم :

---

[50] – أركون يتبرأ من انتمائه إلى أي مدرسة ألسنية فهو يقول : مهما يكن من أمر ، فإننا نعلن قائلين منذ البداية بأننا لا نخضع لأي مدرسة ألسنية محدّدة دون غيرها (يعني أنه يغترف من الجميع) ، يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 13] . وكذلك يُنظر ص 21] ، المصدر نفسه . يتبرأ مرة أخرى من تفضليه لأية مدرسة ألسنية على غيرها .

[51] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 13] .

[52] – المصدر نفسه ص 13] .

[253] – المصدر نفسه ص 18] .

[254] – المصدر نفسه ص 18] .

إن مفهوم الفاتحة يحيلنا أساساً إلى جميع القيّم الشعائرية ، واللاهوتية ، واللغوية ، والسياقية . وهي قيم مُدْرَكة أو مُسْقَطة على المنطوقة الثانية عن طريق تراث تفسيري طويل ... الواقع أنه ينبغي[55] أن تُتلَى الفاتحة في بداية كل ركعة من ركعات الصلاة الإسلامية : أي سبع عشرة مرّة (7) في اليوم على الأقل . وهذه الحالة تعقّد مهام قراءتنا[56] .

لقد استخدم أركون مصطلحات ألسنية ، فعبارة المنطوقة بدل الآية ، وفي مواضع أخرى استخدم عبارة المدوَّنة النصية[57] بدلاً من القرآن الكريم ، فما سبب ذلك يا ترى ؟

يجيبنا نيابة عنه تلميذه هاشم صالح : وسبب ذلك هو أنه يريد تحييد الشحنات اللاهوتية التي سرعان ما تستحوذ على وعينا عندما نتحدث عن القرآن . فالقداسة التي تحيط بالقرآن منذ قرون تمنعنا من أن نراه كما هو : أي كنص لغوي مؤلّف من كلمات . وحروف ، وتركيبات لغوية ونحوية وبلاغية ...[58] .

ب – منشأ بروتوكولات القراءة :

فبدءاً مـــن اللحظة التي تتخذ فيها المنطوقة الأوّلى وظائف المنطوقة الثانية[59] ومضامينها المتعددة ، فإن هناك ثلاثة بروتوكولات تفرض نفسها علينا :

---

255 – المصدر نفسه ص 19 بتصرف .

256 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 19 بتصرف .

257 – يقول أركون : من المفيد أن نلاحظ أن هذا الغياب يطرح مشكلة أساسية ، بل وحاسمة . وكان الرازي قد قدَّم عنها هذه الصياغة الحادّة : (جاء في كتب القدماء أن ابن مسعود أنكر أن الفاتحة تشكل جزءاً من القرآن . وأنكر أيضاً أن المعوّذتين تشكلان جزءاً منه . أعلمْ أنه توجد هنا صعوبة كبيرة . فإذا ما قلنا بأن التواتر كان قد حدث في زمن الصحابة وفيه أن القرآن يشتمل على الفاتحة ، فإن ذلك يعني أن ابن مسعود كان على علم بذلك . وبالتالي فإن إنكاره يعني الكفر أو النقص العقلي . وإذا ما قلنا بأن التواتر بالمعنى المشار إليه لم يحصل في ذلك الزمن ، فإن ذلك يرغمنا على القول بأن نقل القرآن لم يحصل عن طريق التواتر في البداية ، وبالتالي فإنه يكفّ عن كونه برهاناً موثوقاً . وهكذا نميل إلى الاعتقاد بأن نقل هذا الموقف عن طريق ابن مسعود كاذب وخاطئ . وعلى هذا النحو يُمكننا حلّ هذا الإشكال أو تجاوزه) . مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأوّلى 1981 م ج ص 15 . يواصل أركون قائلاً : إن هذا المقطع يدل دلالة بالغة على إستراتيجية الرفض المتبعة من قِبَلِ الفكر الدوغمائي من أجل إفشال الفكر النقدي . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 18 .

258 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . هامش ص 19 بتصرف .

259 – يقصد أركون أن هناك منطوقة أو عبارة أوّلى تخص الجمل التي تلفَّظ بها النبي ﷺ حقيقة ضمن ظروف لا يمكن أن نعرفها أبداً ، ومنطوقة ثانية تخص النص المعطى لنا ، والذي وصل إلينا كتابة .

- **بروتوكول القراءة الطقسية أو الشعائرية** : بالطبع فإن هذه القراءة هي وحدها الصالحة أو الصحيحة من وجهة نظر الوعي الإسلامي . وهذا يعني أنه يتلقى من جديد بالحالة العامة للخطاب الخاصّ بالمنطوقة الأوّلى إنه يلتقي بالمواقف الشعائرية ، والتواصل الروحي مع جماعة المؤمنين الحاضرين والغائبين ، وهي آياتٌ تشفع له عند الله يوم القيامة ، وتنقذ روحه ، آيات منفتحة على الدين كله[60] .

تُتلَى **الفاتحة** في بداية كل ركعة من ركعات الصلاة ، سبع عشرة مرّة (17) في اليوم على الأقل ، فالمسلم إذ يكرر هذه السورة ، فكأنه يعيد تحيين أو تجسيد اللحظة التدشينية التي تلفظ بها النبي ﷺ لأوّل مرة الفاتحة ، وكأني بأركون يردد الحديث القدسي[61] بطريقته الخاصة ، وأعتقد أنه قد أصاب عندما أطلق تسمية بروتوكول .

- **البروتوكول التفسيري** : إنّ القراءة التفسيرية تتميّز باعتماد المنطوقة الثانية بصفتها نصّاً ذا وصاية ، وهو الذي اتبعه المؤمنون منذ أن كانوا قد تعرّفوا على المنطوقة الأولى ، وهكذا شكّلوا أدبيات تفسيرية غزيرة على مدار قرون ، وأحد النصوص أو التفاسير الأكثر غنى على هذا أدبيات تفسيرية غزيرة على مدار قرون ، وأحد النصوص أو التفاسير الأكثر غنى على هذا الصعيد هو تفسير[62] فخر الدين الرازي (544 - 606 هـ / 1149 - 1209 م)[63] .

بعدما قام أركون بمسح تاريخي في تسمية البروتوكولين الآنفين و لم يجد صعوبة في تسميتهما باعتماده على أرضية سابقة له ، عاد لحاضره ، فوجد أرضاً بوراً ، فأخذ يلتمس الأعذار لنفسه

---

[260] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 19 - 20 بتصرف .

[261] – قال الله ﷻ : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثنى علي عبدي وإذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدني عبدي – وقال مرةً فوض إلي عبدي – وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإن قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . حديث قدسي صحيح رواه أبو هريرة و أخرجه مالك والبخاري ومسلم - رحمهم الله – .

[262] – يقول الرازي أثناء تفسيره لسورة الفاتحة : أعلم أنه مرَّ على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة – الفاتحة – يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة ؟ ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي ، ج 1 ص 18 . بالرغم أنه خصص لتفسير سورة الفاتحة مجلدا كاملاً .

[263] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 20 بتصرف .

[64] ، حيث قال هنا : " وبما أننا لا نمتلك تسمية أفضل فإننا سندعوه بالبروتوكول الألسني النقدي [65] . فقد غابت الصرامة المنهجية التي يأملها ، عندما بدأ في عملية التطبيق ، فهو يقول :

– **البروتوكول الألسني النقدي** : سوف تكون قراءتنا ألسنية أو لغوية أوّلاً لأنها تهدف ، بقدر[266] الإمكان ، إلى تبيان القيم اللغوية المحضة للنصّ . ولكنها ستكون نقدية أيضاً بمعنى أن كل ما سنقوله لن تكون له إلاّ **قيمة استكشافية أو افتراضية** في نظرنا [67] .

لقد أنصف أركون ، وكان موضوعيا عندما أشار إلى مفاصل القراءة الكلاسيكية ومفاصل القراءة الحداثية ، ليفتح أمام القارئ مساحة واسعة يستطيع من خلالها ترك الحرية لفكره ليتجول فيها و يتعرف على النقاط الإيجابية ، ومكامن الضعف لدى كل قراءة ، فيبدأ قائلاً : قبل أن نشرع بقراءتنا الخاصة بسورة **الفاتحة** ، فإنه يبدو لنا مفيداً أن نذَكِّرَ بالمبادئ التي تتحكَّم بالقراءة التفسيرية ، وتلك التي تتحكَّم بالقراءة الألسنية النقدية . وبعدئذ يستطيع القارئ أن يقيس بشكل أفضل ضرورة إعادة القراءة ووعودها ، أو الخير العميم الناتج عنها [68] .

وسوف أذكر هذه المبادئ حرفيا كما هي ، حتى أبعد كل ضبابية من شأنها أن تؤدي إلى غبش في مقصد أركون بسبب الاختزال الذي يقع على كلامه سواء كان سلباً أو إيجاباً .

بداية سأذكر المبادئ التي تتحكم في القراءة الكلاسيكية مرتبة كما ذكرها ، ثم انتقل ثانيا للمبادئ التي تتحكم في القراءة الألسنية (النقدية) التي يتبناها أركون ، دون أن يلغي القراءة السابقة[69] .

– المبادئ التي تتحكَّم في القراءة التفسيرية (الكلاسيكية) :

---

[264] – أركون يتأسف و يعترف بعدم وجود نموذجاً على ضوئه يستلهم قراءة مثمرة لجميع هذه النصوص الثانية ، ويقول : لا نملك في اللحظة الراهنة دراسة أكاديمية دقيقة واحدة على الأقل من التفاسير الكلاسيكية ، ويفهمنا القارئ إذا ما قلنا له بأننا غير قادرين على فعل ذلك هنا . ولكن يأمل بأن يقدّم في الصفحات التالية نموذجاً موحياً من أجل القيام بقراءة مثمرة لجميع هذه النصوص الثانية .

[265] – المصدر نفسه ص 120 .

[266] – المصدر نفسه ص 121 .

[267] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 121 .

[268] – المصدر نفسه ص 121 .

[269] – يُنظر : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 37 .

لندع أركون يعدد لنا هذه المسلّمات التي : " تُمارس دورها أو فعلها كمسلّمات ضمنية أو صريحة ، ويبلغ عددها ثمانية مبادئ [70] " :

1 – الله موجود . إنه هو الذي هو . ولا أستطيع أن أتحدّث عنه بشكل مطابق أو صحيح إلاّ من خلال الكلمات التي اختارها هو نفسه واستخدمها كلامه .

2 لقد تكلّم إلى جميع البشر باللغة العربية لآخر مرة ومن خلال محمد (أو بواسطة .

3 لقد استُقبِل كلامه أو جُمِع في مدوَّنة صحيحة موثوقة هي : القرآن .

4 إنّ كلامه يقول كل شيء عن كينونتي أو وجودي ، وعن كينونة العالم أو وجوده ؛ وعن وضعي [271]

في العالَم ؛ وعن وجودي ، وقدَري ، ومصيري .. إلخ . ولا يمكنني أن أرفضه في أي شيء ؛ ولا في أية لحظ [72] .

نلاحظ أن هذه المبادئ الأربعة مستمدة ، وإن لم يصرح أركون بذلك من الآيات الكريمة وهي كثيرة نذكر منها : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ البقرة 285 ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ النساء 136 . والحديث الصحيح المشهور ، الخاص بأركان الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومر » [273] .

5 كل ما يقوله هو الحقيقة الوحيدة ، وكلّ الحقيقة .

---

[270] – هذه المسلّمات العليا هي التي تتحكَّم بالفكر الإسلامي منذ أن كان قد وجد وحتى اليوم ، وهي تتخذ طابع التقديس و المعصومية ، كما أنها تشكل النموذج المثالي الأعلى ، الذي لا يزال مهيمناً حتى الآن . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 21 بتصرف .

[71] – المصدر نفسه ص 121 .

[272] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 121 .

[273] – العقائد الإسلامية – من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ابن باديس ، دار الفتح – الشارقة ، الطبعة الأولى 1995 م ص 41 .

6 يُمكنني أن أحدّد (أو أعرف) هذه الحقيقة ، بل وينبغي عليّ أن أعرفها عن طريق الاستعانة بأقوال الجيل الشاهد عليها : أقصد جيل المؤمنين الأوائل الذين تلقوا الوحي من فم النبي مباشرةً ، والذين طبّقوه عملياً فيما بعد . ولذا ، فإن هذا الجيل يشكّل العصر التدشيني الأمثل (أو ما يُدعى في اللغة الإسلامية بالصدر الأوّل) [74] .

نعم يجب أن نؤمن أن الله ﷻ محيط بكل شيء علماً جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً . ويجب أن نحسن الظن بمن نقل لنا هذا الدين . وكيف لا ! وقد رضي الله عنهم ، و لم يدخروا أي جُهد ، وبذلوا الأرواح والأموال ، من أجل إعلاء هذا الدين .

7 إن موت النبي سجن جميع المؤمنين أو بالأحرى وضعهم داخل إطار الدائرة التأويلية [75] . بمعنى أن كل واحد منهم أصبح منذ الآن فصاعداً في مواجهة نصّ يمثّل (أو بالأحرى) يُجسِّد الكلام المطلق[76] .

لقد كان المصطفى ﷺ ، المعلم والمُربي لصحابته الكرام ، وكان ملاذهم الآمن كلما استجد في واقعهم خطب ، ولما التحق ﷺ بالرفيق الأعلى ، ترك صحابته على المحجة البيضاء ، فأخذوا رضي الله عنهم ، يوظفون ما دربهم عليه نبيهم [77] ، مستندهم من بعده على كتاب الله ﷻ والسنة النبوية الشريفة .

8 - إن علم النحو ، وعلم اللغة التاريخي (الفيلولوجيا) ، وعلم البلاغة ، وعلم المنطق ، كلها تعلّمني تقنيات الوصول إلى المعنى وتقنيات إنتاج المعنى [78] .

ما ذكره أركون آنفا ، والذي يعد من علوم الآلة ، فهي أدوات يتوسل بها لدى النص ، ليجود بما لديه ظاهراً وباطناً ، وهذا يعد ميزة لأصحاب القراءة التفسيرية (الكلاسيكية) ، والتي كانت متاحة في حينها . كما نجد أركون الآن يريد توظيف المناهج الغربية الحديثة ، ليقرأ بها النص

---

274 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 122 .

275 – يقول هاشم صالح : الدائرة التأويلية هي المصطلح العربي الذي اخترناه ، والمقصود به التموضع داخل المعادلة التالية : ((ينبغي عليك أن تؤمن أوّلاً لكي تستطيع أن تفهم النصّ ، وأن تفهم لكي تؤمن بالنصّ) . وبالتالي ، فالإيمان والفهم مترابطان مع بعضهما البعض داخل دائرة مغلقة هي : الدائرة التأويلية . المصدر نفسه ص 22 بتصرف .

276 – المصدر نفسه ص 122 .

277 – لقد كان ﷺ يدرب صحابته بالسؤال : أتدرون ما كذا ؟ ، أو مثل اختبار معاذ عندما أرسله لليمن ، ... ومثل هذه المواقف كثيرُ في كتب التفاسير والأحاديث .

278 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 122 .

الديني ، ويصر على أنه لا يوجد بديل غيرها ، وأنّ – هذه المناهج – ستحقق لنا نتائج مرضية عند تطبيقها .

– المبادئ التي تتحكّم في القراءة الألسنية (النقدية

بعد ذكر هذه المبادئ الثمانية الخاصة بالقراءة الكلاسيكية ، سوف أذكر المبادئ التي تتحكّم في القراءة الألسنية حرفيا كما فعلت آنفاً ، والتي وصفها أركون بأنها مبادئ توجيهية (بحذر) على عكس المبادئ الكلاسيكية التي وصفها بأنها مسلّمات ، فيقول : لقد آن الأوان لكي نعدد المبادئ التوجيهية التي ستتحكّم بقراءتنا . وهي خمسة مبادئ يمكن أن ننصّ عليها كما يلي :

. – إن الإنسان يمثّل مشكلة محسوسة بالنسبة للإنسان (لقد عبّر عليها التوحيدي عن هذا المبدأ بكلمات مشابهة عندما قال : وقد وجدت أن الإنسان أشكل عليه الإنسان »[79] .

! – إنّ معرفة الواقع بشكل صحيح مطابق هي مسؤوليتي ، ومسؤوليتي وحدي (نقصد بالواقع : العالَم ، الكائن الحيّ المعنى .. إلخ)[80] .

ما ذكره أركون في هذين المبدأين ، هو ما جاء من أجله الإسلام ، وحاول أتباعه تطبيقه ، بل ذهبوا أبعد من ذلك عندما قالوا : بحق الله تعالى ، وحق الإنسان ، وشددوا في الحفاظ على حق هذا الأخير ؛ على حساب حق الله تعالى ، وحتى في التعامل مع كـــلام الله ﷻ ، نظروا إلى قدرة الإنسان ، فقد عرّف محمد علي سلامة في كتابه منهج الفرقان في علوم القرآن التفسير :" بأنه علم يُبحثُ فيه عن أحوال القرآن المجيد ، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[81] .

وأعتقد أن الطاقة البشرية يراعى فيها : الخلفية الفقهية للمفسر (العلوم الشرعية) ، الإمكانات الفطرية (كالذكاء ، وسرعة البداهة ، ..) ، المعارف (ثقافة عصر المفسر .

نواصل ذكر بقية المبادئ الثلاثة :

؛ – إنّ هذه المعرفة تشكّل (في اللحظة الراهنة من التاريخ ومن وجود الجنس البشري) جهداً متواصلاً من أجل تجاوز الإكراهات البيولوجية – الفيزيائية ، والاقتصادية ، والسياسية ، واللغوية .

---

[79] – يقول أركون : ينظر بهذا الصدد كتابي : النزعة الإنسانية العربية في القرن الرابع الهجري : مسكويه مؤرِّخا وفيلسوفاً . وينظر أيضاً البحث المنشور في كتابي : مقالات في الفكر الإسلامي (بالفرنسية) ، والذي يحمل العنوان التالي : النزعة الإنسانية العربية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي طبقاً لكتاب الهوامل والشوامل . القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 123 .

[80] – المصدر نفسه ص 123 .

[81] – التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، الناشر مكتبة وهبة – القاهرة ، لا يوجد عدد الطبعة والسنة . ج ص 3 .

وهي الإكراهات (أو القيود) التي تحدّ من شرطي الوجودي بصفتي كائناً حياً (وإذن قابلاً للموت) ، ومتكلماً ، وسياسياً ، وتاريخياً ، واقتصادياً (وإذن عامـــلاً أو مشتغـــلاً) .

ا – هذه المعرفة هي عبارة عن خروج متكرر – وبالتالي مجازفة مستمرة خارج حدود السياج المغلق الذي يميل كل تراث ثقافي إلى تشكيله بعد أن يعيش مرحلة من البلورة المكثّفة .

5 – هذا الخروج يتوافق مع مسارين في آن معاً : مسار الصوفيّ الذي يقوم بحركة روحية لا تستقر في أي مرحلة من مراحل السلوك نحو الله ؛ ومسار الباحث الذي يتخذ البحث العلمي بمثابة حلٍّ تقريبي مؤقت ، أي أنه مدعو إلى تجاوزه في مرحلة لاحقة[82] .

بعد أن إنتهى أركون من سرد مبادئه الخمسة ، فهو لا يكتم تخوفه من ردود فعل معاكسة لما يريد التعبير عنه ، وكله أمل : أن تكون هذه المبادئ واضحة بما فيه الكفاية ؛ وبالتالي قادرة على تحاشي كل سوء تفاهم ... يحوّل جهدنا إمّا إلى مشروع تبجيلي ، وإمّا إلى محاولة للتفسير الاختزالي[83] .

2 – اللحظة الألسنية (أو اللغوية) :

أركون يكتب سورة الفاتحة بلغتها الأصلية ، متبعها بثلاث ملاحظات .

ملاحظات :

. – لم يتفق الفقهاء والمفسِّرون القدامى على دمج الآية الأوّلى في سورة الفاتحة أو استبعادها . ولا نريد هنا أن نتخذ موقفاً من هذه المناقشة التي تتجاوز الحالة الخاصة لسورة الفاتحة[84] .

! – إن قراءتنا سوف تعتمد على النصّ العربي وليس على الترجمة الفرنسية[85] .

؛ – إنّ هذا التمييز بين النصّ الأصلي والنصّ المترجم ضروري جداً[286] ، بل ولا مندوحة عنه ، من أجل وصف عملية القول أو النطق . ولكنه أقل ضرورةً في ما يخصّ تحليل المقَالْ أو مضمون المقال (أو عملية النطق ، وتحليل المنطوقة)[87] .

---

282 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 123 .

283 – المصدر نفسه ص 124 .

284 – يقول أركون : نريد أن نلاحظ أن هذه الآية – بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ – تتكرر في بداية كل سورة من سور القرآن ما عدا سورة التوبة . وهذه الآية عبارة عن صيغة تشفُّعية أو استرضائية وتشكّل بحد ذاتها نصّاً قصيراً يمكن قراءته لوحده وسوف نرى أن التحليل الألسني سيدعم بالأحرى موقف أولئك الذين كانوا ضد دمج الآية في الفاتحة . القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 124 .

285 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 24 - 25 بتصرف .

ينقلنا أركون الآن إلى نص الفاتحة ، قائلاً : إليكم النص العربي الذي سوف نقرؤه في كلّيته :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ الفاتحة - 7 .

* **عملية القول (أو عملية النطق) :**

يذكر أركون أن علم الألسنيات المعاصر أصبح قادراً على أن يُميّزُ بين عملية النطق (أو فعل إنتاج النصّ) من قِبَلِ متكلّم ، وبين المنطوقة (أو العبارة) التي هي النصّ المُنْجَز (أو المُتحقَّق) ، فما الفائدة يا ترى التي سنجنيها ، من خلال التفريق بينهما ؟

يقول أركون : فائدة هذا التمييز هي أنها تتيح لنا أن نقيِّم درجة تدخل الذات المتكلمة أثناء عملية النطق وأنماط هذا التدخل [288] .

بعدما عَرَّفنا أركون بفائدة التمييز بين عملية القول وبين المنطوقة (النص المنجز) ، انتقل إلى مرحلة الدراسة النحوية البحتة ، كاشفاً العناصر الضرورية - بحسب ترتيبها وقوتها - التي تشكل كيان عملية القول (أو عملية النطق) : " التي ندعوها بصائغات الخطاب [289] أو بمشَكِّلاتِه التي تصوغه على هيئة مُعَيّنة ، وهي تَتَابع كما يلي :

أ – المحدِّدات أو المعرِّفات (من أدوات تعريف وتنكير ، وصفات ، وضمائر .

ب – النظام الفعلي .

ج – النظام الاسمي .

د – البُنى النّحوية .

---

[286] – لو لم يقل أركون بذلك لناقض كلامه المتكرر في عدة مواضع ، وهو أنه توجد مسافة فاصلة بين القرآن الشفهي والمكتوب ، أو بين المنطوق الأوّل والمنطوق الثاني وهو يتّم على مستوى لغة القرآن (أي لغة واحدة) ، فما بالك بلغة أخرى .

[287] – المصدر نفسه ص 24 - 25 بتصرف .

[288] – المصدر نفسه ص 25 .

[289] – يقول هاشم صالح : صائغات الخطاب هي حروف اللغة ، وألفاظها ، وأسماؤها ، وبنيتها الصرفية والنحوية . وحروف الجـرّ ، و " أل " التعريف ، والتنكير ، والصفات ، والضمائر ... هذه الأشياء تتدخل في تشكيل الخطاب ، وقد استخدمت بطريقة مُعينة في القرآن من أجل التوصل إلى أفضل صياغة لتوصيل المعنى إلى السامع أو القارئ والتأثير فيه بأقوى ما يكون . وهذه الصياغة هي ما يدعوه أركون بالنَظْمِ والإيقاع ، أو الأوزان والعَرُوض . القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 25 بتصرف .

هـ – النّظْم والإيقاع (إنْ لم نقل الأوزان والعَروض) [90] " .

هل يهدف أركون من وراء هذا إلى كشف المعايير النحوية للغة العربية ؟

يجيب أركون : لا نهدف إلى كشف المعايير النحوية للغة العربية ، بقدر ما نهدف إلى فهم خيارات المتكلّم (أو الناطق) ، أقصد سبب اختياره لهذه الكلمة دون غيرها ... وكلّما حدّدنا بصرامة ودقة صائغات الخطاب ، كلما اقتربنا بالتالي من مقصد المتكلّم الناطق) : وذلك ضمن الإمكانيات التي يتيحها نظام اللغ [91] .

– **المحدِّدات أو المعرِّفات** :

نلاحظ أوّلاً أن جميع الأسماء (من مصادر ، أو أسماء الفاعل والمفعول به أو الصفات الاسمية) محدَّدة إمّا بواسطة " أل " التعريف ، وإمّا بواسطة تكملة تعريفيا [92] .

- والسؤال الذي نريد إيصاله لأركون : ما فائدة الأسماء المعرفة بـ " أل " التعريف ، و بواسطة تكملة تعريفية ؟

يقول أركون : هذا يعني أن كل ما يتحدث عنه المتكلّم معروف تماماً أو قابل لأن يُعرف [93] .

---

[290] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 125 .

[291] – المصدر نفسه ص 25 بتصرف .

[92] – المصدر نفسه ص 126 .

[293] – المصدر نفسه ص 126 .

جدول لخصت فيه المحدِّدات أو المعرِّفات

الأسماء	نوعها	أداة التعريف
الحمد	مصدر	" أل " التعريف
مالك	اسم فاعل	معرف بالإضافة
الضالين	اسم فاعل	أل
المغضوب	اسم مفعول	أل
الصراط	مفعول به ثان	أل
الرحمن	بدل عن اسم الله	أل
الرحيم	بدل عن اسم الله	أل
رب العالمين	بدل عن اسم الله	معرف بالإضافة
المستقيم	صفة	أل
يوم الدين	مضاف	معرف بالإضافة

ويبرز هنا أركون الدور الرئيسي لكلمة الله ﷻ : وباستثناء الحمد ، الصراط ، المغضوب والضالين ،

فإن جميع التحديدات أو الأسماء الأخرى مسبوقة بكلمة « ال » أو مُقادة من قِبَلِه[94] .

الله ﷻ ← الأسماء المسبوقة ← الرَّحْمَـــنِ ، الرَّحِيمِ ، رَبِّ الْعَالَمِين .

- - - الأسماء المقادة - - إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ، اهدِنَا الصِّرَاط ...

وهذه الكلمة - أي : الله - تحتلّ مكانة مركزية وأساسية من حيث المعنى ، على الرغم من أنها لا ترد كفاعل نحوي إلاّ مرة واحدة : أنعمتَ . إنّ الله محدّد في آن معاً من قبل أداة التعريف " أل " ، ومن[95] قبل سلسلة من أسماء البدل[96] .

وتتضح هذه المركزية لله ﷻ من خلال هذا المخطط

---

[294] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 126 .

[295] – يقول هاشم المقصود بأسماء البدل : الرحمن الرحيم . وهما كلمتان تردان بعد كلمة الله في الآية : { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } . أما عبارة { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } ، فهي أيضاً تحل محل كلمة ال وتلعب دور البديل عنها . ويمكن أن نقول الشيء ذاته عن عبارة { رَبِّ الْعَالَمِينَ } ... فهي أيضاً بدل عن كلمة الله . التي تشكّل أيضاً تحديدات وصفية . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . هامش ص 126 .

[296] – المصدر نفسه ص 126 .

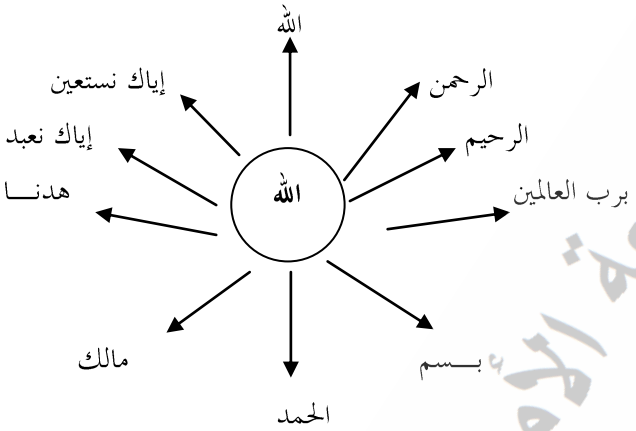

وكتوضيح للمخطط السابق نذكر تلك المحددات مع لفظ الجلالة " الله " الذي يحتلّ مكانة مركزية وأساسية من حيث المعنى .

- إنّ الله محدّد في آن معاً من قبل أداة التعريف " أل " ⟵ الله .
- أو مُقادة من قِبَلِهِ ⟵ إياك نعبد ، إياك نستعين ، اهدنا .
- الأسماء التي تكون ذكرت قبل لفظ الجلالة " الله " ⟵ بسم ، الحمد .
- ومن قبل سلسلة من أسماء البدل ⟵ الرحمن ، الرحيم ، رب العالمين ، مالك .

- مما سبق ، هل نستطيع أن نعرف علاقة " أل " التعريف مع أسماء البدل أو أي أسماء أخرى) ؟ يقول أركون : لأجل تثبيت المضمون الجديد للتحديد ، فقد شُرحت , أل ; التعريف بشكل ما مباشرةً من قبل استخدام أسماء البدل من أمثال : الرحمن الرحيم ، رب العالمين .. إلخ . كذلك الأمر في ما يخصّ الصياغة التشفُّعية أو الاسترضائية ، فإن الاسم المستخدم (بـ - سم) محدّد مباشرةً عن طريق الله الذي يشكل مُحدِّداً أو معرِّفاً من الناحية القواعدية أو النحوية [97] .

- هذا يقودنا إلى الفضول أكثر ، لفتح باب الأسئلة على الدكتور أركون ، منها : بماذا أفاد استخدام " أل " التعريف في سورة الفاتحة ؟

فكانت إجابته : إن قيمة أداة التعريف مهمّة جداً أيضاً في التركيبة اللغوية التالية : الحمد ، أو ألـ - حمدُ ، بالأحرى . ينبغي أن نسجل هنا قائلين بأن فطنة المفسّرين الكلاسيكيين كانت قد لمحت أو أدركت الأهمية المعنوية لهذا الاستخدام . وقالوا بأن أداة التعريف لها قيمة التعميم في الزمان والمكان ، وقيمة الحمد [98] .

---

[297] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 126 .

[298] – المصدر نفسه ص 126 – 127 .

يفهم من كلام أركون - في فطنة المفسّرين القدامى - أن ما يحاول الوصول إليه الآن في تفسيره ، قد سبقه إليه أسلافه ، ولو بالتلميح ، أي ولو بغرس البذرة ، ومن واجب الأبناء الحفاظ على ميراثهم وتطويره . ولقد عاد أركون لميراثه ليستوضح به أهم الفوائد التي يريد ذكرها لنا ، متوسلاً بأحد أساطين هذا الفن ، وقال : يقول الرازي : " الفائدة الثانية ، أنه تعالى لم يقل أحمد الله ولكن قال (الحمد لله) . وهذه العبارة الثانية أولى لوجوه . أحدها : أنه لو قال أحمد الله أفاد ذلك كون القائل قادراً على حمده ، أمّا لما قال (الحمد لله) فقد أفاد ذلك أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين ، وقبل شكر الشاكرين . فهؤلاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا ، وسواء شكروا أم لم يشكروا ، فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم "[99] .

و لم يكتف أركون بما ذكره آنفا ، بل واصل في إظهار وظيفة أداة التعريف في التراكيب اللغوية : إن أداة التعريف لها وظيفة التصنيف والتراكيب اللغوية التالية : الصراط المستقيم ، الذين أنعمت عليهم = المنعم عليهم)[00] ، المغضوب عليهم ، الضالّين . فهذه التراكيب هي عبارة عن مفاهيم ، أو أصناف أشخاص محدَّدين بدقة من قبل المتكلّم[01] وقابلين للتحديد من قبل المُخاطَب عندما يصبح بدوره قائلاً أو متكلماً[302] (أنظر بروتوكول القراءة الطقسية أو الشعائرية .

نلاحظ أن لله ﷻ صراط مستقيم من أتبعه سلك ونجا ، ومن خالفه تفرقت به السبل ، ومن ثم فقد هلك - والعياذ بالله - . لقد ذكرت كلمة الصراط في القرآن ست مرات ، كلها تدل في المراد بها الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى النجا[03] .

وسوف نوجز ما تقد م من كلام في المخطط الآتي :

---

[299] – القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 127 .

[300] – يقول أركون : النسبة ليست إلاّ عبارة عن صفة نحوية . المصدر نفسه ، هامش ص 127 . يبدو أن أركون غرق إلى أخمص قدميه ، في الدراسة النحوية .

[301] – يقول هاشم صالح : المقصود بذلك أن كلمة « المغضوب عليهم » أو « الضالّين » تدلّ على أشخاص محدّدين بدقة في مكّةَ ، وكانوا معادين للرسالة الجديدة ولذلك دُعوا بالمغضوب عليهم والضالّين . ولكن القرآن لا يحدد أسماءهم وإنما يترك الصياغة عامة شمولية تنطبق على أعداء هذا الدين في كل زمان ومكان . وهنا تكمن إحدى السمات الأساسية للخطاب القرآني . فهو يستخدم لغة عمومية أو تجريدية ، ولا ينزل إلى مستوى تسمية هؤلاء النّاس بأسمائهم الحقيقية . يُنظر : القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، هامش ص 127 أهـ . وهذا صحيح : ' فصاحب الجنة لم يذكر باسمه ، وكذا " يقول لصاحبه وهو في الغا " ، و ' صاحب آل فرعون " ...

[02] – المصدر نفسه ص 127 .

[303] – ذكرت الصراط في : الفاتحة آية ٥ ، طه آية 135 ، المؤمنون آية 74 يس آية 66 الصافات آية 118 ص آية 22 .

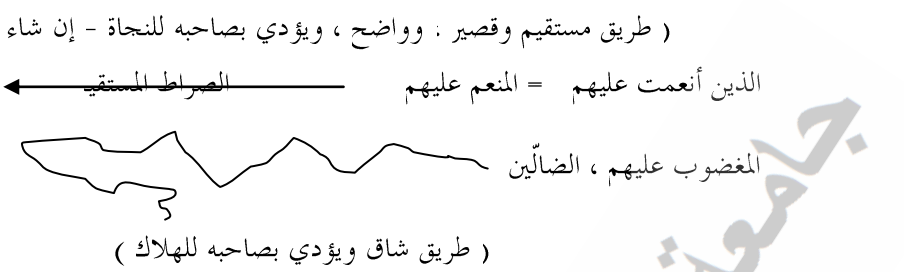

الرسم التخطيطي وظيفة التصنيف والتراكيب اللغوية (لأداة التعريف)

- لقد عرفنا فائدة " أل " التعريف ، والدور الذي تلعبه في التصنيف والتراكيب اللغوية ، فبماذا أفاد استخدام الإضافة في سورة الفاتحة ؟ بمعنى آخر : إن الإضافة باعتبارها صياغة نحوية ، في تبنه لوجود علاقة حميمية بين الوظيفة النحوية والقيمة المعنوية . كيف يتم ذلك ؟

يقول أركون : إنّ الصياغة المسماة في النحو العربي **بالإضافة** تتيح أيضاً أن نلفت الانتباه إلى وجود علاقة وثيقة بين الوظيفة النحوية والقيمة المعنوية . نحن نعلم أنه يوجد تفاعل نحوي متبادل بين المحدَّد والمحدِّد (مُضاف / مُضاف إليه) . وفي تعبير **رب العالمين** ، كما في تعبير **بسم الله** (أو بـــ - سم الله) ، فإن هذا التفاعل المتبادل موجود على مستوى المعنى . فالمعنى الشائع لكلمة **رب** (أو سيد ، كما نقول سيد البيت) قد أصبح خصوصياً أو مخصّصاً عن طريق الطرف المحـــدِّد : أي **عالمين** (وهي كلمة تعني الكون بصفته حقيقة فضائية و زمانية)[04] .

- الضمائر في سورة الفاتحة :

إنها تمثّل صنفاً آخر من المحدِّدات التي تتيح متابعة تدخل المتكلّم ؛ وبحسب ترتيب أركون فهي - الضمائر - أخر المحدِّدات التي نتناولها في هذه الدراسة ، أي : أدوات تعريف وتنكير . صفات ، ضمائر) ، كما نجد حرص أركون على تحليليها وقراءتها ، ويعتبرها لحظة حاسمة ، فما السر في ذلك؟

يقول أركون أن تحليل هذه الضمائر : سيجبرنا على معالجة تلك المسألة الحسّاسة جداً والخاصة بمؤلف النصّ[05] .

يشرع أركون الآن في قراءته الحاسمة بادئا بأوّل ضمير وهو " الكاف " : نلاحظ أوّلاً وجود ضمير زائد خاص بالشخص الثاني المفرد (أو ضمير المخاطب في صيغة المفرد . وهو مستخدم

---

[304] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 127 .

[305] – المصدر نفسه ص 128 .

مرتين[306] مِ أداة الفصل (**إيَّا**) للدلالة على من تتوجّه إليه العبادة (**نعبد**) ، ومن نطلب منه المعونة (**نستعين**): **إيّاك نعبد** ، **و إيّاك نستعين** . والمُرْسَل إليه المقصود هنا هو أَلْـــ - لاه الله)[307]

الصيغة الأوّلى : إيّاك نعبد ⟵ يدل على أنه لا معبود إلا " الله "[08] .

الصيغة الثانية : وإيّاك نستعين ⟵ أي لا أستعين بغيرك[09] .

ثم بعد ذلك يشير أركون إلى أن هذا الضمير يتغير ، ثم يعود بصفته فاعلاً نحوياً في هيئة مغايرة : ' ت ' ضمير مصرح به " أنعمت " ، وضمير مضمر ' المغضوب " . وقد حددهما في حالتين متضادتين ، فهو يقول : أمّا المتضادة[10] الثنائية : **أنعمت عليهِ** ، **وغير المغضوب عليهِ** ، فإنها تبيّن لنا الفاعل النحوي مصرَّح به في الحالة الأوّلى عن طريق ضمير المخاطب (تَ) المستخدم في أنعمتَ . فهو المعترف به كفاعل للأفضال أو النعم الممنوحة لبعض المخلوقين[11] .

ومن بين هذ النعم يكفي أن الفاعل النحوي الخاص بهم مصرَّح به ؛ على عكس أصحاب الحالة الثاني ، فالتَرك كان على جميع الصُعد ، فالفاعل النحوي هنا مضمر ، وليس مصرَّحاً به . بل إنه من الناحية القواعدية مجهول . فلنواصل مع كلام أركون حيث يقول : أمّا الحالة الثانية ، فعلى العكس نُلاحظ أن الفاعل النحوي المفروض من قِبَلِ السياق لا يمكن أن يكون إلاّ أَلْـــ - لا (الاّ) أيضاً . ولكنه مضمر في هذه الحالة وليس مصرَّحاً به . بل إنه من الناحية القواعدي **مجهول** . وتركيبة العبارة على صيغة المجهول يُعادل **الذين غُضِبَ عليهم**[12] .

---

306 – المصدر نفسه ص 128 .

307 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 128 .

308 – مفاتيح الغيب ، ج ص 248 .

309 – مفاتيح الغيب ، ج ص 257 .

310 – يقول أركون : سوف نرى فيما بعد ما هي الدروس التي يمكن أن نستخلصها من هذا التضاد ؟ أهـــ . وسوف نجد ذلك في الأفعال وخاصة بين الفعل المضارع والفعل الماضي .

311 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 128 .

312 – المصدر نفسه ص 128 .

ننتقل إلى ضمير آخر مصرَّح به هـــــــو : **نحن** الموجودة في نعبدُ ، نستعينُ ، اهدنا . إنّ نحن) تعبّر عن (لا – أنا ضمنية وضرورية مصحوبة بقيمتين : **أنا** ، **أنت** ، **أنا هم**[13] .

ولكن بما أن **النحن** مرتبطة أوّلاً بـــ **أنتَ** في نصّنا ، فإن قيمتها المعنوية لا يمكن أن تكون إلاّ (**أنتَ هم** . سوف تكون عملية معقدة جداً ، وخاصة أثناء التلاوة الطقسية أو الشعائرية . ولكنها أيضاً تعني جميع المتكلّمين المحتملين أو الممكنين الذين عندما يقولون النصّ (أو عندما يلفظونه) لا يمكنهم أن يفلتوا من القيم اللغوية الملازمة ، الموجودة في النص ، فالقارئ " أنا " له علاقة وليس له علاقة أن يفلتوا من القيم اللغوية الملازمة ، الموجودة في النص ، فالقارئ " أنا " له علاقة وليس له علاقة في آن واحد بـــ (أنتَ و هـ)[14] . ولعل هذا المخطط سوف يوضح لنا الكلام السابق بطريقة أفضل .

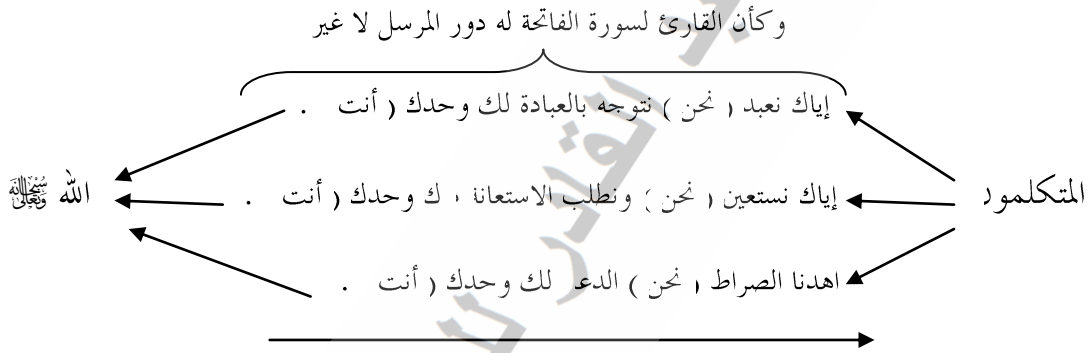

وقبل أن نتقدم أكثر مع أركون والسير معه ، في هذه المسالك غير السهلة ، نريد أن نعرف منه ، هل يدرك المشاكل التي تطرحها الضمائر علينا ؟

فيجيب : لنحاول أن نكمل تحليل المشاكل التي تطرحها الضمائر علينا ... ينبغي أن نعلم أنه لا توجد في النصّ أية علامة قواعدية دالّة على هوية المؤلِّف[15] . فالارتباط الثنائي بين (أنتَ / نحن

316

---

313 – ويقصد أركون : بـــ (هم) هنا جميع القائلين أو المتكلّمين الحاضرين أثناء التلاوة الطقسية أو الشعائرية . ولكنها أيضاً تعني جميع المتكلّمين المحتملين أو الممكنين الذين عندما يقولون النصّ (أو عندما يلفظونه) لا يمكنهم أن يفلتوا من القيم اللغوية الملازمة أو المحايثة . المصدر نفسه ص 129 .

14 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 129 .

15 – ولكننا نعلم في ما يخصّ بقية النص القرآني أن العلامة اللغوية الدالّة على المؤلِّف تظهر غالباً . إنها تتمثّل في فعل الأمر : **قُلْ** . أو قد تتمثّل في **أنا** قواعدية و فاعلة للقرارات والأفعال الخاصة بالأوامر .. إلخ في آن معاً . وهي تظهر في صيغة **إنّ** : أي (نحن) الدالّة على الجلالة والعظمة المطلقة القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 129 .

والذي كنا قد أشرنا إليه للتوّ ، يتيح لنا أن نتحدث عن (أنا) متكلمة متغيّرة وعن مُرْسَل إليه وحيد ، ومحدَّد تماماً [17] .

يبدو أن أركون لم يتغلب في تحليله على المشاكل التي تطرحها الضمائر ، وهذا مما جعله يضطر إلى طلب السند ، واستخدام هذا المفهوم الصعب (العامل) ، فما سبب ذلك ؟

فيقول : ننا لا نُدخل هنا هذا المفهوم الصعب (مفهوم العامل [318]) إلاّ لأنه يبدو لنا الأكثر قدرة على شرح آلية الاشتغال النحوية والمعنوية لنصّنا . فلو أننا حصرنا أنفسنا بالمفهوم الكلاسيكي (للذات ، أو الفاعل) لما استطعنا تحليل هذا التعبير المركزي ' الحمد لله " بكل الدقة والصرامة المطلوبة [19] .

نلاحظ أن أركون يحدد الضمير" **نحن** " هي التي تظهر في الفاتحة بصفتها العامل المُرسِل ثم بعد ذلك المُرسَل إليه . كما نجده قد توصل إلى أن فعل " **الحمد** " من خلاله تحدث عملية تبادلية أو تفاعلية مشروطة ، قائـــلا : بمعنى أن فعل " الحمد " يفترض معنوياً فاعلاً مُرسِلاً للنعم وعـ ــ لاً مستقبِلاً (أو مُرْسَلاً إليه) لهذه النعم . وهكذا نصل إلى نموذج عاملي حيث يكون " الله " فيه هو العامل المُرْسِل للنعم ، والذي يستقبل فعل الحمد والشكر . أما القائل فهو العامل الذي تُرْسَلُ إليه النعم ، والذي يُرْسِل فعل الحمد والشكر لله [20] . نختصر الكـــلام السابق من خـــلال هذا المخطط :

---

316 – المصدر نفسه ص 129 .

317 – المصدر نفسه ص 129 .

18 – يقول هاشم صالح : مفهوم العامل : هو مصطلح ألسني ، ويعني الفاعل في الواقع ولكن بمعنى يتجاوز المعنى النحوي . ففي كل سرد لغوي أو حكاية يوجد : أ – الفاعل . ب – الموضوع . ج – المُرْسِل . د – المُرْسَل إليه . هـ – معارض البطل (الفاعل) . و – المساعد (نصير للبطل أو الفاعل) . المُرْسِل – المُرْسَل إليه . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . هامش ص 29 بتصرف .

319 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 129 .

320 – المصدر نفسه ص 130 .

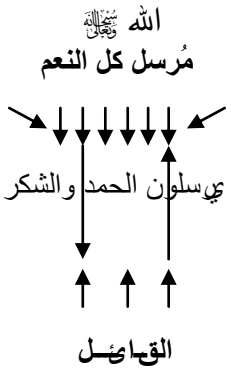

بما أن اللغة عبارة عن علامات أو رموز ، نحاول من خلال هذا المنطلق ، أن نترجم الكلام السابق إلى إشارات ، (النعم لا تحصى ولا تعد يقابله الحمد والشكر الذي يبقى قليل .

والآن ، هل نستطيع القول : أن أركون وجد من خلال " العامل " الذي اعتمد عليه حلاً مما كان يعاني ؟

فيجيب هو أيضاً ملبياً : وهكذا نرى أن مفهوم العامل يُلبّي بالفعل تلك الحاجة التي تدفعنا إلى تعيين جملة من الوظائف النحوية والمعنوية المنجزة من قبل فاعل واحد ، أو ذات واحدة [321] .

بعد هذا التوضيح و إيجاد حل بواسطة إدخال " مفهوم العامل " لمشاكل الضمائر ، هل نستطيع القول أن تلك المسألة الحسّاسة جداً والخاصة بمؤلف النصّ لم تعد مطروحة ؟ [322]

يقول أركون : بما أن النصّ يمتلك مثل هذه البنية الملازمة (أو المحايثة [323]) ، فإن مسألة المؤلِّف لا تعود تُطْرَح من خلال المفاهيم المعتادة . أقصد بذلك أنها لم تعد تشرط فهم النصّ كما كانت تفعل حتى الآن . **فالنسيج اللغوي للنصّ يبلغ من الخصوصية حد أن المؤلِّف ينبثق من خلاله بشكل من الأشكال ، ثم ينبني ويتشكّل كلما راحت عملية القول تتطوّر وتتقدّم** [324] .

وهكذا يصل أركون للنتيجة التي يريد ، وهي أننا نستطيع الاستغناء نهائياً عن المبادئ الثمانية التي تتحكم في القراءة التفسيرية (الكلاسيكية) ، وأصبح بإمكاننا الاعتماد فقط على المبادئ الـ مسة

---

321 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 130 .

322 – ينظر : إلى ما تقدم في دراسة الضمائر مع العامل .

323 – المحايثة : مصطلح يدل على الاهتمام بالشيء ، من حيث ، هو ذاته وفي ذاته ، فالنظرة المحايثة هي النظرة التي تفسر الأشياء في ذاتها ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تنبع من داخلها وليس من خارجها . يُنظر : كتاب عصر البنيوية ، تأليف : إديث كريزويل ، ترجمة جابر عصفور ، دار سعاد الصباح – الكويت ، الطبعة الأولى 1993 م ص 391 .

324 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 130 .

التي تتحكم في القراء الألسنية (النقدية) ، ومن أجل أن يكون حريصاً على توضيح كلامه فقد سبقنا بالسؤال الآتي : ماذا يعني كل ذلك ؟

ثم يجيب : يعني أننا لم نعد بحاجة للانطلاق من المسلمات اللاهوتية الدغمائية لكي نتحدث عن القرآن . ولكن على الرغم من ذلك فإننا سوف نلتقي بهذه المسلمات كلها على طريقنا . أي في أثناء البحث المفتوح عن معنى النصّ [25] .

وقبل الانتقال إلى المحدد الثاني من صائغات (أو مشَكِّلات) الخطاب ، ألا وهو النظام الفعلي ، قال أريد أن : نحتفظ حتى الآن من كل ما قلناه بما يلي : إن الله (أو لـــ - لاه) هو العامل المُرْسِل – المُرسَل إليه رقم . أمّا القائل - أي الإنسان – فإنه العامل المُرْسَل إليه – المُرْسِل رقم ( ) [26] .

ولكن ما هدف أركون ليأخذ معه هذين العاملين إلى مرحلة أخرى من دراسته ؟

يقول : لنحاول الآن أن نرى كيف يتشكّل [27] هذان العاملان من خلال التفاعل المشترك وتبادل المنظورات ؟ [28] .

ب – **النظام الفعلي** [329] :

في هذا النظام سوف نشاهد ارتداد خفيف ، وذلك لقلة الأفعال المضارعة ، كما نجد أن الأفعال عموماً قليلة مقارنة بكثرة الضمائر التي مرت بنا ، يقول أركون : نجد أوّلاً فعلين مصرَّفين على طريقة الفعل المضارع وهما : " نعبد " ، " نستعين " . وصيغة الفعل المضارع تدل على التوتر ، وعلى الجهد الذي يبذله العامل رقم ( ) [330] لكي يصل إلى العامل رقم ( ) [31] .

إذا ما فائدة الفعل المضارع ؟

---

325 – المصدر نفسه ص 130 .

326 – المصدر نفسه ص 130 .

327 – يقول هاشم صالح : المقصود أنهما يتشكلان من خلال التموضع بالقياس إلى بعضهما البعض ، وعلى مدار النص القرآني . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . هامش ص 130 .

328 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 130 .

329 – عنوان هذا العنصر هو : الأفعال في سورة الفاتحة ، ولكن أركون ، ذكر عناصر صائغات الخطاب أشار إلى هذا العنصر تحت تسمية : النظام الفعلي ، واعتقد من الناحية المنهجية أن نقدم هذه التسمية على التسمية الأولى .

330 – المقصود بالعامل رقم ( ) هو الله ﷻ والعامل رقم ( ) هو الإنسان ، وهما يتبادلان الأدوار بحسب القراءة الألسنية) .

331 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 130 .

يجيب أركون : إنّ الفعل المضارع يدلّ على ديمومة هذا الجهد من أجل سدّ الفجوة الكائنة بين متكلّم يعترف بوضعه كخادم وضعيف . ومخاطَب محدَّد بكل إلحاح بصفته الشريك الأعلى الجدير بالعبادة ، والقادر على الشفقة والرحمة [32] .

إن الإضافة تدل على وجود علاقة وثيقة بين الوظيفة النحوية والقيمة المعنوية ، وكما يوجد تفاعل نحوي متبادل بين المحدَّد والمحدِّد (مُضاف / مُضاف إليه . و بما أن " النحن " مرتبطة أوّلاً بـــ " أنتَ " في نصّنا ، فإن قيمتها المعنوية لا يمكن أن تكون إلاّ (أنتَ وهم) وهذا ما لاحظه أركـــون ـ لاً : أن الوظائف النحـ ـ وية أو التركـ ـ ة تتحالف مع القيّم المعنوية لكي تعبّر بشكل مطابق صحيح عن الجدلية المشكّلة لكلا العاملين ، ولكي تقويّه [33] .

الأمرُ أحدُ الأساليبِ الإنشائيةِ ، والغرضُ الأصليُّ منه طلب الفعل على وجه الاستعلاءِ [34] ، أي الطلب يكون من الأعلى إلى الأدنى ، قد تخرج صيَغُ الأمر عن معناها الأصليِّ إلى معان أخرى ، مثل النصح والإرشاد ، و الدعاء ، والتمني ، ... والفعل اهدنا هو فعل أمر خرج عن صيغته الأصلية ، فهو دعاء وتوسل لله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم ، والطلب هنا كان من الأدنى (الإنسان) إلى الأعلى (الله ﷻ) ، فأركون هنا يقول : إنّ فعل الأمر اهدنا الذي يجيء بعد الفعلين المضارعين ، لا يمكن أن يشتمل فعلاً على قيمة الأمر . بل على العكس فإنه يوضح الاسترحام الموجود ضمنياً في **نعبد و نستعين** [35] .

الفعل الماضي " أنعمت " يدل على أن العامل رقم ( ) هو الله ﷻ قد أنعم على العامل رقم ( ) الذي هو الإنسان في الماضي ولا يزال الجواد ينعم عليه حاضراً ومستقبلاً ، وبما أن الفعل هنا جاء في صيغة الماضي فلا يوجد ارتدادا ، الذي يحدث بوجود صيغة المضارع . ولذا يقول أركون : أما الفعل الوحيد الذي يتخذ صيغة الماضي (**أنعمتَ**) ، فإن فاعله النحوي هو العامل رقم ( ) . وهو يدلّ على حالة حصلت أو تمّت ولا مرجوع عنها . إنها ناتجة عن فاعل سيد ومستقل .

---

[332] – المصدر نفسه ص 130 .

[333] – المصدر نفسه ص 131 .

[334] – الاستعلاء : هو أن يكون الآمر أعلى مترلة من المأمور ، والإلزام هو أن يكون المأمور مُلْزَمًا . يُنظر كتاب المختار في القواعد والبلاغة والعروض ، للسنة الأولى الثانوية أدب ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، طبع المعهد التربوي الوطني الجزائر ، ص 205 .

[335] – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 131 .

وبالتالي ، فلا يوجد توتر مع الفاعل . والفجوة الكائنة بينه وبين فعله ، ما إن يتم هذا الفعل ، تهمّ المُرْسَل إليهم (**عليهم**) [36] .

بعدما عرفنا سابقاً أن الله (الفاعل الأوّل) بصفته فاعلا نحوياً في أنعمت واهدنا ، فهو المعترف به كفاعل للأفضال أو النعم الممنوح [37] ، للمنعم عليهم (الفاعل الثاني) أي " أنعمت عليهم " .

هل يضيف هذا التضاد شيئاً جديداً ؟

يقول أركون : يضيف التضادّ الكائن بين الفعل الماضي / والفعل المضارع سمة إضافية متميّزة لمكانتيْ كلا العاملين [38] .

و بالتالي فالنعم ناتجة عن فاعل سيد ومستقبل ، وإنسان ضعيف محتاج للنعم والفضائل ..

ـ – **النظام الاسمي** [39] :

إذا كانت أهمية الأسماء تتجلّى في عدد المفاهيم البَدْئِية (أو الأصلية) وفي اللجوء إلى التحويل إلى اسم . هل بإمكاننا أن نتعرف على هذا التحويل بدون مشقة ؟

يقول أركون : يبدو من السهل أكثر أن نقبض على هذا التدخل في عمليات التحويل إلى اسم ، أي اللجوء إلى كلمات مزدوجة (كالمصادر التي قد تكون أسماء فاعل أو مفعول به) [40] .

فهذه المصادر التي تكون أسماء فاعل ، مثل : مالك ، الضالين ، ... و المصادر التي تكون أسماء مفعول به ، مثل : المغضوب عليهم ، الصراط ، ... [41] .

ولكن كيف تتم عملية التحوّل هذه ؟

فيجيب أركون موضحاً : المصادر تمارس فعلها نحوياً كأسماء في الوقت الذي تعبّر فيه عن عملية فعل . إن عملية التحويل إلى اسم ، إذْ تحذف علامات الشخص ، والزمن ، والصيغة التي ترافق الفعل ، تحوِّل الجملة الفعلية إلى جملة اسمية ، أي إلى عبارة تأكيدية ، لا زمنية وخبرية ذات صلاحية عامة ودائمة . وبدلاً من تأكيد خاضع لشروط تدخل فاعل ما ، في زمن ما وطبقاً

---

[336] – المصدر نفسه ص 131 .

[337] – للاستزادة يُنظر ص 128 ، المصدر نفسه .

[338] – المصدر نفسه ص 131 .

[339] – عنوان هذا العنصر هو : الأسماء والتحويل إلى اسم في سورة الفاتحة ، ولكن أركون لما ذكر عناصر صائغات الخطاب أشار إلى هذا العنصر تحت تسمية : النظام الاسمي ، واعتقد من الناحية المنهجية أن نقدم هذه التسمية على التسمية الأولى .

[340] – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 132 .

[341] – للاستزادة يُنظر : عنصر المحدِّدات أو المعرِّفات إلى الجدول ص 57 ، في هذا البحث .

لصيغة محددة ، فإننا نجد أنفسنا أمام حالة تُمارس دورها كمحاجّة قائمة على الهيبة التي تفرض نفسها من فوق [42] .

نحاول أن نضع المصادر (التي قد تكون أسماء فاعل أو أسماء مفعول به) في جدول ، أريد من خلاله توضيح ، الأفعال المصادر ، معتقداً أن هذه اللغة الرمزية (أو الإشارية) أبلغ للتوضيح من اللغة الإنشائية .

المصدر	الاسم	تحويله
اسم الفاعل	الحمد مالك 343 الضالّين	وهذه هي حالة الاسم المليء بالحميّا : الحمد . وهو الفعل الوارد في التركيب اللغوي الذي حللّناه آنفاً . كما تنطبق على اسم الفاعل مالك التي تعبرّ عن الإرادة المؤثّرة لفاعل يعتمد عليه استحقاق يوم الحساب والقرارات التي ستُتخذ في ذلك اليوم . فالتركيب الاسمي هنا يساوي التركيب الفعلي مع فاعل اسمي نسبي هو : الذين يضلّون الصراط . نلاحظ أن اختيار الاسم الفعلي يتيح تصنيفاً أكثر وضوحاً ، وتوفيراً في الوسائل المستخدمة ، ونبذاً أكثر راديكالية للفئة التي تقف خارج الطريق القويم أو الصراط المستقيم .
اسم المفعول به	المغضوب عليهم	ولكن أعضاء هذه الفئة يحافظون على علاقة مع فاعل خارجي لم يُسمَّ . وبالتالي ، يمكنهم أن يعودوا إلى التحالف المعاش في الحمد لله عن طريق إيقاف العملية التي تؤدي إلى الضلال الفعَّال ، أي إلى الدمار الكامل للفاعل الذي ظل مضمراً في عبارة : المغضوب عليهم .

د – **البُنى النحوية** :

قسم أركون سورة الفاتحة إلى أربع وحدات رئيسية ، وأعتبرها هي القاعدة ، ضمن بعد ذلك هذه القواعد سبع لفظات إخبارية ، والتي تلعب دوراً مهما ، في توضيح الدور النحوي المركزي للفاعل ، وفي فهم كيفية التوسّع المعنوي لهذا الفاعل نفسه ، وهذا التقسيم جاء كالآتي :

---

342 – المصدر نفسه ص 132 .

343 – يقول أركون : مالك التي يفضّلها المفسّرون المسلمون على التنويعة الأخرى **ملك** التي تمثّل اسماً مستقراً أو ساكناً . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 132 .

العبارة – النواة	العبارة – التوسّع
أ - بِسْمِ اللهِ	أ – الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
ب - الْحَمْدُ للّهِ	أ – رَبِّ الْعَالَمِينَ
	ب – الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
	ج – مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ
أ - إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	
ب - اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ	أ – صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ
	ب – غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ
	ج – وَلا الضَّالِّيـــــــنَ [44]

والسؤال المُلح هنا : على أي أساس قام أركون بهذا التمييز ؟

يقول أركون : إن هذا التقطيع للسورة يرتكز على التمييز النحوي المُقام عادة بين العبارة – النواة / والعبارة – التوسع [45] .

بعدما عرفنا الأسس التي قام عليها هذا التقطيع ، فما الفائدة منه إذا ؟

يقول أركون : يتيح لنا أن نوضّح بشكل أفضل ذلك الدور النحوي المركزي للفاعل المقصود بكلمة الله (أو بعملية القول : الله . – يتيح لنا أن نفهم كيفية التوسّع المعنوي لهذا الفاعل نفسه [46] .

أعتقد أن كلام أركون فيه الكثير من الصحة ، عندما نحاول أن نطبق كيفية التوسع المعنوي من خلال المشاهدات اليومية ، ففعلاً أظن أنه يوجد فرق عندما نتلفظ بعض العبارات ونحن نريد الأكل أو السير ، ... وبين أن نريد بها العبادة : لذلك يقول : إن الممارسة الدينية الإسلامية تؤكّد على الصحة الألسنية أو اللغوية لهذا التقطيع لأن العبارتين النواتين الأوّليين تتم تلاوتهما في مناسبات كثيرة من دون توسّعهما المعنوي [47] . ويدعم كلامه بمثال ؛ حيث يقول : فمثلاً ، يلفظ المسلم العبارة الأولى في بداية الأكل ، والعبارة الثانية في نهايته (بسم الله ؛ الحمد لله .

---

[344] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 133 .

[345] – المصدر نفسه ص 133 .

[346] – المصدر نفسه ص 133 .

[347] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 133 .

ومن السهل أن نرى أن العبارات · النويات الأربع تحتوي في آن معاً على النموذج العاملي[49] .[348]

هـ – النَظْم والإيقاع :

نلاحظ أن أركون يعترف بزخم التراث الإسلامي في هذا الفن ، الذي لا يزال في تطورٍ مستمر منذ نشأته إلى يومنا هذا ، قائلاً : إنّ نظرية النَظْم الألسنية تلحّ على العلاقة الأساسية الكائنة بين علم النحو والنبرة (أداء الصوت ، النغم . وفي ما يخصّ اللغة العربية ، وبالأخص النصّ القرآني ، نحن نمتلك أدبيات غنيّة وغزيرة خاصة بالنَظْم و الإيقاع[50] .

وما أريد أن أعرفه أن أركون ذكر في مرات عديدة أن التطور الذي توصل إليه الغرب شمل حتى علم الأصوات (الفينولوجيا) و الوحدات الصوتية الصغرى (الفونيمات) ، فلماذا لا يستفيد منه ويطبقه على القرآن مثل ما طبق عليه المناهج النقدية !

أركون اكتفى بما نمتلكه من أدبيات غنيّة وغزيرة خاصة بالنَظْم والإيقاع . قائلاً : فإننا سنكتفي فقط بالتنبيه إلى الملاحظة البسيطة التالية : وهي وجود قافية (إيـــم) متناوبة مع قافية (إيـــن) في سورة الفاتحة . القافية (إيـــ) ترد في الآيتين التاليتين : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِـ يـــ ، اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِـ يـــ ، أما القافية (إيـــن) فترد في الآيات التالية : الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِـــينَ . مَالِكِ يَوْمِ الـ ين . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِـ ين . غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّـ ينَ[51] .

وبما أن أركون فوض تراثنا العريق هنا والاكتفاء به ، مما شجعني لإظهار الرموز العَرُوضيا[52] التي اعتقد أن لها علاقة بما ندرس :

---

348 – يقول هاشم : النموذج العاملي ، أي النموذج الذي يحتوي على العَامِلِين (أو الفاعلين) الأساسين الموجودين في كل سرد لغوي أو حكاية . وهم : الفاعل ، الموضوع ، المُرْسِل ، المُرْسَل إليه ، المعارضون ، الأنصار (أو المساعدون . أهـ ، المصدر نفسه . هامش ص 133 . و يُنظر كذلك : هامش ص 129 المصدر نفسه ، تجد معنى العامل كما وضحه هاشم صالح .

349 – المصدر نفسه ص 133 .

350 – المصدر نفسه ص 134 .

351 – المصدر نفسه ص 134 .

352 – الرموز العَرُوضية : هي حركات وسكنات البيت وسكناته ، وأسهل هذه الرموز ، تلك التي تضع مقابل الحركة من كلمات البيت حركة أو خطاً قصيراً مائلاً هكذا ( ) ، ومقابل السكون سكوناً أو دائرة صغيرة هكذا ( ) . يُنظر كتاب

القافية (إيم

الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(((((( )0

إ ي ا

القافية (إين)

الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ

((((00

إ ي م [353]

أما فيما يخص الوحدات الصغرى (الفونيمات فقد اكتفى أركون بذكر خمس وحدات فقط ، قائلاً : فإننا نلاحظ هيمنة الوحـــدات التالية : ميم (5 مرة) ، لام (2 مرة) ، نون (12 مرة) . عين ، ا مرات) ، ها ، ا مرات .

وبالرغم من اقتصاره على هذه الوحدات الصوتية فقط ، فإنه لم يقدم لها تفسيراً رمزياً .

بعدما حدد أركون الشيء الذي سنقرؤه في المرحلة الأولى ، وهو نص قصير نسبياً ويُشكّل جزءاً من نصّ أكبر وأكثر اتساعاً كان قد نقل إلينا تحت اسم القرآن ... وأيضاً عرفنا فائدة التمييز بين عملية القول وبين المنطوقة (النص المنجز) ، انتقل بنا إلى المرحلة الثانية أي للدراسة النحوية البحتة ، كاشفاً العناصر الضرورية بحسب ترتيبها وقوتها التي تشكل كيان عملية القول (عملية النطق) و التي دعاها بصائغات الخطاب الخمسة (المحدِّدات أو المعرِّفات ، النظام الفعلي ، النظام الاسمي ، البُنى النّحوية ، النّظْم والإيقاع . والآن يصل بنا إلى المرحلة الثالثة (العلاقة النقدية .

3 - العلاقة النقدية [54] :

فما المقصود إذا بالعلاقة النقدية ؟

- المختار في العَرُوض والقوافي للسنتين الأولى والثانية الثانويتين ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، طبع المعهد التربوي الوطني الجزائر (لا توجد سنة الطبع) ص 3 .

[353] – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ص 327 .

[54] – يقول أركون : العلاقة النقدية هو عنوان كتاب للناقد السويسري الكبير جان ستاروبنسكي يقول محدّداً العلاقة النقدية التي تربط بين القارئ والعمل الأدبي : (عندما أقرأ نصّاً ما ويثير فيّ مشاعر قوية ، فإني أشعر بالفرح والاستمتاع الشديد . وبعد أن تمر مرحلة الاهتزاز . وعندئذ ، وبدون أن ألغي مشاعري ، ينبغي أن أعامل النصّ كشيء من الأشياء لكي نستطيع أن أدرسه بشكل موضوعي . عندئذ ينبغي عليّ أن أنظر إليه في مادّيته اللغوية البحتة ؛ فهو مؤلّف من حروف ؛ وكلمات ، وعبارات ... فالكاتب الكبير لا يوظّف أي كلمة أو أي حرف جر إلاّ من أجل خدمة المعنى وصياغته بطريقة جذابة ؛ ساحرة) ينظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 34 - 35 بتصرف .

العلاقة النقدية : هي عبارة عن تقشف صارم للقراءة الألسنية . إنها تأمر بالعودة النقدية المستمرة إلى العلاقات التي يعتقد القارئ أنه قادرٌ على تعاطيها مع , الذاتية المحايثة أو الملازمة للعمل الأدبي أو الفكري ،،[55] .

– الفاتحة كمنطوقة أو كعبارة :

نلاحظ أن أركون من أجل المضي قدماً في القراءة الألسنية ، أشترط شرطاً أولياً منهجياً ينبغي أن يُزال في حالة سورة الفاتحة ، فماذا يقصد بهذا الشرط ؟

يقول نقصد بذلك ما يلي : هناك طريق طويل يتمثّل في استعادة جميع التفاسير أو القراءات السابقة لسورة الفاتحة . وهناك طريق قصير اختاره العلماء المعاصرون , علماء السيميائيات والدلالات ،،[56] .

بعدما عرفنا هذا الشرط ، وهو يجب المرور بالطريقين معاً من أجل قراءة ألسنية سليمة للفاتحة ، فما هدف أركون من ذلك ؟

فيجيبنا عن مقصده :

– بهدف تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف الكائنة بينها وبين القراءة الحديثة لها .

– بهدف إعادة قراءة الكتب المقدّسة من أجل البرهنة على صلاحية علم الدلالات السيميائية [57] .

هناك من يريد أن يُوفر على نفسه العناء ، ويبدأ بالقراءة الألسنية مباشرة ، فلماذا لم يختـــر أركـــون ذلك ؟

يجيبنا : نحن نختار من دون أي تردد الطريق الطويل . لماذا ؟ لأنه الطريقة الوحيدة لتحاشي النزعة الاصطناعية والاعتباطية للموضات العلمية العابرة التي تمثّل إحدى السمات الصارخة لعصر[58] .

ما نلاحظه أن أركون ينطلق من قاعدة خلفية (التفاسير) متينة ليبني عليها قراءته الألسنية ، حيث كل التراثات الدينية تزعم أنها تمتلك المعنى الأخير (أو المفهوم الصحيح) ، وهذا الأمر يقوده إلى طرح سؤالين أساسين يخصان دراستنا ، وهما :

---

[355] – القرآن ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 35 بتصرف .

[356] – المصدر نفسه ص 135 .

[357] – المصدر نفسه ص 135 .

[358] – المصدر نفسه ص 136 .

- ما هو مضمون ، ووظيفة ، وأهمية المعنى الأخير طبقاً للتراث التفسيري الإسلامي؟

- هل نستطيع نحن اليوم أن نطلق حكماً حول درجة المطابقة بين المعنى الأخير الذي يفترضه النص التأسيسي الأوّل ، وبين المعنى الأخير المتلقّى أو المتجمع في التفسير التقليدي ؟ [359]

وللإجابة على هذين السؤالين : يجب كما أشار أركون آنفاً ، استعادة جميع التفاسير أو القراءات السابقة لسورة الفاتحة . وهذا لا يمكن أن يقوم به شخص واحد ، وإنما فريق كامل من فرق البحوث تعبر اللحظات التاريخية بمسح دقيق شامل . وأما فيما يخص الإجابة عن السؤال الثاني ، لقد أختار أركون تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) كنموذج لدراسته . و الهدف من كل ذلك هو أن نقيس حجم المطابقة بين النصّ الأوّل (النص المؤسس) ، وبين النصّ الثاني (نص تفسير الرازي) [60] .

ولكن كيف تكون هذه المقارنة ؟

يقول أركون متماً كلامه السابق : ومن ثم سنبحث عن الشيفرات (أو القوانين) التي تتحكم بقراءة الرازي أو تفسيره (أي : منهجه) ، وقد أتاحت لنا القراءة أن نستكشف القوانين الآتية :

- النسق اللغوي (أو الشيفرة اللغوية) .
- النسق ديني (أو الشيفرة دينية) .
- النسق رمزي (أو الشيفرة رمزية) .
- النسق ثقافي (أو الشيفرة ثقافية) .
- النسق تأويلي (أو الباطني) [61] .

وبعد اللحظة الألسنية (أو اللغوية) ، ينبغي علينا أن نعبر اللحظة التاريخية ، والآن اللحظة الأنتربولوجية ، وهذه هي القراءات التي توسل بها أركون لقراءة سورة الفاتحة كما أشرت في بداية دراسة هذه السورة .

كما نجد أركون يعترف هنا بفشل القراءة الأنتربولوجية على النص الديني ، قائـــلاً : لم تنجح المقاربة الأنتربولوجية في فرض نفسها حتى الآن على الأديان التوحيدية [62] .

---

[359] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 36 .

[360] - المصدر نفسه ص 36 - 37 بتصرف .

[361] - المصدر نفسه ص 37 - 40 بتصرف .

[362] - المصدر نفسه ص 40 .

فما سبب ذلك يا ترى ؟

يجيب أركون بإيجاز : سبب ذلك إيديولوجي واضح جداً [363] .

الكلمات (أو التعابير)	الدلالات (الذرى الواسعة)
الْحَمْدُ للّهِ . . . الرَّحِيمِ	علم أصول الأنطولوجيا [364] و علم الأصول
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ	علم الأخرويات (السمعيات)
إِيَّاكَ نَعْبُدُ	الطقوس والشعائر
اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ	علم الأخلاق
الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ	علم النبوة
غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ	التاريخ الروحي للبشرية (موضوعات رمزانية الشرّ)

وفي أخر هذه الدراسة نترك الكلام لأركون حيث يقول خاتما هذه السورة كما بدأها :

إذا ما اقتصرنا على نص الفاتحة ، فإنه لمن السهل أن نلحظ بأن أياً من هذه الكلمات ليس مرتبطاً بعائدٍ محدد أو معروف بدقة ، على العكس ، فإن كل واحدة منها تحيلنا إلى ذروة أو عدّة ذُرى ... كان القدماء قد لاحظوا تماماً هذا الانفتاح الذي تتمتع به هذه الكلمات والتعابير على الذرى الواسعة جداً [365] .

ونص الفاتحة ، من خلال كلماته ، سوف يحيلنا إلى عدة ذرى قصوى . وسوف نوجز كلام أركون في هذا الجـــدول [366] :

---

363 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 140 .

364 – يقول هاشم صالح : الأنطولوجيا : ontologie كلمة تعني علم الكينونة أو الوجود . ولكنها تعني أيضاً المبادئ الأولى والتأسيسية التي لا مبادئ بعدها ، أو قبلها . والقرآن بالنسبة للوعي الإسلامي هو وحده الذي يحتوي على هذه المبادئ الأوّلية . المصدر نفسه . هامش ص 142 .

365 – المصدر نفسه ص 142 .

366 – المصدر نفسه ص 142 - 143 .

خاصة القراءة لهذه السورة :

بداية حدد أركون ثلاث محطات رئيسية ، لينتقل عبرها من محطة لأخرى :

- معرفة أو تحديد المادة التي سوف نقرأها .

- تطبيق القراءة المعيّنة ، وهي : اللحظة الألسنية (أو اللغوية .

- و في الأخير القيام بالعملية النقدية (العلاقة النقدية .

ثم بعد ذلك أشار إلى منشأ أو مفهوم الفاتحة ، الذي يحيلنا أساساً إلى جميع القيّم الشعائرية ، واللاهوتية ، واللغوية ، والسياقية . ولكي يتحرر أركون من تأثيرات الكلمات المشحونة ، استخدم مصطلحات ألسنية ، مثلاً عبارة المنطوقة بدل الآية ، وعبارة المدوَّنة النصية بدلاً من القرآن الكريم .

ومن خلال القراءة الألسنية أو اللغوية ، التي يهدف منها بقدر الإمكان ، إلى تبيان القيم اللغوية المحضة للنصّ . غير أنها ستكون نقدية .

ثم ذكر المبادئ التي تتحكَّم في القراءة التفسيرية (الكلاسيكية) ، وكذا المبادئ التي تتحكَّم في القراءة الألسنية (النقدية) . بعد ذكر هذه المبادئ انتقل إلى عملية القول (أو عملية النطق) ، وأن علم الألسنيات المعاصر أصبح قادراً على أن يُميّزَ بين عملية النطق (أو فعل إنتاج النصّ) من قِبَلِ متكلّم ، وبين المنطوقة (أو العبارة) التي هي النصّ المُنْجَز (أو المُتحقَّق) ، وأن هذا التمييز يتيح لنا أن نقيِّم درجة تدخل الذات المتكلمة أثناء عملية النطق ، و اكتشاف أنماط هذا التدخل .

ومن خلال صائغات الخطاب أو مشكّلاتِه التي تصوغه على هيئة مُعَيّنة . وهي : المحدِّدات أو المعرِّفات (من أدوات تعريف وتنكير ، وصفات ، وضمائر) - النظام الفعلي - النظام الاسمي - البُنى النّحوية - النّظْم والإيقاع (إنْ لم نقل الأوزان والعَروض) . كما يهدف أركون إلى كشف المعايير النحوية للغة العربية ، التي بواسطتها نفهم خيارات المتكلّم (أو الناطق) ، أي سبب اختياره لهذه الكلمة دون غيرها ... وكلّما كان تحديد صائغات الخطاب بصرامة ودق ، كلما اقتربنا بالتالي من مقصد المتكلّم الناطق .

من خلال مشكّلات الخطاب عرفنا : فائدة الأسماء المعرفة بـ " أل " التعريف ، و بواسطة تكملة تعريفية . مما يعني أن كل ما يتحدث عنه المتكلّم معروفٌ تماماً أو قابل لأن يُعرف . وكذا عرفنا علاقة " أل " التعريف مع أسماء البدل .

كما لا حظنا الصعوبات التي واجهت أركون أثناء دراسته للضمائر ، مما جعله يضطر للاستعانة (فهوم العامل) .

وبعد الانتقال إلى الأفعال ، عرفنا أن الفعل المضارع يدلّ على ديمومة هذا الجهد من أجل سدّ الفجوة الكائنة بين متكلّم يعترف بوضعه كخادم وضعيف . ومخاطَب محدَّد بكل إلحاح بصفته الشريك الأعلى الجدير بالعبادة .

فاكتشف أن الله ﷻ هو : (الفاعل الأوّل) بصفته فاعلا نحوياً في أنعمت واهدنا ، فهو المعترف به كفاعل للأفضال أو النعم الممنوحة ، للمنعم عليهم ، أي الناس (الفاعل الثاني) أي " أنعمت عليهم " .

ولاحظنا وجود تضادّ ، كائن بين الفعل الماضي / والفعل المضارع يضيف سمة إضافية متميّزة لمكانتيْ كلا العاملين . وأن التقطيع يفيدنا في :

– توضّيح الدور النحوي المركزي للفاعل المقصود بكلمة الله (أو بعملية القول : الله . بشكل أفضل وفعال . كما يفيدنا في : معرفة التوسّع المعنوي لهذا الفاعل نفسه .

ثم من خلال هذه السورة حاول أركون كشف الشيفرات (أو القوانين) التي تتحكم بقراءة تفسير الرازي ، ومن ثم التفاسير الكلاسيكية ، وهذه القوانين هي : النسق اللغوي – النسق ديني – النسق ره ي – النسق ثقافي – النسق تأويلي .

أمّا بالنسبة للوحدات الصوتية ، فإنه لم يقدم لها تفسيراً رمزياً .

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور المكية

ثانياً : سورة الكهف

هذه ثاني سورة مكية في دراستنا ، بداية نترك الكلام لأركون فماذا يريد أن يقول ؟

يقول : سوف نبتدئ باستكشاف وتجميع الخصائص الأزلية الملازمة أو الملاصقة للنصّ . ومن خلال ذلك يُمكننا أن نفرز و نموضع بشكل أفضل منهجية التفسير التقليدي ومعطياته . وبعد أن نكتشف نواقص هذا التفسير ، نأمل بإمكانية فتح الطريق أمام القراءة التعدّدية التي سنقترحها على القرّاء [367] .

النص

إن أول تفحّص لسورة **الكهف** يتيح لنا أن نكشف فيها عن العناصر التكوينية التالية :

. – تُستَهلّ السورة بوحدة نصّية مؤلفة من ؛ آيات [368] ، ولكن لا يمكن اعتبارها بمثابة مقدمة . لماذا ؟ لأنها تتحدث عن بواعث مختلفة لطالما تكررت في القرآن في مواضع أخرى متعددة [369] .

يقول أركون : فنلاحظ أن هذه الآيات (من 6! إلى 1؛ ، ومن 3؛ إلى 101) تنتمي إلى الفترة المدنية [370] .

لقد قال أركون أثناء قراءته لسورة الفاتحة ، أنه يجب الرجوع إلى كل التفاسير التي تناولتها ، فلماذا لم يفعل في هذه السورة ويكتفي بالرجوع إلى المستشرق ريجيس بلاشير ؟ ويعتبر رأيه هو الوحيد والصحيح ، ويخالف ما هو موجود في أدبيات التراث الإسلامي ، فمثلا سياق المقطع (6! – 31) يدل بوضوح على الفترة المكية ، وذهاب وفد قريش لليهود ! ووجدت كذلك الآيات (07. إلى 110) فقط [371] . هي التي تنتمي إلى الفترة المدنية .

أعتقد أنا أركون قد شذّ في إلحاق بعض آيات هذه السورة إلى القرآن المدني .

---

367 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 46 .

368 - {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ... وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً } لكهف - 8 .

369 – المصدر نفسه ص 47 .

370 – المصدر نفسه ص 47 - 48 بتصرف .

371 – السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية ، طبعة بدون الترقيم والسنة) ص 93 .

: - نلاحظ أن الآيات من (إلى 5! تشكل الوحدة السردية الأولى . وهي الحكاية الشهيرة للسبعة النائمين ، والمدعوة هنا باسم أهل الكهف ،،[72] .

لقد أشار أركون إلى " أم " في بداية الآية رقم (، فما هو دورها ؟

فيقول : نلاحظ أن أداة الانفصال (أم) توحي بوجود علاقة مع الجزء السابق من البديل التناوبي المعدوم في الواقع[73] .

لقد ابتعد أركون عن الموضوعية والصرامة المنهجية التي يتكلم عنها ، فالقرآن نُقل إلينا من طريقين ، طريق المشافهة و الثاني الكتابة ، وبالتواتر المستفيض في كليهما ، بالرغم من ذلك يعتمد على طريق الكتابة فقط ، فأيهما أصح مطابقة تواتر المشافهة والكتابة أو ما يدعيه هو نقلا عن ريجيس بلاشير) !

قائلاً : وكما نقل إلينا يبدو أن نصّ الحكاية هذه قد تعرض لتحويرات أو لتغييرات ؛ كان ريجيس بلاشير قد كشف بوضوح بواسطة التنضيد الطباعي عن نسختين متوازيتين للآيات من (إلى 6ا . يُضاف إلى ذلك أن الآية 5! تجد مكانتها بالأحرى بعد الآية 1ا لولا أنها تنتهي بالقافية ((عا) ، هذا في حين أن مجمل الحكاية تشتمل على آيات مقفّاة بـــ (د ا))[74] .

أما فيما يخص اختلاف القافية ، فالآية 1. تنتهي بـــ (د ا) ، في حين أن الآية 5! تنتهي بالقافية (عا) ، فهذا يزيد من ضعف منطق أركون ومن قبله بلاشير .

لكن هذا لا يمنع أن نعترف ببعض الممارسات الخاطئة ، فبدل من أن يكون كلامَ ربنا هو الحَكم على كلام البشر ، أصبح العكس ، كلما وجد كلام في القرآن لا يتفق مع ما أعتاد عليه بعض العرب - الذين لم يحيطوا باللغة العربية - يقولون هذا شذوذ لغوي في القرآن ، وقد حذر الكثير من العلماء لخطورة هذا الأمر ، الذي لا يزال يُردد إلى اليوم ؛ ونجد أركـــون من بين هـــؤلاء : وقد كشفوا في هذه الآية ذاتها عن شذوذ لغوي هو كلمة سنين) الواردة بعد عبارة ثلاث مائة) بدلا من سنة {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا } الكهف5! . وهذا ما يجعلنا (نفترض العديد من الفرضيات حول شروط أو ظروف تثبيت النّص) كما يقول بلاشير[75] .

---

372 - المصدر السابق ص 148 .

373 - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 48ا .

374 - المصدر نفسه ص 48ا .

375 - المصدر نفسه ص 48ا .

؛ - وفي مجموعة الآيات المعنية نكتشف نواة مؤلّفة من 13 آية (الآيات 32 - 44 . وهي آيات تتحدث عن قصة ذلك الرجل الذي له جنّتان من أعناب . وعُززت القصة بصورة الحياة الدنيا[76] السريعة الزوال كزوال المطر النازل من السماء (الآيتان 45 - 46) .

. - ثم نعود لكي نلتقي من جديد بالخطاب السردي أو القصصي في الآيات من 50 إلى 83 .

وهنا توجد حكايتان تستمدّان عناصرهما من مصدر مشترك هو : قصة الإسكندر المقدوني .

وتعبّر عنهما الآية 83 وما بعدها حيث تقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف 83 . وهذه الوحدة السردية الطويلة نسبيا مستقلة عن بقية النص (أو بقية السورة . وحدة السجع المنتهي بحرف (أ) وبعض علامات التعبير تصلها به .

؛ - ثم تنتهي السـورة بالآيات 99 - 110 التي تعيدنا إلى ما سندعوه بالخطاب التبشيري[77] .

نلاحظ تركيز أركون على المعطيات الخصوصية للخطاب القرآني ، فما سبب ذلك ؟ فيجيبنا : من أجل طرح مسائل مطموسة من قِبَلِ المنهجيات الألسنية والسيميائية التي ظهرت حديـ[78] .

لكن نجده قبل أن يطبق هذه المنهجيات الحديثة على المقاطع المختارة من سورة الكهف ، فإنه يقول : فإنه من الضروري أن نقيِّم أولاً مجريات التفسير التقليدي ومعطياته .

ما الذي ينبغي أن نحتفظ منه ؟ وما الذي ينبغي إهماله وتركه باعتبار أنه ينتمي إلى ممارسة ثقافية عفا عليها الزمن ؟ [379]

التفسير الإسلامي التقليدي

قال أركون : هناك ثلاثة اتجاهات في ما يخصّ تفسير سورة الكهف :

أولا : التفسير النحوي و التاريخي - الأسطوري الذي اتبعه المفسرون القدماء .

ثانيا : التفسير التحليلي و السكوني للاستشراق (على حد تعبير لويس ماسينيون .

ثالثا : التوسع الرمزي للموضوعات الروحية و النموذجية المثالية للسورة في المخيال الجماعي (و بخاصة في الأوساط الشيعية و الصوفية) [80] .

---

376 - المصدر نفسه ص 48 - 49 .

377 - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 149 .

378 - المصدر نفسه ص 149 .

379 - المصدر نفسه ص 150 .

380 - المصدر نفسه ص 150 .

لقد أختار أركون الاتجاه الأوّل ، مع العلم أن الاتجاهات التفسيرية الثلاث يصفها بأنها كلاسيكية ، وذلك بسبب نجاحها في فرض نماذجها المعرفية إلى الآن ، لكن مبرره في اختياره لأنه : هو الاتجاه الذي تلقّى وجمع حكايات التراث الأكثر قدماً كما أنه هو الذي ثبّت الإطار ، والمجريات [381] ، والإيضاحات الأساسيـــة لكل الفعالية التفسيرية حتى يومنا هـــذا [82] .

بعدما عرفنا اختيار أركون للاتجاه الأوّل ، فما هو هـــدفه من هذه العملية التفسيرية ؟ يجيـــبنا :

- فنحن أوّلاً نريد أن نشتغل كمؤرخين محترفين من أجل بلورة تاريخ شمولي أو كليّاتي للمجتمعات المتولّدة تحت الضغط المباشر قليلاً أو كثيراً للمعايير التوجيهية للخطاب القرآني .

- ثم نهدف من جهة ثانية إلى إخضاع نتائج " أنتربولوجيا الماضي " هذه إلى الفكر الفلسفي النقدي الذي يتأمل في المشاكل المطروحة في الحياة اليومية للمجتمعات التي لا تزال مجبولة أو متأثرة حتى الآن بظاهرة الكتاب الموحى [83] .

فسورة الكهف تشتمل على ثلاث قصص :

أ - القصة الأولى ، هي قصة أصحاب الكهف ، وتبدأ من الآية (إلى الآية 25 .

ب - القصة الثانية ، هي قصة صاحب الجنة ، وتبدأ من الآية 32 إلى الآية 43 .

ج - القصة الثالثة ، هي قصة ذي القرنين ، وتبدأ من الآية 50 إلى الآية 98 .

ويختار أركون من بين جميع التفاسير ، تفسير ابن جرير الطبري (ت 311 هـ / 923 م) ، وتفسير فخر الدين الرازي (ت 606 هـ / 1209 م) ، فعلى أي أساس كان هذا الاختيار ؟ يقول : لأنهما يتمتعان بهيبة كبيرة لا تُضاهى سواء لدى المسلمين أم لدى علماء الإسلاميات الغربيين (أي المستشرقين) . فالأوّل - أي الطبري - جمع عدداً ضخماً من الأخبار في كتاب عملاق موزّع على ثلاثين جزءاً . وتفسير الرازي يشهد على عمق ديني وثقافة علمية وفلسفية قلّ نظيرها [84] .

---

[381] - المصدر نفسه ص 150 .

[382] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 150 .

[383] - المصدر نفسه ص 151 .

[384] - المصدر نفسه ص 151 - 152 .

يقول أركون والآن دعونا نطرح هذا السؤال : كيف " قرأ " هذان المؤلّفان - أي الطبري وفخر الدين الرازي - سورة الكهف ؟ كيف فهماها وشرحاها ؟ وما هي المبادئ النظرية التي تتحكّم بتفسير كلّ منهما ، والمجريات التي اتبعاها لعرض موقفيهما ، والنتائج التي توصلا إليها [85] ؟

1 - المبادئ

بدأ أركون بدراسة المبادئ النظرية التي تتحكّم بتفسير كلّ منهما ، وهي تعتبر من المسلّمات اللاهوتية ، والتي سوف تؤدي حسب رأيه : إلى عمل هائل من تضخيم العبارات القرآنية ، وأسطرة[86] ، والتعالي بها [87] .

الآن نريد أن نعرف المبادئ التي ذكرها أركون آنفاً ، فعلى ماذا تنص ؟ يُجيبنا :

ينصّ **المبدأ الأوّل** على ما يلي : إنّ كلّية النصّ القرآني المجموع بين دفتي المصحف هي كلام الله الموجَّه إلى النبي شخصياً أو إلى المخلوقات المتعدّدة عن طريق النبي - الناقل [88] .

بدأ أركون بتفسير الإمام الطبري :

تبتدئ سورة الكهف بالآية التالية : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾ الكهف . ويقول الطبري معلّقاً : " القول في التأويل قوله عزَّ ذكره {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ( ) قَيِّ . قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره الحمد لله خصّ برسالته محمداً وانتخبه لبلاغها عنه فابتعثه إلى خلقه نبياً مرسلاً وأنزل عليه كتابه قيماً و لم يجعل له عوجاً . وعنى بقوله عز ذكره قيماً ، معتدلاً ، مستقيماً . وقيل عنى به أنه قيّم على سائر الكتب يصدّقها ويحفظها " [89] .

بعدما استدل أركون عن كلامه بما يقوله الطبري ، يشير بعد ذلك إلى آلية اشتغال الخطاب القرآني حتى في وحداته القصصية ، محكومة ببنية ثابتة للعلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر) ، فيقول : فهناك أوّلاً الناطق - المُرسِل هو : الله . وهو يوجّه رسالة إلى مُرْسَل له أوّل هو : محمد . وهو نفسه مُبَلِّغ ، ولكنه ليس ناطقاً - مؤلِّفاً . إنه مُبَلِّغ للرسالة إلى مُرْسَل له ثان هو : الكائنات

---

[385] - المصدر نفسه ص 152 .

[386] - المقصود بها : تضخيم العبارات القرآنية على يد المفسرين الأوائل . القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 153 . وللاستزادة : يُنظر مبحث المصطلحات في الفصل التمهيدي .

[387] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 153 .

[388] - المصدر نفسه ص 153 .

[389] - المصدر نفسه ص 153 .

البشرية أو البشر وهذه الشبكة التواصلية يذكّرنا بها المفسِّر الذي يقدِّم لتفسير كل آية بالعبارة التالية : قال تعالى لنبيّه محمد .. [90] .

الله ﷻ ← ~~مرسل أوّل~~ ← محمد ﷺ ← ~~مرسل ثان~~ ← البشر } قال تعالى لنبيه محم

أركون يشير إلى أن التفسير الكلاسيكي لا يفرق بين الخطاب القرآني الشفهي ، و بين تحوله إلى نص مكتوب بين دفتي المصحف ، ولا يهتم عما يمكن أن ينتج عن ذلك ، لذلك يقول : إنّ الإكراه البنيوي لعلاقات الضمائر أو الأشخاص يُمارس فعله بقوة هائلة إلى درجة أن مكانة الراوي بالقياس إلى مكانة المتكلّم – المؤلّف قـــد تعرّضت للنقاش غالبـــاً [91] .

تقول الآية 25 من سورة الكهف : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ . ويعلق الطبري على هذه الآية قائلاً : " اختلف أهل التأويل في معنى قوله : {وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡ } فقال بعضهم ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك . واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله {قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ } . وقالوا لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف لم يكن لقوله {قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ } وجه مفهوم " [92] .

وأما **المبدأ الثاني** : الناتج عن السابق فيقول بأن القرآن ليس وثيقة كبقية الوثائق التي يدرسها المؤرّخ ، وإنما هو كلام للحياة ، أي يُعاش عليه يومياً [93] .

فالقرآن فعلاً ليس كذلك ، بل هو كتاب هداية للبشرية منذ يوم نزوله إلى غاية يوم الدين : أما **المبدأ الثالث** الذي يتحكّم بالتفسير التقليدي فينصّ على ما يلي : كل العبارات أو الآيات المجموعة في النصّ الرسمي القانوني (أي المصحف) صحيحة كلياً ، ولا يختلط بها أي كلام غير إلهي . كان الطبري لا يزال قريباً من عهد الاختلاف في ما يخصّ نقل النصوص القرآنية (أو الصياغات النصيّة) [94] .

---

390 – المصدر نفسه ص 153 .

391 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 153 .

392 – المصدر نفسه ص 153 .

393 – المصدر نفسه ص 153 – 154 .

394 – المصدر نفسه ص 154 – 155 .

يبدو أن أركون غم عليه الأمر وأصبح لا يفرق بين تدوين النص ، والفصل في هذا الأمر منذ خلافة عثمان بن عفان ﷺ ، وبين القراءات ، وبين إشكال النص وإعجامه ، نتيجة كثرة دخول غير العرب لدين الله . والتاريخ يشهد فالبرغم من كثرة الفتن التي وقعت بين المسلمين (الرعيل الأوّل) ، من رمي بالكفر أو القتل ، فلم يصلنا أي خبر منهم بأن القرآن انتقص منه أو زيد ولو حرفاً واحد .

أما ما نقل فيما بعد بزمن بعيد عن البعض (الشيعة) ، فهم لم يكونوا شهوداً آنذاك . وكلامهم مردودٌ عليهم تاريخيا وعلمياً .

أعتقد أن أركون استحسن عملية التوليد على هذه المبادئ ، فبعدما تولّد عن المبدأ الأوّل المبدأ الثاني ، هاهنا يقوم بعملية توليد وأظنها قسرية ، على المبدأ الثالث ليولّد رابعاً ، حيث يقول : إنّ العبارات أو الآيات المجموعة في المدوَّنة الرسمية تشكّل فضاءً لغوياً لا يُختزل إلى فضاء آخر على الرغم من أن هذه المدوَّنة تجسّدت في لغة بشرية هي هنا : اللغة العربية . وكل هذه العبارات أو الآيات معيارية ملزمة سواء على مستوى الشكل أم على مستوى مضمون التعبير [95] .

يقول أركون : فإن المفسِّرين القدماء قد استمدوا معلوماتهم من دون تمحيص من ذلك الخصمّ المعقّد من المعطيات اللغوية ، والأدبية ، والتاريخية ، التبجيلية ، والأسطورية المتراكمة طيلة ثلاثة قرون من الفعالية المتعددة الجوانب والعلوم (شارك فيها علم النحو ، وفقه اللغة ، وعلم المعاجم والألفاظ ، وعلم السير ، وعلم تاريخ المناطق ، والتشريع ، والمنتجات .. إلخ) [396] .

فهو يذكر أن المفسرين قديما استعانوا بالأدوات التي كانت متيسرة لديهم ، في عملية البحث عن فهم صحيح للقرآن ، وهذا أمر طبيعي ، وهذا ما يفعله هو الآن .

! - ا، ريات

بداية نريد أن نعرف ، ما علاقة المبادئ بالمجريات ؟

فيقول أركون : هناك علاقة تبعية ووظائفية وثيقة بين المبادئ المعرفية التي انتهينا من تحديدها للتوّ ، وبين مجمل مجريات [97] العرض المشتركة لكل الأدبيات التفسيرية [98] .

---

[395] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 155 .

[396] - المصدر نفسه ص 155 .

[397] - يقول هاشم صالح : المقصود بها المجريات المنهجية التي يستخدمها المفسّرون القدماء لتفسير سور القرآن . المصدر نفسه ، هامش ص 156 .

[98] - المصدر نفسه ص 156 .

والمجريات التي سوف تتمايز ، وتبدوا أكثر خصوصية ، هي تلك التي ستبدو بوضوح تام بمقارنة مقطعين لدى الطبري والرازي ، كما يسردهما أركون ، وهما :

المقطع الأوّل هو عبارة عن حكاية تأطيرية رويت داخلها قصة الظروف المباشرة التي أدّت إلى نزول سورة الكهف كلها . والطبري يُقدّم هذه الحكاية الكلاسيكية منذ بداية تفسيره للآية الأولى . وقبل[99] كان مقاتل سليمان ، ت 150 هـ / 767 م) المعاصر لابن إسحاق ، ت 151 هـ / 768 م) قد نقل الحكاية نفسها ولكن بخصوص تفسير الآية التاسعة من السورة ذاتها ونلاحظ أن فخر الدين الرازي يتبع مثال مقاتل وينقل ، كالطبري ، رواية ابن إسحاق[00] .

يقول الطبري في تفسيره :

حدّثنا أبو كريب قال ثنى يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال ثنى شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس فيما يروي أبو جعفر الطبري[01] ، قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد ، وصِفُوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل ، فَرَأوا فيه رأيكم : سلوه عن فِتية ذهبوا في الدهر الأوّل ، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوّاف ، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك ، فإنه نبيّ فاتَّبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضْر وعقبة حتى قَدِما مكة على قريش ، فقالا يا معشر قريش : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهودَ أن نسأله ، عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به ، فقال لهم رسول الله ﷺ « أُخْبِرُكُمْ غَدًا بِمَا سأَلْتُمْ عَنْهُ » ، و لم يستثن فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة،لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحيا ،

---

[99] – المصدر نفسه ص 156 .

[00] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 156 .

[401] – يقول أركون : هذه الإشارة إنّ لم تكن من عمل الناسخ فهي تدل على تدخل المؤلف . المصد نفسه ص 157 .

ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وَعَدَنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزنَ رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه ، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام ، من الله عز وجل ، بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفِتية والرجل الطوّاف ، وقول الله عز وجل ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَـ[402] أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلا) . ثم يضيف ابن إسحاق قائلاً : فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) يعني محمدا إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوّته (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّمًا : أي معتدلا لا اختلاف فيـ[03] .

بعد أن انتهى أركون المثال الأوّل ، المتعلق بذهاب وفد قريش ، لليهود ، لا نزال مع المثال الثاني الموجود في تفسير الطبري ، فيواصل أركون : فيتعلّق بالمعنى المقترح لكلمتَيْ " رقيم " و " كهف " الواردتين في الآية التاسعة من السورة . يقول الطبري : " وأما الرقيم فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به فقال بعضهم هو اسم قرية أو واد على اختلاف بينهم في ذلك ... قال الرقيم واد بين عسفان وأيلة دون فلسطين وهو قريب من أيلة ... وقال آخرون الرقيم هو الكتاب ... إنه لوح من حجر كُتِب فيه أسماء أصحاب الكهف وجُعل على باب الكهف ... إنه كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعمَّا فيه . وقرأوا : وما أدراك ما عِلّيون : كتاب مرقوم ، يشهده المقربون . وما أدراك ما سجّين ، كتاب مرقوم ... وقال آخرون بل هو اسم جبل أصحاب الكهف ، وقيل إن اسم ذلك الجبل بنجلوس ، واسم الكهف حيزم ، والكلب حمران ... وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنياً به لوح أو حجر أو شيء كُتِب فيه كتاب . وقد قال أهل الأخبار إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا إلى الكهف . ثم قال بعضهم رفع ذلك اللوح في خزانة الملك . وقال بعضهم : بل جُعِلَ على باب كهفهم . وقال بعضهم : بل كان ذلك محفوظاً عند بعض أهل بلدهم ... "[404] .

والآن ينقلنا أركون إلى النموذج الثاني وهو المثال الثالث : والآن إليكم كيف يعالج فخر الدين الرازي مشكلة موسى في القصة الثانية ؟ (أي في الآية 60) وما تلاها :

---

[402] – المصدر نفسه ص 157 .

[403] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 157 .

[404] – المصدر نفسه ص 157 - 158 .

يقول فخر الرازي في تفسيره :

" أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة . وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس : إنّ نوفاً بن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس صاحب موسى بن عمران ، وإنما هو صاحب موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب . وقيل : هو كان نبياً قبل موسى بن عمران . فقال ابن عباس : كذب عدو الله . وأعلم أنه كان ليوسف [405] عليه السلام ولدان أفرائيم وميشا فولد أفرائيم نون وولد نون يوشع بن نون وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته . وأمّا ولد ميشا فقيل إنه جاءته النبوة قبل موسى بن عمران . ويزعم أهل التوراة أنه هو الذي طلب هذا العلم ليتعلم والخضر هو الذي خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وأقام الجدار ، وموسى بن ميشا معه . هذا هو قول جمهور اليهود . واحتجّ القفّال على صحة قولنا إن موسى هذا هو صاحب التوراة . قال إن الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه إلا وأراد به صاحب التوراة ، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه . ولو كان المراد شخصاً آخر مسمّى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة . . . وحجة الذين قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه تعالى بعد أن أنزل التوراة عليه وكلمه بلا واسطة وحجّ خصمه بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكابر الأنبياء يبعد أن يبعثه بعد ذلك لتعلّم الاستفادة ... واختلفوا في فتى موسى . فالأكثرون على أنه يوشع بن نون . وقال آخرون بأنه أخ يوشع ... وقيل أن موسى عليه السلام لما أُعطي الألواح وكلّمه الله تعالى قال : من الذي أفضل مني وأعلم ؟ فقيل عبد يسكن جزائر البحر وهو الخضر) [406] . يعترف أركون بالطريقة الإجرائية (الأسلوبية) المستخدمة في التفسير الإسلامي القديم ، ويعتبرها ناجعة ، فلماذا يا ترى ؟

فيقول : إنها الطريقة الأكثر انتظاما واستمرارية ، والأكثر غنى بالنتائج (نتائج ملموسة فعلاً [407] .

ولكن لما هذا التكرار والإلحاح في الاستخدام ؟

يجيب أركون : لأنها كانت تتناسب بشكل ممتاز مع الأُطر [08] الاجتماعية للمعرفة [09] . آنذاك .

---

[05] – المصدر نفسه ص 158 .

[406] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 158 .

[407] – المصدر نفسه ص 158 – 159 .

نلاحظ أن أركون بعدما فرغ من الروايات الثلاث (مثالان في تفسير الطبري ، والثالث في تفسير الرازي) ، يذكر الآيات الآتية وشارحاً لها : فبالإضافة إلى الحكايات الثلاث التي ترد على السؤالين الأولين اللذين طرحهما حاخامات اليهود ، هناك الآيات التي يدعم بها الله نبيه الذي كان يشعر بتأنيب الضمير كما تقول الآية ذ : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ [410]

أَسَفًا ﴾ وهناك الآيتان 23 - 24 حيث كرَّر عليه الله التعاليم المنسية ، والنسيان يؤدي إلى توقف الوحي . تقول الآيتان : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ وهناك أيضاً الإسهابات المتضادة أو الشروحات الطويلة المتضادة حيث عرضت مواقف المعارضين والأنصار والجزاء الذي سوف يُطبَّق عليهم يوم الحساب [11] .

الآن أصبح أركون أكثر أرثوذكسية لأنه يعتقد بأن التفسير القديم يحوّل النصّ المجازي (الرمزي) ، إلى شيء عادي جداً . كيف يتم ذلك ؟

فيقول : عن طريق تفسيره بشكل واقعي صرف أو تحويله إلى خطاب عادي حيث تتراكم أسماء الأعلام والأشخاص والأماكن ، وحيث تكثر روايات الأحداث المهووسة بالتفاصيل الصغير. [12] .

تقول الآية : ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ الكهف 13 . لنتوقف أوّلاً عند الملاحظة الإحصائية التالية : وهي أن مفهوم " الحق " يتكرر 287 مرة في القرآن مع أغلبية واضحة للصيغة اللغوية ' حق " . أما المفهوم المضاد ، أي مفهوم " الباطل " فَيرِد 30 مرة بالمعنى الذي تحتويه الآية التالية : ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ

---

[408] – يقصد أركون : الأطُر التي كانت سائدة طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، حيث كان ينبغي عليهم أن ينقلوا شفهياً أوّلاً ، ثم تدريجياً ثانياً عن طريق الكتابة ، تلك الشهادات الحيّة عن الزمن التدشيني المثالي والفضاء المقدّس للبعثة النبوية . يُنظر : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 159 .

[409] – المصدر نفسه ص 159 .

[10] – المصدر نفسه ص 160 .

[411] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 160 .

[412] – المصدر نفسه ص 161 .

وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء 8 . إن الحقّ هو الله ذاته وكل ما يندرج داخل إرادته الخلاقة وقدرته التنظيمية . وبالتالي ، فإن المفسّر الخاضع لمطلق الحق لا يستطيع إلاّ أن ينفتح على المعطيات " التاريخية " ، و " الجغرافية " الشائعة في تراث الشرق الأوسط (ينبغي أن نعلم أن قصة أهل الكهف لا تنتمي فقط إلى التراث الإسلامي ، وإنما تنتمي قبله إلى التراث المسيحي . [413] .

وكأن أركون هنا ينحو اتجاه التفسير الموضوعي ، حيث قام بعملية إحصاء لكلمة الحق [414] ، وكذ كلمة الباطل ، وبأن معرفة الحق حقيقة تؤدي إلى الانفتاح والإنعتاق من الدغمائية الضيقة .

؛ – النتائج

بعد الشروحات المطوَّلة التي وضعها الطبري وفخر الدين الرازي ، وبالرجوع إلى مفسرين أخرين كُثر لسورة الكهف ، استنتج بعض النتائج التي غذَّت تأملات المسلمين ومخيالهم عبر القرون وهي كما يلي :

. – إنَّ مجمل السورة كان قد أُوحي ضمن الظروف الملخّصة في الحكاية التآطيرية وللأسباب الواردة هناك أيضاً .

! – إنَّ قصة أهل الكهف قصة جرت بالفعل في زمن اضطهاد المسيحيين من قِبَلِ الإمبراطور ديسيوس (49! – 51! م . وكانوا ثلاثة شبّان أو خمسة أو ثمانية (أو سبعة بحسب الرواية المسيحية . " وكانوا يعبدون الله في دين عيسى بن مريم " . وقد التجأوا إلى كهف بالقرب من إيلات لكي يتهرَّبوا من عبادة الصنم الذي فرضه ديسيوس . وقد أمر ديسيوس بإقفال مدخل الكهف . ولكن " الله شاء أن يميت نفوس هؤلاء الشباب عن طريق موت النعاس ، وبقي كلبهم على عتبة الكهف " (تفسير الطبري ؛ الجزء الخامس عشر ص 126 . وهناك رواية أخرى تقول بأن القصة – أي قصة أهل الكهف – حصلت قبل المسيحية . ثم أُوقظوا بعد ثلاثمائة وتسع سنوات . وقد اكتشفهم راعٍ ، وعن طريقه عرفت القرية بالقصة [415] .

---

[413] – المصدر نفسه ص 62[.

[414] – بالرجوع إلى كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار الجيل – بيروت . وكذا بالرجوع للمصحف الرقمي وجدت أن : كلمة الحق ذكرت في القرآن 76[مرة ، وكلمة الباطل ذكرت 1! مرة .

[415] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 65[.

هذه حكاية أخرى تتعلق بقصة النبي موسى وفتاه ، ومن يكونا ؟ وهل موسى هو صاحب التوراة وفتاه ، أم نبياً آخر من بني إسرائيل ؟ فلندع أركون يواصل :

" ـ في الحكاية الثانية نُلاحظ أنهم ماثلوا بين موسى والنبي ؛ وبين فتى موسى ويوشع . أما كلا البحرين الواردين في عبارة " مجمع البحرين " ، فهما بحر فارس في الشرق ، وبحر الروم في الغرب . وأما السمك (أو الحوت) الذي بُعث بعد الموت والذي وجد طريقه إلى البحر ، فقد حاكوا حوله قصصاً خارقة للطبيعة ومبالغاً فيها . وساعد على هذا التهويل استخدام القرآن للفظة " عجباً " حيث يقول : " واتخذ سبيله في البحر عجباً " سورة الكهف ، الآية 63 . و " عجباً " ... وقد أراد الله أن يبرهن لموسى بأن هناك من هو أعلم منه عن طريق وضع أحد أصفيائه (أي الخضر) على طريقه . ينبغي أن ننتبه هنا إلى الاعتقاد الذي كان سائدا آنذاك والقائل بوجود علم لانهائي لله ، و لم يُكشَف إلا جزئيا للأنبياء بمن فيهم موسى . وهذا الموضوع عُرِضَ على هيئة الإخراج المسرحي[16] داخل قصة تأطيرية حيث يزعم موسى أمام شعب إسرائيل بأنه الأكثر عِلما بين البشر بعد الله ! إ ن تقلبات ومراحل رحلة موسى والخضر ولّدت لدى الطبري مناقشات من نوع فيلولوجي أو لغوي بشكل خاص[17] ".

وبعد هذا السرد المطوّل من أركون ينتقل بنا أيضاً إلى تفسير الرازي :

أما فخر الدين الرازي فيُسهب في المناقشات الفلسفية والاهوتية حول نماذج المعرفة ودرجاتها وأنماطها وذلك انطلاقاً من الموضوع المركزي للقصة أو الحكاية الواردة في الآية التالية : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف 65 [18] .

ثم بعد ذلك يشير أركون إلى الآيات (71 – 77) من هذه السورة ، فنلاحظ أن المفسرين المسلمين القدامى لا يقرأونها بصفتها مجرد (مقاطع سردية) ، وإنما يفسِّرونها كحالات معاشة يستمد منها عالِم اللاهوت والفقيه الأحكام : فمثلاً يطرح فخر الدين الرازي هذا التساؤل في ما يخصّ خرق السفينة ويقول بما معناه : هل يحقّ للأجنبي أن يتدخل في أملاك الآخرين لتحقيق غرض مشابه ؟ ثم يجيب الرازي : ربما كان مثل هذا السلوك مقبولاً في الشرع الذي تتضمنه

---

[416] – المصدر نفسه ص 165 .

[417] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 165 .

[418] – المصدر نفسه ص 166 .

الحكاية . ومثل هذا الرأي ليس عصياً على التصوّر أو القبول في شرعنا الديني . نقول الشيء ذاته عن مراحل الحكاية الذي أقامه بدون أجر[419] .

ويعود بنا أركون مرة أخرى إلى تفسير الطبري دون أن يترك تفسير الرازي ، ليسرد حكاية ذي القرنين ، مواصلا دربه لإتمام النتائج التي غذّت تأملات المسلمين ومخيالهم عبر القرون :

. – لكي يحدد من هو ذو القرنين ، بطل الحكاية الثالثة الواردة في سورة الكهف ، نلاحظ أن الطبري يشير إلى حكاية تأطيرية مستقلة عن السابقة . وطبقاً لها فإن بعض " أهل الكتاب " جاؤوا لكي يسألوا النبي عمّا يقوله الكتاب المقدس عن ذي القرنين . وقد استقبلهم النبي بحضور بعض الصحابة وقال لهم : " إنه فتى من أصل رومي جاء لكي يبني مدينة الإسكندرية ... " (تفسير الطبري . ج 6 ص 5 – 7 . وقد استشهدوا بأحاديث نبوية عديدة لتفسير هذه التسمية : ذو القرنين . نلاحظ أن الرازي يقتصر على القصة التأطيرية الأولى ويقول بأن الأمر يتعلق[420] بالإسكندر ، ابن فيليب الإغريقي . ويضرب على ذلك كبراهين الآيات (35 – 36 ثم 94) ، حيث يقول القرآن بأن البطل وصل إلى مغرب الشمس ومشرقها ، أو بالأحرى مطلعها بحسب التعبير القرآني ، ثم وصل إلى بين السدّين ، أي إلى الشمال الأقصى حيث يعيش الشعب التركي المدعو بيأجوج ومأجوج[421] .

ونكتفي بهذا السرد المطوّل ، وما تبقى فهو معروف في الثقافة الإسلامية للجميع .

ويخلُص أركون القول إلى : أن كل هذه النتائج الحاصلة عن التفسير الإسلامي القديم تمثّل مجمل المعرفة التي شكّلها المسلمون عن القصص الواردة وعن المعنى الشمولي لسورة الكهف . وأن القراءة الفيلولوجية والتاريخوية قد صحَّحت المماثلات أو الشروحات " الخاطئة " للتفسير

---

419 – المصدر نفسه ص 66 بتصرف .

420 – المصدر نفسه ص 67 بتصرف .

421 – في الأسطورة التوراتية يُقال لنا بأن شعبي يأجوج ومأجوج سوف ينزلان من جهة الشمال في نهاية الأزمان لكي يهاجما شعب إسرائيل . ولكن " يهوه " ، أي رب إسرائيل ، سوف يُدافع عن شعبه . وقد استعاد القرآن هذه القصة في مقطعين من مقاطعه ، الأوّل من سورة الكهف {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً } الكهف 94 . والثاني من سورة الأنبياء {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ } الأنبياء 96 . هكذا نجد أن القرآن يتحدث عن مجيئهم والخراب الحاصل بسببهم . ثم يربط بينهم وبين القصة الأسطورية للإسكندر المقدوني الذي يعتقد بأنه بنى سداً لاحتوائهم .

الإسلامي القديم . وقد فعلت ذلك بشكل خاص عن طريق الإحالة إلى ملحمة غلغاميش ورواية الإسكندر [22] .

القرارات

وهي القرارات التي توصل لها أركون وهي في عمومها ، لا تخص السورة بقدر ما تخص المسلمين ، فهو يعبر عن ما اختلجه في شعوره من أمنيات ، حيث يتكلم متسائلاً : ما الذي ينبغي فعله ؟ ما هي القرارات [23] التي ينبغي على المرء أن يتخذها بصفته مؤرخاً .[424]

كما يُلِح أركون على ضرورة الدراسات الأكاديمية ، وإن كانت محدودة : إني أعترف بفائدة وضرور الأطروحات الجامعية أو الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تركزّ البحث على موضوع محدّد بدقة كما وأعرف محدودية النظرة البشرية عندما تريد أن تكون إجمالية شموليا [25] .

مع هذا يتمنى أركون ، وجود بحوث جادة ، وإن كانت قليلة ، تفيدنا في معرفة تفاعل العلاقات البشرية ، قائلا في ذلك : فالباحثون الذين يعتمدون على دراسات بحث أكاديمية صلبة من أجل الكشف عن بعض العلاقات التي تربط بين مختلف ذرى الوجود البشري والمفصولة عن بعضها البعض بسبب ضرورات التحليل العلمي ، لا يزالون نادرين [26] .

خلاصة هذه السورة ، لقد قسم أركون سورة الكهف إلى ثلاثة مقطع ، تشتمل على ثلاث قصص :

أ – القصة الأولى ، هي قصة أصحاب الكهف ، وتبدأ من الآية 9 إلى الآية 25 .

ب – القصة الثانية ، هي قصة صاحب الجنة ، وتبدأ من الآية 32 إلى الآية 43 .

ج – القصة الثالثة ، هي قصة ذي القرنين ، وتبدأ من الآية 80 إلى الآية 98 .

---

422 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 67 بتصرف .

423 – أقصد القرارات الخاصة بهذا الفضاء المتناغم والمنسجم حيث لا يزال يعيش أو يسبح ملايين المسلمين حتى اليوم . هل يكفي أن نقطّع هذا الفضاء التفسيري إلى قطاع أدبي ، وقطاع فلسفي ، وقطاع لا هوتي ، وقطاع اقتصادي ، بل وحتى قطاع دلالي سيميائي ... ثم ندرسه طبقاً للمناهج والإشكاليات المعترف بها من قبل العلماء والاختصاصيين المعاصرين ؟ المصدر نفسه ص 169 .

424 – المصدر نفسه ص 169 .

425 – المصدر نفسه ص 169 .

426 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 169 .

كما نلاحظ أنه أعتمد في دراسته على المستشرقين كثيراً (ريجيس بلاشير ، وباورز) ، وقد أختار أركون من التفاسير الكلاسيكية اثنان هما : الطبري وفخر الدين الرازي ، وقام بدراساتهما ، ليعرف المبادئ النظرية التي تتحكَّم بتفسير كلّ منهما ، والمجريات التي اتبعاها لعرض موقفيهما ، والنتائج التي توصلا إليها .

فوجد أن هناك علاقة تبعية ووظائفية وثيقة بين المبادئ المعرفية ؛ وبين مجمل مجريات العرض المشتركة لكل الأدبيات التفسيرية . كما قال بأن التفسير الكلاسيكي لا يفرق بين الخطاب القرآني الشفهي ؛ و بين تحوله إلى نص مكتوب بين دفتي المصحف ، ولا يهتم عما يمكن أن ينتج عن ذلك .

وفي النتائج استنتج بعض النتائج التي غذَّت تأملات المسلمين ومخيالهم عبر قرون طويلة و أما **القرارات** التي توصل لها أركون وهي في عمومها ، لا تخص السورة بقدر ما تخص المسلمين ، وهي عبارة عن مجموعة من الأسئلة تعبر عن أمنيات ، يُرجى تحققها يوماً .

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور المكية

ثالثاً : سورة العلق

هذه أوّل سورة من حيث الترتيب الزمني ، وهي أوّل سورة منتقاة للدراسة بالنسبة لأركون ، بداية أشير إلى أن أركون بدأ بتمهيد لقراءته ، لعله يريد من خلاله – التمهيد – إحداث تواصل فكري بينه وبين قارئه ، فهذه السورة الكريمة تصنف ضمن قصار السور ، وبالرغم من قلة عدد آياتها ، إلا أنها عظيمة وغزيرة في مبناها وفوائدها ، مثلها مثل بقية السور ، وهذا شأن القرآن الكريم .

وننتقل هنا للنظر في آراء أركون ، الذي شن حربا على التراث الإسلامي ، وفي نفس الوقت مدعيا أنه باستخدامه لعدته وعتاده الحديث قد أتى بما هو جديد ، وخاصة أنه مناضل عتيد في هذه الساحة ، بشهادته هو شخصيا : لقد شرعتُ في تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيميائيات لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي . ونشرت عام 1970 م البحث الأوّل بعنوان (كيف نقرأ القرآن) كمقدمة لترجمة كازيميرسكي للقرآن[27] .

كما نجده يمهدُ في هذا المدخل من دراسته ، لتوضيح بعض المصطلحات أو المفردات التي يراها ضرورية ، لرفع أي لبس منذ البداية ، أعتقد أن أركون يريد التخلص من الشحنات النفسية ، التي قد تجعل بينه وبين الموضوعية والمعقولية غشاوة على حد زعمه . مما يؤثر على قراءته الحداثية ، فذكر أن مفهوم الخطاب النبوي : يُطلق على النصوص المجموعة في كُتُب العهد القديم (أي : la Bible والأناجيل والقرآن ، كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية السيميائية للنصوص ، لا إلى تعريفات وتأويلات لاهوتية عقائدية[28] .

كما يذكر في هذا المدخل أن التحليل الذي مُورس على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، بواسطة المناهج الحديثة ، قد أدى إلى نتائج جديدة ، و لم يمس العقيدة في شيء من الناحية السلبية ، بل على العكس من ذلك ، الغرب لم يتخلى عن مسيحيته ، وأصبحوا أكثر إنسانية ، وتفتح على الآخر ، في ظل أحضان الحداثة ، قائلاً : نلتمس هنا طفرة معرفية في تحليل الخطاب الديني عام . وهذه الطفرة لا تمسّ العقيدة في محتواها وممارستها ، وإنما تحيلها إلى مستوى أوسع

---

[427] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ذ .

[428] – المصدر نفسه ص ذ .

ومنظومة معرفية [29] أكثر تفتحاً وأشمل إحاطة بما أضافته الحداثة العلمية من نظريات وشروح وتأويلات واكتشافات ووسائل إحقاق الحق والحقيقة [30] .

لقد عدّد أركون مزايا هذه القراءة ، ونتائجها لما طُبقت على التراث الأوربي ، فما الهدف من وراء ذلك ؟

فيجيب : أقول ذلك لكيلا يُسارع القراء « المؤمنون » إلى رفض القراءات التي أقترحها للقرآن لأنها خارجة عن إطار ما أُسمّيه بالتفسير الموروث [431] .

فنحن نشعر من صاحب هذا الكلام أنه لديه هاجسُ الخوف ، فلماذا ذلك يا ترى ؟

فيُجيبنا مستعجلاً ، وهو الذي نهى آنفاً عن التسرع : هناك من « يكفّر » [32] هذه القراءات بناءً لا على ما فهمه واجتهد لإدراك مقاصد المؤلّف ، ولكن على أساس ما غاب عن فكره ومعلوماته إذا كان لم يكتشف بعد تعاليم اللسانيات والسيميائيات والأنتربولوجيا والسوسيولوجيا الدينية والثقافية وعلم النفس التاريخي [33] .

لذلك نجده هنا يريد أن لا يقع لغيره ، ما أُصيب به هو ، فهو يقول مُلِحُ على : ضرورة التكوين العلمي والفكري للأجيال الطالعة في البلدان الإسلامية وأعطيها أهميا قصوى . لماذا ؟

فيجيب : أني اكتشفت أن مستوى التعليم الثانوي والجامعي بعيدٌ جداً عما يجب أن يكون عليه خاصة في ما يتعلق بعلوم الإنسان والمجتمع [34] .

سورة العلق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ

---

[429] – المصدر نفسه ص 7 .

[30] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 7 .

[31] – المصدر نفسه ص 7 .

[432] – ربما أركون لا يزال متأثراً بما وقع له في إحدى ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر ، يقال أنه عُومل معاملة قاسية وكُفر من بعض العلماء .

[33] – المصدر نفسه ص 7 .

[434] – المصدر نفسه ص 3 .

وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة العلق 1 - 9 .

1 - التفسير الإسلامي الموروث لهذه السورة :

بداية نلاحظ أن أركون ينطلق من المسلّمات الموجودة في تراثنا ، فلندعه يذكر ذلك . وسوف نرى هل يكون أمينا في نقله أم لا ؟

يقول أركون بحسب ما يقول التفسير الإسلامي الموروث ، فإن هذه السور ، التي تحتل الرقم 96 في المصحف ، هي في الواقع أول وحي نُقِل إلى محمد في جبل حراء من قبل الملاك جبريل الذي يطابقون بينه وبين الروح القدس . فقد سأل ثلاث مرات : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ! ومحمد يجيب : « ما أنا بقارئ » ! ونمتلك في هذه القصة رواية أدبية عن العملية المستخدمة لنقل الوحي من الله إلى الناس عبر محمد . فجبريل يتردد باستمرار بين الله (أي السماء) ومحمد (أي الأرض) لكي يجلب الوحي ، تماماً كما كان يفعل سابقاً مع يسوع وبقية أنبياء التوراة . وهكذا يضمن الملاك جبريل عن طريق وجود صحة أو موثوقية الوحي المنقول على طول الخط بدءاً من آدم وانتهاء بمحمد [435] .

2 قراءة أركون لهذه السورة :

يشير أركون إلى نقطتين أساءتا لتراثنا ، حتى أن البعض أعدها من المثالب التي يتحمّلها التراث وأهله على السواء ، بسبب ما دُس من إسرائيليات لتراثنا ، عن طريق بعض القدامى ، إلا أنه من الإنصاف أن نجد لهم العذر ، ومراعاة الظروف التي كانت تحيط بواقعهم المعاش الذين هم جزء منه ، ومن باب الموضوعية التي يدعيها أصحاب القراءات الحديثة ، كان الأوْلَى لهم القراءة الأنتربولوجية لتلك الحقبة الزمنية ، وذلك من أجل معرفة الأسباب والدوافع لتلك الظاهرة ، بدل القراءة الانتقائية للتراث ، بتتبع ما فيه من أخطاء ، وهي في حقيقة الأمر طبيعية لكل مجهود بشري . فما ذكره أركون هنا من قَصص مكذوب ، أو أسباب النزول المفتعلة ، أو حتى الذين عُرف عنهم نقل مثل بعض هذه الروايات ، فسياق الكلام الخاص بسورة العلق اعتقد أنه لا يستدعي الإشارة إلى مثل هذا الكلام ، فهو يقـــول : " يوجد في التراث الإسلامي شيء يُدعى (قصص

---

[435] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 30 .

الأنبياء ، وهي تحتوي على العديد من القصص . ونخصّ بالذكر منها تلك التي جمعها يهوديَّان اعتنقا الإسلام وهما كعب ا - بار [436]

، و وهب بن منب . وهذه القصص العديدة تشكّل الخلفية الأسطورية التي تُفسر لنا سبب نزول كل آية من آيات القرآن (والآية هنا تعني القطعة الشفهية أو ما يدعوه علماء الألسنيات بالوحدة النصّية) . إن هذه القصص تبيِّن لنا العلاقة القوية بين تفاسير القرآن ، وبين المخيال الديني الذي ساد طيلة القرون الهجرية الثلاثة الأولى " [437] .

يبدأ أركون هنا في تحليله الألسني قائلاً : إن سورة العلق نفسها توحي لنا بالموضوعات الكبرى للوحي ولكيفية التركيبة اللغوية (التمفصل اللغوي) لخطابه . فالله يتبدّى وكأنه الذات الفاعلة الأساسية (فهو الذي ينظّم نحوياً ، وبلاغياً ، ومعنوياً الخطاب كله) ، ولكن يوجد هناك فاعلان (أو لاعبان اثنان في الساحة) ، الأوّل هو النبي الذي وُجه إليه الأمر ، والثاني هو الإنسان الذي يمثّل الهدف النهائي أو المُخاطَب الأخير الذي وُجِّهت إليه الأوامر [438] .

الله ﷻ الفاعل الأوّل يرسل بخطابه إلى ← النبي ﷺ ← يبلّغه إلى ← البشر

فالله ﷻ هو الذي ينظّم نحوياً ، وبلاغياً ، ومعنوياً الخطاب كله ← فالقرآن الكريم لفظاً ومعنى كله من عنده سبحانه وتعالى ، ودور الرسول التبليغ فقط (وقد بلغ ﷺ) .

بعدما حدد أركون الأطراف الفاعلة بحسب زعمه في النص ، ينتقل إلى تشخيص العلاقة فيما بينها ، ومحاولاً في نفس الوقت معرفة كيف يتم مخطط التواصل بينهم ؟

فيجيب : إن البنية **النحوية** أو **القواعدية** للسورة تدلّ على العلاقات الكائنة بين الضمائر الشخصية : أي بين **نحن** (الله أو **خاصتك** محمد) ، **أنتم** أي المؤمنين) ، **هم** أي الناس) ، أو **هو** أي الإنسان . إن شبكة الضمائر هذه والعلاقات الكائنة بينها هي التي تؤسّس الفضاء الأساسي المتواصل والمنتظم للتواصل والمعنى في كل الخطاب القرآني من أوله إلى آخره [439] .

---

[436] - المصدر نفسه ص 30 .

[437] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 30 .

[438] - المصدر نفسه ص 31 .

[439] - المصدر نفسه ص 31 .

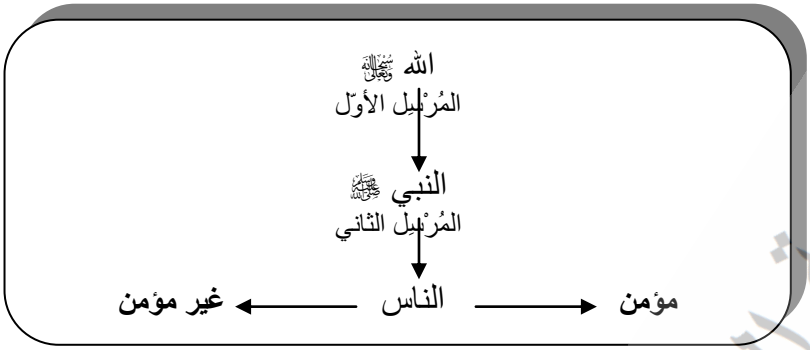

يرى أركون أن هذه الأطراف الفاعلة في مسرح أحداث النص ، أنها أعطيت لها أرقام أو شيفرات ، ترمز إليها ، وهذا عبر الخطاب القرآني ككل ، وليس في هذه السورة فقط . حيث نجد كل فاعل له رمزه الخاص به . وربما نستطيع هنا في هذا الجدول ترجمة كلامه :

الله ﷻ	نحن
محمد ﷺ	لك . خاصتك
المؤمنين	أنتم
الناس	هم (المؤمن ، غير المؤمن)
الإنسان	هو (المؤمن . غير المؤمن)

أركون يذكر بأن القصص ، والأحكام ، والمجادلات ، والإيضاحات ، المعبَّر عنها خلال فترة نزول الوحي طيلة عشرين سنة بصفتها كلام الله مركّبة نحوياً بترتيب هرمي صارم تدور حول شخصين ، وهما : الأوّل هو الله الذي يمثّل الأصل الأنطولوجي والمرجع النهائي لجميع المخلوقات ، والنشاطات ، والمعاني ، والأحداث التي تقع على هذه الأرض ؛ والثاني هو النبي أو الرسول محمد الذي يمثّل الوسيط بين الله والإنسان . أما الإنسان فهو المخلوق الذي اصطفاه الله . وهو مدعو لأن يخضع أو يسلّم حياته إلى الله [40] .

فأركون وإن كان كلامه يعبر عن لغة عصره ، فإنه لم يخرج عن فضاء التفسير الإسلامي الموروث ، فالقرآن نزل خلال عشرين سنة منجماً ، وهذا كما جاء في رواية ابن عباس ﷺ أنه قال : « أُنزِلَ القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة » [441] .

---

440 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 31 .

441 – أخرجه الحاكم والنَسَائي والبيهقي .

– أمّا بالنسبة لله ﷻ وأنه يمثّل الأصل الأنطولوجي (الإيماني) والمرجع النهائي لجميع المخلوقات ، فهذا هو السائد لدى أصحاب النظرة الأرثوذكسية ، ويستدلون على ذلك بآيات كثيرة ، ومنها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى 3. .

– أمّا بالنسبة للرسول محمد ﷺ ، فهو كذلك يمثل الوسيط بين الخالق والمخلوق ، وهذا بأمر إلهي ، امتثل له المؤمنون ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الحشر7 .

– أمّا الإنسان الذي رضي أن يكون عبداً لله ، فمقام العبودية يلزمه بالامتثال لأوامر المعبود ، ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحۡيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام 62 .

ونلاحظ عندما نتمعَّن في الخطاب القرآني أنه يوجد توتر دائم بين الله (المعبَّر عنه بالضمير نحن ») وبين الإنسان / أو الناس (المعبَّر عنهما بالضميرين « هو » ، « هم ») ، وهذا في وجود الفعل المضارع كما مر معنا في دراسة سورة الفاتحة ، وهنا يقول أركون يأتي دور الوحي : والمقصود بالوحي أن يقود الإنسان ويهديه إلى الصراط المستقيم أو « النهج القويم » الذي يقود في النهاية إلى النجاة الأبدية في الدار الآخرة . أما أولئك الذين يواجهون الله بالعصيان أو التمرد فقد وُجِّه إليهم الخطاب عن طريق ضمير الغائب لكي يعوا أو يفهموا بشكل أفضل مكانتهم ومصيرهم المحدد [42] .

الله ﷻ

نحن (تعبر عن الذات المتعالية)

الوحي

مؤمن (الثبات ——— النّاس

غير مؤمن (الهبوط و التهميش ومخاطبتهم

بضمير الغائب (هو ، هم)

[442] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 31 .

هذا التوتر الدائم كما وصفه أركون ، مرده يعود للإنسان - طبعاً - لأنه ظلوم جهول ، فالقرآن الكريم عندما نتمعن فيه قد ذَكَرهم ، ليذَكِرنا ، ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد 6. . وفي موضع آخر : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ طه 86 .

هل هذا التوتر يدل على تعارض في العلاقة بين الخالق والمخلوق ؟

فيجيبنا : إن هذا الوضع لا يعبّر عن تعارض ثنائي بين قطبين ، وإنما عن جدلية مستمرة من التوتر الصراعي الذي ينبثق من خلاله الوعي بالذنب والخطيئة . وعندئذ يحوِّل الإنسان إلى وعي ، وذات مفكرة مسؤولة أخلاقياً وشرعياً . إنه مسؤول عن كل فكرة ، أو كل مبادرة تصدر عنه في حياته [43] .

ينبه أركون إلى أن هذا الوضع لا يعبر عن قوتين متكافئتين ، فالإنسان وإن طغى ، و جعل لله أنداداً ، فهو وإن يُسأل عمن خلق السموات والأرض ؟ فالجواب مركوز فيه فطرته : أنه الله ﷻ ! فالعلاقة تبقى بين خالق قوي ، وبين عبد ضعيف ، وإن تكبر وتجبر ، وهذا الضعف هو الذي يخلق لدى الإنسان الحيرة والشعور بالخطيئة فأركون يستنكر إهمال القرآن من قبل المفكِّرين المسلمين ، ومن قبل التبحّر الأكاديمي الاستشراقي (أو المستشرقين) ، فما سبب ذلك يا ترى ؟ يقول أنهما لم يقوما بدورهما اتجاهه ، فيجيبنا : فلا توجد إلاّ محاولات قليلة جداً لتطبيق أدوات الألسنيات الحديثة ومفاهيمها على الخطاب القرآني [44] .

فأركون ينتقد الجهتين ، لأن كل منهما لا يريد التنازل عن رأيه ، فالمستشرقون لا يستطيعون الخروج من شرنقتهم - المنهجية الفللوجية بحجة أن دراستهم وصفية حيادية ، وكذا التحفظ الذي نراه من قِبل المفكِّرين المسلمين ، بحجة الحفاظ على أصالة التراث . والخوف من فتح بعض الطبوهات التي قد يصعب غلقها . وبالتالي الاقتصار على أخذ كلمات القرآن على حرفيّتها وبحسب المعنى القاموسي فقط .

- التركيبة المجازية للقرآن :

---

[443] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 31 .

[444] - المصدر نفسه ص 32 .

يقول أركون : من السهل أن نبيِّن كيف أن المفسِّرين القدامى رفضوا كلياً القيمة المجازية الواضحة التعابير من مثل : « علّم بالقلم » ، « ألم يعلم بأن الله يرى » ، « لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة » ، « الزبانية » . وهي كلها تعبيرات واردة في السورة التي تهمنا هنا سورة العلق [45] .

أركون يريد أن يشير إلى المعركة التاريخية المعروفة التي دارت بين علمائنا ، فمنهم من قال بالمجاز ، وبذل ما في وسعه ليثبت ذلك ، وقد كتبت مؤلفات في هذا الشأن ، وكتاب ابن قتيبة " المجاز في القرآن " خير دليل على ذلك ، وفريق ثانٍ ، كذلك لم يدخر أي جهد في إثبات أن اللغة العربية لا يوجد فيها مجازٌ عموما ، والقرآن الكريم على وجه الخصوص ، بل توجد الحقيقة ولا غير الحقيقة ، ولا تزال هاتان الرؤيتان موجودتان إلى الآن ، ولكن الخطورة تكمن في الإفراط من توظيفه .

أركون يذكر : أن المجاز يوظفه كل تياراً حسب رؤيته الخاصة ، فالصوفية تستخدمه كمصدر إلهام ، في علاقتها مع الإلهي ، فالفلاسفة هم أيضاً فسَّروا مجازيَ الخطاب القرآني ، ولكنهم عجزوا عن تقديم نظرية ملائمة للمجاز والكناية . ويمكننا أن نسوق الملاحظات ذاتها عن التحليل السيميائي للخطاب القرآني . عندما دشَّنت مدرسة باريس ... فإن مثال القرآن قد أُهمل أيض . ومن قبلهم كان التيار الباطني في التراث الإسلامي قد ولَّد أدبيات ضخمة عن المجاز . ولكن هذا يرينا فقط كيف أن الخطاب القرآني كان قد استُخدِم ولا يزال يُستَخدم كوسيلة أو كتعلّة (ذريعة) من أجل الاستغراق في التأملات التجريدية الغنوصية [46] ... نجد من خلال هذه الحوصلة التاريخية الطويلة نوعاً ما من أركون ليثبت لنا أن البديل يوجد عنده ، ويكمن بالضبط في التحليل السيميائي [47] .

ب – البنية السيميائية أو الدلالية للقرآن :

---

[445] – المصدر نفسه ص 63 .

[446] – الغنوصية : كانت هذه الفلسفة العجيبة هي أهم ما تحدى الكنيسة من هرطقات ، والغموض يحيط بكيفية ظهورها ، ففيها عناصر من الفكر الفارسي والمصري والأفلاطوني ، فكانت بذلك فلسفة تركيبية تنبع من مصادر كثيرة ... من تعاليمها : إن العالم الملموس المادي شر ، ولا يمكن أن يكون الله هو خالقه ، وأن الله يسكن في عالم الروح النوراني . وخلاص الإنسان يكمن بهروبه من العالم المادي . يُنظر : محاضرات في منهج الدين المقارن ، محمد إبراهيم الفيومي ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى 429 هـ /2009 م ص 87 . بتصرف .

[447] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 62 - 64 بتصرف .

وهنا نقول ما الذي يقدمه التحليل السيميائي للخطاب القرآني ؟

يقول أركون : التحليل السيميائي يقدّم لنا فرصة ذهبية لكي نُمارس تدريباً منهجياً ممتازاً يهدف إلى فهم كل المستويات اللغوية التي يتشكّل المعنى (أو يتولّد) من خلالها . وهذه الخطوة المنهجية تمتلك أيضاً رهانات أبستمولوجية . فهي تتيح لنا – وهنا تكمن أهميتها الحاسمة – أن نترك مسافة نقدية فكرية بيننا وبين المسألة الأساسية التي تخصّ المؤلف والمكانة المعرفية للخطاب القرآني [48] .

يواصل أركون ويستطرد في مزايا السيميائية ، وأن كل وحدة نصيّة في القرآن تمثل بنية صراعية تتخللها سلسلة من الأحداث والوقائع ، تولّد تفاعلات إيجابية وسلبية ، فيقول : وباللغة السيميائية يُمكننا القول بأن كل وحدة نصّية من وحدات الخطاب القرآني مبنيّة على أساس سلسلة من [49]

الأحداث المركبَّة على هيئة بنية دراماتيكية [50] أو مسرحية مثيرة [51] .

إذا فكيف تتشكل هذه السلسلة من الأحداث ؟ وهنا يذكر أركون عناصر هذه البنية :

1 الله يُطلق حكماً أو يُبلّغ رسالةً .

2 بعض الذين تَوَجّه إليهم بالخطاب يرفضون الاستماع إلى رسالته . والبعض يستمعون إليها ولكنهم يرفضون الإيمان بها . والبعض يقبل الرسالة بصفتها معرفة ، ولكنهم يرفضون إتباعها في العبادة والحياة اليومية . فقط بعض الأشخاص الملهمين جيداً يقبلون بالرسالة تماماً ، وهؤلاء هم المؤمنون ؛ إنهم حزب الله

3 يوم الحساب يجيء لا محالة . وعندئذ سوف يُكافأ المؤمنون عن طريق النجاة في الدار الآخرة ، ويُعَاقب العصاة ويُنبَذون من قِبَلِ الله ؛ ويكون مصيرهم جهنم وبئس المصير [52] .

سوف نوجز الكلام السابق في هذا المخطط :

---

448 – المصدر نفسه ص 35 .

49 – المصدر نفسه ص 35 .

450 – يقول هاشم صالح : أن أركون يوضّح هنا البنية السيميائية أو الشبكة الدلالية والمعنوية التي تخترق الخطاب القرآني من أوّله إلى آخره . ويصفها بأنها بنية دراماتيكية مثيرة لأنها مسرح للصراع بين عدة أطراف أو بالأحرى بين طرفين أساسين : النبي ومن آمن بدعوته ، والآخرين الذين رفضوا هذه الدعوة . ثم يحصل الصراع المسلّح بين الطرفين حتى يُحسم لصالح الدين الجديد . وبالتالي فهي بنية دراماتيكية ، أي صراعية . القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . هامش ص 35 .

451 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 35 .

452 – المصدر نفسه ص 35 .

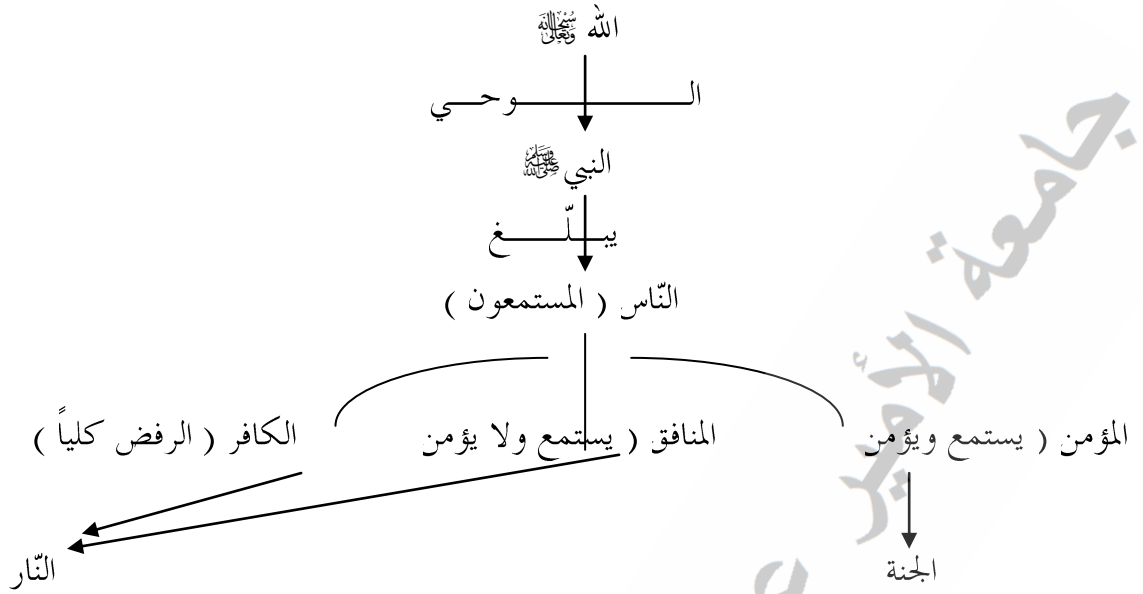

في هذا المخطط ، وعند ما يكون يوم الحساب . أن الملهمين هم الذين سيفوزون وتكون طريقهم للجنّة سهلة وقريبة . أمّا العصاة (منافق ، كافر) يكون مصيرهم جهنم وبئس المصير . وسوف تكون طريق الكافر صعبة ، ولكن ليس بصعوبة من هو في الدرك الأسفل ، فطريقه أطول وأشق .

لقد عدد أركون من مزايا البنية السيميائية ، مما يوحي أن لها دورا كبيرا ، فيما يتمثل يا ترى ؟

يُجيب : أن هذه البنية السيميائية أو الدلالية العميقة توجّه كل مستويات المعنى الخاصة بكل وحدة نصيّة قرآنية (أي كل سورة أو مقطع أو آية)[53] .

إذا أركون حدد لنا أن هذا التوجيه يتم على مستوى البنية العميقة ، فما المقصود بها يا ترى ؟ .

وما هي بقية البنى التي لم يذكرها ، مع ذكره لكلمة البُنى في مواضع كثيرة ؟

اللغة عموماً تتكون من ثلاث بنيات (بُنى : البنية الأساسية ، البنية العميقة ، البنية السطحية .

فالبنية الأساسية عند الغرب مثلاً ، هي بنية اسمية ، لأن الجملة عندهم تبدأ بالاسم ، بينما عند العرب (اللغة العربية) بنية فعلية ، لأن الجملة تبدأ بالفعل .

أما البنية العميقة : هي بنية تسبق كل إنتاج لغوي ؛ الوصف يكون موجود على مستوى الذهن ، قبل أن يتحول إلى فعل . أمّا البنية السطحية : عند تحول الوصف إلى فعل .

بمعنى أن الفكرة التصوّر) بداية تكون في الذهن في الداخل) ، ثم تتحوّل إلى فعل ؛ الخارج) ، وهنا تصير بنية سطحية . فأرجوا أن أكون قد وفقت في توضيح هذه المصطلحات ؛ بحسب ما هو مركوز في ذهني .

---

[53] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 36 .

أركون يقترح ثلاثة بروتوكولات متداخلة أو متفاعلة [54] لقراءة القرآن كنصّ ضمن المنظور الجديد للعقل الاستطلاعي المستقبلي المنبثق حديثـ[55] :

أوّلاً : القراءة التاريخية – الأنتربولوجية .

ثانياً : القراءة الألسنية – السيميائية .

ثالثاً : القراءة اللاهوتية – التفسيرية .

ولا ينبغي أن تحصل إلاّ بعد إجراء القراءتين الأوّليتين . وبناء على الأسس النقدية الجديدة المستخلصة من قبلهم[56] .

في نهاية قراءة هذه السورة ، عرفنا البروتوكولات التي اقترحها أركون من أجل قراءة القرآن ، بلغة هذا العصر ، وأن الأطراف الفاعلة في مسرح أحداث النص ، قد أعطيت لها أرقام (أو شيفرات) ، ترمز إليها ، وهذا عبر الخطاب القرآني ككل . وأن الله ﷻ هو الذي ينظّم نحوياً ، وبلاغياً ، ومعنوياً الخطاب كله فالقرآن الكريم لفظاً ومعنى كله من عنده سبحانه وتعالى ، ودور الرسول التبليغ فقط .

---

[454] – أي لا نستطيع فصل قراءة عن أخرى ولذلك نجده في سورة الفاتحة على قصرها وقلة عدد آياتها طبق عليها القراءات الثلاث : الألسنية ، و التاريخية ، و الأنتربولوجية .

[455] – أركون : يفضل تسمية للعقل الاستطلاعي المستقبلي المنبثق ، بدل التسمية ما بعد الحداثة المصدر نفسه ص 39 .

[456] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 39 .

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور المكية

رابعاً : سورة العصر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ العصر - 3 .

الإنسان مثل الشجرة ، فعندما تفقد الماء ، تبدأ تشعر بدُنوي أجلها ، وكذا الإنسان فعندما يطيل انتظاره للوحي ، وتفقد التعاليم الربانية بريقها ، يشعر الإنسان بالتيه والضلال ، فكان من رحمة الله على خلقه ، أنه يتعهدهم دائما بالهداية وإرسال الرسل بكتبه ، وما سورة العصر ، إلا دليل على هذه الرعاية الإلهية لهذا المخلوق الضعيف .

ما هي الأدوات والسبل التي جاء بها الخطاب القرآني من أجل ميلاد إنسان جديد ؟

يقول أركون : سوف نستعرض الآن بشكل سريع السبل والأدوات العقلية التي أدخلها الخطاب القرآني من أجل تأسيس إنسان جديد مضاد بكل وضوح للإنسان القديم (أي إنسان الجاهلية .

إن الخطاب القرآني يستخدم مصطلحات كالنفس ، والروح ، والإنس ، و الإنسان . كما ويستخدم معجماً غنياً من الإدراك الحسي والفعالية الفكرية من أجل أن يشكل ما يدعوه بالإنسان وذلك طبقاً لمنظوراته الخاصة ...[57]

وهنا يذكر أركون بعض الآيات التي تساعد في بناء الإنسان الجديد إضافة إلى سورة العصر ، إضافة إلى سورة العصر ، وهي كذلك قابلة للإسقاط المعاصر ، حيث يقول : إليكم الآن بعض العيّنات من الآيات التي ينتقيها غالباً أتباع القراءة التبجيلية ، وذلك لأنها قابلة لكل عمليات الإسقاط والاستلحاق : أي إسقاط قيم الحداثة عليها مع وضعها في ذات الوقت تحت هيبة كلام الله[58] .

لقد جاء في القرآن (الأحزاب الآية 72 ، البقرة الآيات 30 ، 136 ، 251 ، التوبة 5) .

فالقرآن له نفس طويل ، ويدرك في أن التكرار يرسخ الأشياء ، ويطبعها في الذهن : فالقرآن يستعيد في كل مكان ، وبدون كلل أو ملل ، الوصايا العشر ويعلّمها ويفصلّها لكي يخلّص

57- - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 204 .

458 - المصدر نفسه ص 204 .

الإنسان من[59] العمى والعنف وحياة الجاهلية وقيود الجماعة بمن فيهم الأبوان اللذان يرفضان الميثاق {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُورا } الإسر 39[60] .

إذا لماذا لم يتخلص الإنسان من جهله ، بالرغم من إلحاحات القرآن الكريم ؟

فيجيب أركون : إن هذه الآيات[61] التي استشهدنا بها كعيّنات لا يمكن أن نفهم معناها الحقيقي إلا إذا موضعناها في سياقها الأولي الذي صدرت فيه لأوّل مرة في مكةَ والمدينةِ . ولكن هذه القاعدة التي تلزم المؤرخ يتجاهلها المؤمنون بكل سهولة لأنهم يهتمون فقط بالوصايا التي يمكن استخراجها منها مباشرة لتطبيقها على سلوكهم وحياتهم . فهم يستشهدون بها دوماً[62] .

هل الخطاب القرآني يستلب إليه جميع الناس بنفس الدرجة ؟

يقول أركون : إن الشخص بصفته ذاتاً بشرية مصطدمة حتماً بتقلبات الحياة وهمومها يتشكل ويتفتح ، أو على العكس يغطس في الاستلاب طبقاً لدرجة اقترابه من الخطاب القرآني بشكل عام وطبقاً لطريقة استعماله لنصوص أخرى متفرقة وتطبيقها على وجوده اليومي هنا والآن[63] .

فالإنسان إذا تكون علاقته التفاعلية مع القرآن الكريم طبقاً لدرجة اقترابه منه ، هل معنى هذا أن القرآن يتميز بخصوصية معينة ؟ أو بمعنى آخر : ما هي خصائص أو طرق الاستلاب التي يمارسها القرآن على مستمعيه وقارئه ، فيذكر أركون ذلك : كما أنه يستخدم نفس الرموز الدينية ونفس القصص ونفس التركيبة المجازية من أجل أن يظهر لأول مرة في التاريخ إنسان الميثاق المتعاقد مع

---

[59] – المصدر نفسه ص 205 .

[460] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 205 .

[461] - {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا } الأحزاب 72 { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } البقرة 30 {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة 136 {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } البقرة 251 . {إِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } التوبة 5 .

[462] – المصدر نفسه ص 205 .

[463] – المصدر نفسه ص 207 .

الله الحي ، المتكلم ، الفاعل في التاريخ الأرضي ، من أجل إغناء العلاقة المتبادلة بين الله و الإنسان ، فإن الإنسان يرتقي إلى مرتبة الشخص وكرامته عن طريق استبطان الله كمقابل حميمـــي[64] .

خلاصة سورة العصر ، التي تحث الإنسان على الحفاظ على وقته وإلا خسر عمره سدى ، ألمح أركون أنها تشير إلى ميلاد الإنسان الجديد ، وفق المنظور القرآني ، بالرغم من ذلك فقد تمنى لو تدرس في سياقها الأولي الذي صدرت فيه لأوّل مرة .

و خلُص بالنسبة للشخص بصفته ذاتاً بشرية مصطدمة حتماً بتقلبات الحياة وهمومها . وأنه يغطس في الاستلاب طبقاً لدرجة اقترابه من الخطاب القرآني بشكل عام .

---

[464] – المصدر نفسه ص 208 بتصرف .

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور المكية

خامساً : سورة الإخلاص

في بداية هذه السورة الكريمة ، يوضح لنا أركون المخطط الذي سوف يتبعه في قراءته لها . حيث اكتفى هنا بتعداد الخصائص الآتية : بنية العلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر) داخل الجملة الواحدة أو النص الواحد (آية واحدة أو مجموعات آيات . التركيبة المجازية للخطاب الديني .. الزمكانية الأسطورية (أي البنية الأسطورية للزمان والمكان في القرآن مثلاً أو في الخطابات الدينية الأخرى . المنظور الأخروي للقيم المعنوية أو السيمانتية (أي مضمون الآيات الدينية مُقَابَلَةً لها بشكلها وطريقة صياغتها البيانية) [65] .

سورة الإخلاص

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص ١ - ٤ .

1- بنية العلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر) :

يبدأ أركون هنا في التحليل الألسني لهذه السورة ، قائلاً :

نلاحظ في هذه السورة وجود فعل أمر وثلاثة مفاهيم مشكِّلة لكل الخطاب القرآني . وهناك ضمير واحد للشخص الثالث ، وهو يدل على الغَيْرِيَّة المطلقة (أو الاختلاف المطلق . وهناك اسم علم : الله ، واسم عددي (أحد) يدل على الواحدية التي لا تتجزأ . وهذه المفاهيم الثلاثة تشكل دائرة توصيلية معنوية ترتبط حلقاتها عن طريق وسيط متضمَّن في فعل الأمر : قُـل [66] .

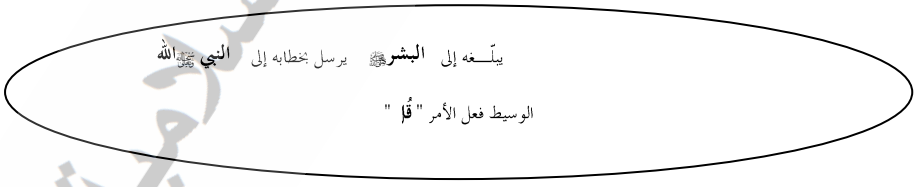

يلجأ كذلك أركون هذه المرة أيضا إلى عملية الإحصاء ، ليدعم بها وجهة نظره بمحورية بنية العلاقات ، والتفافها حول بعضها البعض من خلال الوسيط فعل الأمـر " قُـلْ " ، فيقول :

---

[465] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 37 .

[466] – المصدر نفسه ص 37 .

وهذا الفعل " قل " يتكرر (332) مرة في القرآن . والبنية الحوارية لمحمل الخطاب القرآني تتميز بالاستخدام المتعدد جداً للصيغ اللفظية الأخرى لفعل قول من مثل قالوا (331) مرة ، قال (529) مرة ، يقول (68) مرة ، يقولون (92) مرة ، القول (52) مرة ، إلخ [67] .

لقد خلُص أركون من إحصائه بأن صيغة الأمر هي الأكثر دلالة على ما يقول ، فما سبب ذلك ؟ فيقول : لأنها تموضع شبكة مؤلفة من ثلاثة أشخاص . وهذه الشبكة تحدد تخوم فضاء العملية التوصيلية ليس فقط في الخطاب القرآني ، وإنما أيضاً في التجليات التوراتية والإنجيلية للخطاب النبوي . فهناك أوّلاً ناطق – مؤلِّف – مرسِل [68] .

فهذا الناطق (أو المُرسِل) هو محل اتفاق في مخيال أصحاب الديانات التوحيدية ، مع اختلافهم في إطلاق التسمية على الخالق . وذلك مرده اختلاف الألسن ، ثم بعدها يشير أركون إلى شبكة العلاقات ، قائلاً : يدعى يهوه (لدى اليهود) أو الأب (لدى المسيحيين) أو الله (لدى المسلمين . وهو يتوجه بالخطاب إلى مخاطَب – مرسَل إليه – متلفِّظ بالكلام (أي النبي) . وأما المرسَل إليه النهائي الذي تستقر عنده الرسالة فهو البشر (أي هم ، أو كل البشر المدعوين للدخول في الميثاق . فإليهم كُلِّف النبي بتوصيل الرسالة إما على هيئة الشخص الثاني ، وإما على هيئة الشخص الثالث في حالة الجمع (أي أنتم المؤمنون) ، أو هم (غير المؤمنين) [69] .

الله ﷻ يرسل خطابه إلى ◄ **النبي** ﷺ يبلّغها إلى ◄ **البشر** البشر الشخص الأوّل – النبي ﷺ الشخص الثاني .

لله ﷻ يرسل خطابه إلى **النبي** ﷺ يبلّغه إلى ◄ **البشر** (المؤمنون الشخص الأوّل – غير المؤمنين الشخص الثاني – النبي ﷺ الشخص الثالث .

ثم يذكر أركون دور القيام بالقراءة للقرآن ، والقيام بالعبادات والمعاملات على أحسن وجه ، لذلك يقول : فبمجرد أن يتلو المرء هذا النص بحسب الطريقة الشعائرية للعبادات . أو بحسب المبادئ التفسيرية فإنه يدخل فوراً في فضاء العملية التوصيلية المدشَّنة لأول مرة من قبل فعل الأمر : – لْ [470] .

---

[467] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 37 .

[468] – المصدر نفسه ص 37 .

[469] – المصدر نفسه ص 37 .

[470] – المصدر نفسه ص 38 .

2 - التركيبة المجازية للخطاب الديني :

إن القرآن الكريم ينتشر في الناس وينغرس في الصدور بفضل التكرار الشعائري ، كما أن اللغة المتعالية للقرآن ، بشهادة أهل زمانه ، وهم ملوك البيان ، ولا يضاهيهم في هذه المنزلة أي كان إلى آخر الزمان ، كما أن المحن التي تمر بها البشرية ، وهي أحداث واقعية ، فبقدرته العجيبة - القرآن - تسامى بها فوق التاريخ ، لذلك يقول أركون : فالمحن الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية « للشعوب » التي اضطلع « الوحي » بمسؤولياتها تقدم اللحمة التاريخية المحسوسة « لكلام الله » . ولكن الأحداث والقيم والبشر الذين ينسجون خيوط هذه اللحمة فقدوا صفتهم البشرية المحسوسة عن طريق التسامي والتصعيد والتحوير . لقد رفعوا إلى مستوى مجازي ورمزي وقدوة نموذجية تشكل خصوصية أخرى متميزة من خصائص الخطاب النبوي ، أما الزمكان الأسطوري للخطاب الديني فإنه يختلف تماماً عن زمكان الكتابة التاريخية الحديثة [71] .

3 - المنظور الأخروي للقيم :

ننتقل الآن إلى الخاصية الثالثة والأخيرة ، وهي المنظور الأخروي للقيم المعنوية ، وكيف أن الإنسان المؤمن ، يتصور الآخرة ، وما فيها من ثواب وجزاء ، على أعماله ، يقول أركون : إن قوة هذا التصور الأخروي الذي دشّنه الخطاب النبوي قد أثبتت قدرتها على التكرّر والتجدد والفعل المستمر في التاريخ . وقد برهنت على فعاليتها في الطوائف التوحيدية الثلاث[72] . وكما يشهد أركون هنا بقدرة القرآن على إسعاد البشرية ، عندما يفهم ويطبق . وكيف لا يكون ، وهو كلام العليم الخبير ؟ لذلك نجده معترفا : إن القرآن يلبي كل هذه الحاجيات ويملأ كل هذه الوظائف على أفضل وجه . فهو قد انتشر في أوساط عديدة ومجتمعات متنوعة . وقد برهنت هذه البيئات الثقافية والتاريخية الأكثر تنوعاً على صحة أجوبته ونماذجه العليا ، ورمزانيته ، وقوته [73] .

- هل في الإسلام عقائد ، و ما هي ؟

انطلاقا من هذا السؤال المهم ، نبدأ هنا مع أركون ، بتحديد السورة : وهي الإخلاص ثم تحديد رقمها في المصحف 112 . مشيرا بعدها إلى العقيدة الأساسية للإيمان الإسلامي :

---

[71] - من فيصل التفرقة إلى فصل المقال - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 89 .

[72] - المصدر نفسه ص 90 .

[73] - المصدر نفسه ص 92 .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص ١ - ٤ .

جميع العقائد الأخرى تتفرّع من الإقرار بالله ، الواحد المطلق المتعالي ، ومن اختياره لمحمد ﷺ رسولاً ليبلّغ القرآن الكريم . هذا هو موضوع الشهادة التي تتضمن قسمين ، لا إله إلا الله ، ومحمد رسول الله ؛ ويقبل اليهود والمسيحيون القضية الأولى لكنهم يرفضون الثانية [74] .

فبعد ذكر أصل أصول الإيمان " شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّ " ثم بعد ذلك " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّ " ؛ هل هذه هي العقيدة فقط عند أركون ؟

فيجيب : سيطول بنا الأمر لو عدّدنا جميع أقسام العقيدة الدينية التي تحدّد إيمان المسلم . فيوم الحساب الأخير ، وبعث الأجساد ، والجزاء الأبدي ، والجنة والنار ، الملائكة والجن ، والأنبياء ، كل ذلك نقاط تقتضي التصديق والإيمان [75]

خاتمة سورة الإخلاص ، لقد درس أركون ثلاث نقاط فيها وهي :

- بنية العلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر) داخل الجملة الواحدة أو النص الواحد لاحظ أن في هذه السورة وجود فعل أمر ، وهو أمر حقيقي يفيد الوجوب ، وثلاثة مفاهيم مشكِّلة لكل الخطاب القرآني (الفاعل الأوّل وهو الله ﷻ ، والفاعل الثاني وهو الرسول ﷺ ، والفاعل الثالث وهم الناس .

- التركيبة المجازية للخطاب الديني أي البنية الأسطورية العجيبة للزمان والمكان في القرآن ، وكذ في الخطابات الدينية الأخرى ، وتأثيرهما في التاريخ .

- المنظور الأخروي للقيم المعنوية (أو السيمانتية) ، في القرآن الكريم وكيفية تأثيرها على المؤمن ، وكيفية اشتغالها أيضاً . وكنقطة أخيرة ، كانت عبارة عن سؤال ؛ حول عقائد الإسلام ، التي يقوم عليها ، شأنه كأي دين آخر .

---

[474] - نافذة على الإسلام ص 102 .

[475] - المصدر نفسه ص 102 .

المبحث الثاني : القراءة الحداثية للسور المدنية

أوّلاً : سورة التوبة

بعدما أنهينا من قراءة السور المكية الخمس في المبحث الأوّل ، ننتقل الآن لدراسة السور المدنية ، وهما سورتي : التوبة والحجرات على الترتيب .

تمهـــيد :

بداية لقد وفر علينا أركون طرح سؤالاً مهما عليه ، ثانيا كفانا عناء البحث عن الإجابة عليه ، إذ يقول : لماذا سورة التوبة على وجه الخصوص ؟

ويجيب بنفسه : لأن الدنيوي ، والمعياري ، والسياسي ، والظرفي العابر ، يقلّص التدخل الإلهي إلى مجرد تنبيهات أو أوامر قاطعة [476].

ويضيف أيضا سبب اختياره : كما أنها توفّر لنا أفضل مناسبة لكي نعيد تقييم مفهوم الوحي عن طريق أخذ بُعْده التاريخي بعين الاعتبار ، وليس فقط كشيء متعالٍ ؛ جوهراني ، أزلي [477] .

إذا سورة التوبة في اعتقاده هي عبارة عن مسرح من الأحداث الواقعية ، غير المتعالية . فضاء خالي من شحنات التقديس ، التي تحجب الرؤية الصافية للأشياء ، فيقول أركون موضحاً : لنشرح بشكل أكثر ملامح هذه التاريخية الموضّحة صراحةً على مدار السورة التاسعة (!) ، أقصد سورة التوبة . فهي تشكّل في آن معاً كل الأشياء التالية : التاريخ الحدثي أو الوقائعي الناتج عن طريق الجماعة الوليدة للمؤمنين ومن أجلها (أقصد الجماعة التي تشكلت بين عامي 10ف و 32ف م) ، كما وتشكّل الوعي الأسطوري – التاريخي القادر على مَفْصَلة التاريخ الأرضي المحسوس أو ربطه بالتاريخ المثالي والمقدس للنجاة في الدار الآخرة [478] .

لقد تضمنت هذه السورة كما يذكر أركون : بالإضافة إلى طولها (سورة التوبة مدنية وآياتها [479] تسع وعشرون ومائة وترتيبها التاسعة في المصحف) ، أسلوبها تميز باللهجة الجدالية الحادة ، وموضوعاتها الاجتماعية والتشريعية والسياسية [480] .

---

476 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 31 .

477 – المصدر نفسه ص 49 .

478 – المصدر نفسه ص 50 .

479 - سورة التوبة درسها أركون : دراسة مستفيضة في هذا المصدر " القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ، وكذا درس بعض آياتها في المصادر الآتية : الفكر الإسلامي قراءة علمية . نافذة على الإسلام . الفكر الأصولي واستحالة التأصيل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ سورة التوبة - 5 .

لقد ثارت لهذه الفئة المنتصرة امتيازات ، بعد عام الفتح (8 هـ / 634 م) تستطيع بحسب زعم أركون أن : تنقض العقود أو الاتفاقات الموقعة سابقاً مع الفئات المعارضة وتفرض عليها شروطها الجديدة تحت التهديد بإشعال الحرب ضد كل هؤلاء المشركين الذين يرفضون شرع الله ورسوله[81] .

فكل هذه الامتيازات التي ذكرها أركون من خلال قراءته للآيات الخمس من هذه السورة ، تشترك مع القراءة الإسلامية الموروثة ، كما التزم بالتسمية التي أُطلِقت على الآية الخامسة آية السيف) ، أما بالنسبة لأحوال الفئة الممتنعة فيقول : أمّا البدو الأعراب) الذين يرفضون المشاركة في الحرب العادلة أي الجهاد) المُعلن في سبيل الله ، فقد أُدينوا بقسوة في تلك السورة[82] .

أمّا بالنسبة للفئة المتمردة ، أو ما يعرف بلغة العصر الطابور الخامس ، وقد أعطيت لها الفرصة للتوبة والأوبة ، فترة طويلة من الزمن ، ولكن يبدو أن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، لقد ورد ذكرهم الأعراب عشر مرات في القرآن الكريم ، ست مرات في سورة التوبة (الآيات 90 ، 97 ، 98 ، 99 ، 101 ، 120) ، الأحزاب الآية رقم 20 ، الفتح الآيتين 11 و 16 ، الحجرات الآية رقم 14 . ويكاد يكون جوهر السورة في النفاق والمنافقين الآيات من (42 إلى 110 وكذلك من 120 إلى 129 . وفي جميع هذه المواضع باستثناء الآية 99 ، كان القرآن يذكر في مواقفهم المخزية ، لقد سئل ابن عباس ﷺ عن سورة براءة (التوبة) فقال : « تلك

---

[480] – المصدر نفسه ص 90 بتصرف .

[481] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 49 .

[482] – المصدر نفسه ص 49 - 50 .

الفاضحة ، ما زال يَنْزل : ومِنْهُم[83]

ومِنْهُم ، حتى خِفنا ألا تدع منهم أحد »[84] . وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال : « إنكم تسمونها سورة التوبة ، وإنما هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحداً من المنافقين إلا نالت منه »[85] .

أحوال الفئة المتربصة : وأما أهل الكتاب فقد أُخضعوا وأُجبروا على دفع الجزية[86] .

أهل الكتاب ذكرهم القرآن الكريم في هذه السورة في هذه المواضع : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبة 29 - 32 . و كذا قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة 34 .

الآية رقم 29 هي التي جاء فيها فرض الجزية عليهم ، ممّا أدى إلى إجبارهم على دفعها ، فهذا الأمر ينطبق على غيرهم ، من مواطني الدولة الإسلامية آنذاك ، اعتقد أن هذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فدفع الجزية كواجب على المواطن ، في المقابل له حقوق ، وكذا الأمر ينطبق على بقية المواطنين ، فالمسلم مطالب كذلك بدفع الزكاة كواجب عليه اتجاه دولته ، وبالمقابل له حقوق تضمنها الدولة له ، ولجميع مواطنيها ، مهما كانت دياناتهم ، والتاريخ الإسلامي يثبت هذا الكلام .

---

83 – أخرجه البخاري ومسلم .

484 – أخرجه البخاري ومسلم .

485 – أخرجه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

486 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 30 .

يقول أركون : وحدهم أولئك الذين عادوا إلى الله أو تابوا (أي استسلموا وخضعوا للقوة بالمعنى السياسي للكلمة) ، وأدوا الصلاة مع الطائفة الجديدة ، يتمّ الاعتراف بهم كأعضاء كاملين في هذه[87]

الطائفة الموعودة بالنجاة في الدار الآخرة[88] .

لو كان الأمر يتعلق بنظام بشري لبقي هؤلاء من الدرجة الثانية ، حتى وإن تابوا والتزموا بمبادئ تلك الدولة ، أمّا الإسلام فمن عظمته يجّب ما قبله ، ويحث أتباعه على معاملتهم كإخوة لهم : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ التوبة 1 .

من خلال كلام أركون نجد أن سورة التوبة شكّلت أمرين مهمين في حياة البشرية :

أ – التاريخ الحدثي أو الوقائعي الناتج عن طريق الجماعة الوليدة للمؤمنين .

ب – كما شكّلت الوعي الأسطوري – التاريخي (القادر على مَفْصَلة التاريخ الأرضي المحسوس أو ربطه بالتاريخ المثالي والمقدس للنجاة في الدار الآخرة . حيث نجد أن من المسلمين في بعض الأزمات يركز على قراءة سورتي الأنفال والتوبة ، اعتقاداً منهم أنهما تشخصان الواقع المعاش لديهم[89]

وأعتقد أن هذا ما يقصده أركون : وهذا التاريخ المثالي المقدس هو الذي ظل المحرك الأساسي للتاريخ الأرضي المدعو إسلامياً حتى يومنا هذا[90] .

بالرغم من ذلك أركون يحذر ، حتى لا نغفل على الفارق بين الأحداث كما وقعت في حينها – أي في عهد النبي ﷺ – وبين الحركية والصيرورة التي لا تنفد ، ويتغذى منها المخيال الجماعي : ينبغي أن نفكّر جيداً بالتفاوت الكائن بين الظرفية الأولية التي حصل فيها هذا الخطاب ، وبين الديناميكية التي لا تُستَنفد للوعي الأسطوري – التاريخي التي يتغذّى منه[91] .

---

[487] – المصدر نفسه ص 30 .

[488] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 30 .

[489] – المصدر نفسه ص 30 .

[490] – المصدر نفسه ص 30 .

[91] – المصدر نفسه ص 30 .

أعتقد أن أركون أشفق علينا ، وشعر أن نزعته التاريخية طغت عليه في التحليل : حيث نجده تطرق في تحليله إلى التاريخية التاريخوية ، والزمن المحدود والزمن اللامحدود ، و الأشكلة [92] ... ثم استدرك على نفسه ذلك ، وقال : لكيلا يبقى كلامنا تجريداً أو نظرياً ، سنحاول فيما يلي تجسيد هذه الأفكار شكل عملي من خلال قراءة الآية الخامسة من سورة التوبة ، هي التي دعاها التفسير الإسلامي [93]

التقليدي بآية السيف ، تقول الآية : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [494] .

أركون يرى أن القراءة الأوّلية لهذه الآية ، المعزولة عن سياقها ، سوف تحدث إرباكاً لفئتين ، الفئة التقليدية التي تتهوّر ، والفئة الحداثية التي تقع في إحراج ، فهو يقول : عندما نقرأ هذه الآية نفهم فوراً سبب الحماسة المغالية والمتهوّرة للمؤمنين الحَرْفيّين الذين يعتنقونها أو يرفعون لواءها من دون أي تفكير . كما ونفهم سرّ الانزعاج الذي تسبّبه لأولئك المسلمين الليبراليين الذين يعتنقون المفاهيم الحديثة لحقوق الإنسان ، والحرية الدينية ، والتسامح وحرية التفكير والتفحّص النقدي [95] .

ثم بعد ذلك يعاتب الفئتين على ضيق الأفق ، فلو لم ينكروا تاريخية القرآن الكريم ، وفهموا الآية بأنها ذكرت حكما خاصا بأحداث معينة : وفق ظروف خاصة ، وأن هذا الفهم ما لم تتوفر لنا نفس الأحداث السابقة ، لا يحق لنا سحبه على بساط الزمن ويبقى ممتداً ، تاركاً آثار السحب على أرض الواقع ، يقول أركون : ولكن هؤلاء وأولئك يُسْقطون على القرآن اهتمامات وشواغلاً وأفكاراً وأهواءً سياسية خاصة بالتاريخ المعاصر لا بالتاريخ القديم . وهم بذلك ينكرون تاريخية القرآن بالقدر الذي ينكرون فيه تاريخية الفترة الحالية ، أي فترتنا وعصرنا . وهكذا

---

[492] – هذه المصطلحات قد خُصص لها المبحث الثاني من الفصل التمهيدي .

[493] – المصدر نفسه ص 36 .

[94] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 36 .

[95] – المصدر نفسه ص 36 .

يشوهون في نفس الحركة الواحدة من القـــراءة والممارسة التاريخية كل الشروط الحقيقية أو الواقعية [96] .

لقد أجاب أركون آنفا على سؤاله الجوهري وهو : لماذا أختار سورة التوبة ؟ ، نجده هنا أيضا يعيد السؤال على نفسه ، ولكن هذه المرة لا يتعلق بالسورة ، وإنما بآية واحدة منها وهي الآية رقم ( ) : لماذا اخترت هذه الآية كنقطة انطلاق ؟

ثم يجيب : لأنه حتى في سورة التوبة المكرّسة بأكملها للتأكيد على الانتصار السياسي والاجتماعي والثقافي والاحتفال به ، فإن تلك الآية تشكّل ذروة العنف الموظَّف في خدمة حقوق الله ( ) ، والله ذاته يقدّم نفسه هنا كحليف أعظم للجماعة المختارة . وبهذا المعنى نقول إنّ العنف قد تم تصعيده والتسامي به على هيئة قُربان أو أُضحية تمّ الرضى بها كتعبير عن الطاعة المعترفة بالجميل [97] .

لكي نقرأ الآية الخامسة ، لا بد ألا تكون خارج البنية التي تتحكّم بالعلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر) ، لذلك يقول أركون : فمن المفيد أن نذكّر في ما يخصّ الآية الخامسة من سورة التوبة التي تشغلنا هنا بالحقيقة التالية ، وهي أنه لا يمكن أن نقرأها خارج البنية التي تتحكّم بالعلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر . وأقصد بذلك إطار التواصل أو التوصيل المشترك الذي يخترق الخطاب القرآني من أوّله إلى آخره [98] .

هذه البنية التي تتحكّم بالعلاقات بين الأشخاص (أو الضمائر) ، تتشكل هنا كما يلي :

الأنا (النحن ⟵ الدالة على اللـــ [99]

أنتَ ⟵ الدالة على محمد

---

[496] – المصدر نفسه ص 36 .

[497] – المصدر نفسه ص 36 .

[498] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 39 .

[499] – يقول هاشم صالح : هذا التحليل الألسني لكلمة الله أو للضمير الدالّ على الله يضيء لنا شبكة العلاقات الضمائرية الواردة في النص القرآني . كما أنه يضيء لنا كيفية توزّع الأدوار بين مختلف الضمائر التي تشغّل النصّ ؛ أي بين ضمير (الأنا – النحن) المعظّمة الدالة على الله والتي تحرك الخطاب إما من الخارج أو تتدخل فيه مباشرة ومعلوم أن كلمة « الله » حاضرة في الخطاب القرآني بشكل هائل وتهيمن عليه من أوّله إلى آخره . فقد تكررت بصيغة الله 2697 مرة ، وبصيغة الرب 969 مرة ، وأما على هيئة الصفات الدالّة على النبي الموجَّه إليه الخطاب على هيئة (أنتَ) يا محمد ، ثم الضمير الدالّ على البشر الذين ينبغي على محمد أن يبلغهم بالرسالة (هم القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . هامش ص 50 .

هم ⟵ الدالة على البشر

يقول أركون : إذا ما مزجنا بين البنية العاملية ، والترسيمية القانونية لعميلة القول ، والترسيمة القانونية للمسار السردي ، فإننا نحصل ، بالنسبة لكلّ الخطاب القرآني ، على المخطط التالي[500] :

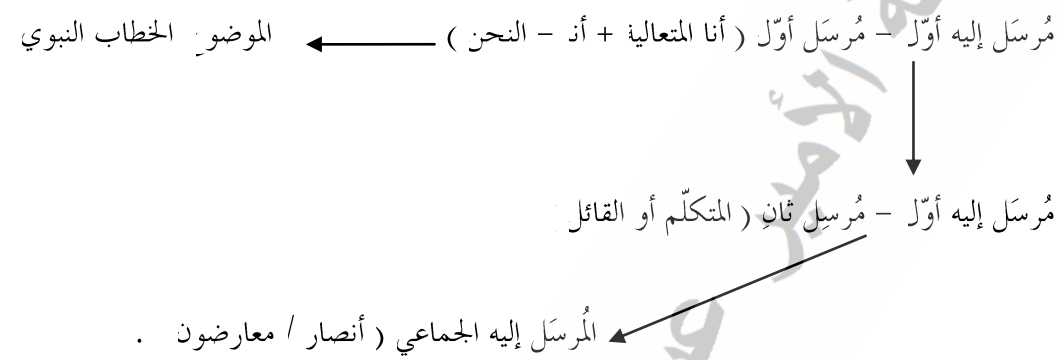

يقول أركون : إنّ هذا المخطط البياني يتيح لنا أن نقرأ الآية الخامسة من سورة التوبة بصفتها وحدة[501] سردية صغيرة مدمجة داخل الوحدة المركزية الكبيرة المتمثّلة بحكاية تأسيس الميثاق الذي ربط بين الله وآدم (يُنظر قصة آدم في مواضع متفرقة من القرآن)[502] .

يصف لنا أركون المسار السردي المشترك لكل الخطاب القرآني ، ويمر هذا المسار عبر المراحل الآتية :

- الحالة التي ينبغي تحويلها أو تغييرها (أي سحق جميع فئات المعارضين .
- بطل العملية (المُرسَل إليه الأوّل محمد ﷺ والأنصار .
- حلقات الصراع وتقلّباته المختلفة .
- الاعتراف أو الحالة المحوَّلة والمغيَّرة (أي انتصار الإسلام)[503] .

بحسب التحليل الألسني هناك ثلاثة عوامل ، (العامل الذات الأوّل الأعظم و – و الله ﷻ) ، (العامل الذات الثاني وهو محمد ﷺ) ، (العامل الذات الثالث وهم البشر . أما الذات الأوّل فبإمكانه أن يخاطب مباشرةً المُرسَل إليه الجماعي (الذات الثالث) الذي يشتمل بالضرورة الذات الثاني ، وأحيانا يخاطب النبي مباشرة ، وهذا الذي مثل له أركون هنا : فيما يخص الآية

---

[500] – المصدر نفسه ص 50 .

[501] – المصدر نفسه ص 52 .

[502] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 52 .

[503] – المصدر نفسه ص 53 بتصرف .

الخامسة ، نلاحظ أن العامل - الذات (أي القائل أو المتكلّم) لا يظهر نحوياً . ولكنه يعود إلى الظهور في الآية التالية القائلة : {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُو } التوبة 6 . وأما العامل - الذات الأوّل فيمكنه ، كما هي الحال هنا ، أن يتوجه مباشرةً إلى المُرسَل إليه الجماعي الذي يشتمل بالضرورة المُرسَـــل إليه الأوُل وهو يتوجّه إليه بأوامر قاطعة من نوع (اقتلوا ؛ خذوهم ؛ احصروهم ، اقعدوا لهم كل مرصدا ...) [504] .

يقول أركون : نحن نعلم أن (الفاعل – الذات) المطلق (أي الله) يبرز خلال عدة أدوار داخل النصّ القرآني . إنه يرجع أوّلاً إلى نوع من الأنا الخارجية على النص ولكن التي تشكل مصدراً لكل أنواع التعبير والتنصيص (أي الآيات) . كما أنه يرجع إلى نوع من الأنا - النحن المنخرطة على كل مستويات وظائفية الخطاب ... ويتغذى بالطاقة التي سوف تقذف به نحو الأنا التي لا تُسبَر [505] (لا يسبر سرها) [506] . والآن هذا الرسم التخطيطي لخصت فيه الكلام السابق :

(الفاعل – الذات) المطلق (أو المثالي الكبير) هو في آن معاً مرسِلٌ إليه – أي يرسل الأعمال التوصيلية (الأوامر) - إلى البشر ـــــــ في النهاية تعود إليه .

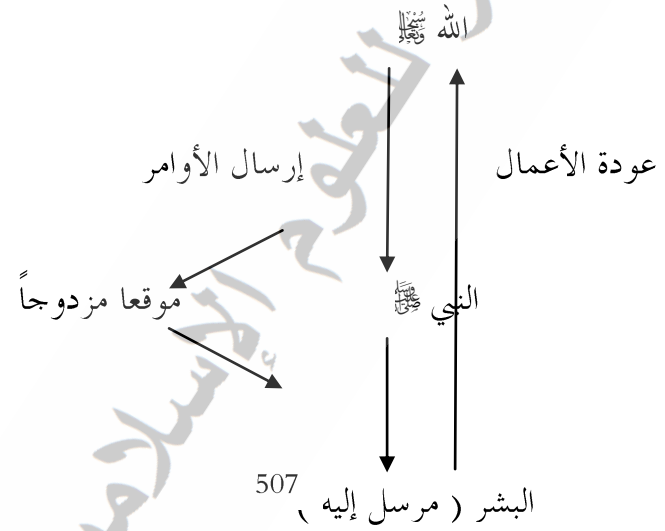

---

[504] – المصدر نفسه ص 54 .

[505] – يقول أركون : أقصد أنه نهائي بمعنى أن سر الله لا يسبر ولا يمكن التوصل إليه في تعاليه .

[506] – الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 94 .

[507] – هذا المرسَل إليه هو عبارة عن (فاعل – ذات) معقد : فمن الناحية المثالية النموذجية فإنه يمثل آدم وذريته المرتبطة بالخالق الأعظم عن طريق الميثاق . ولكن الناحية التاريخية المحسوسة فإن هذا المرسل إليه الجماعي هو مبدئيا سكان مكة ثم

فالآية رقـ ـ من هذه السورة ، الخطاب موجّه مباشرة من الذات الأوّل إلى الذات الثالث ، الذي يشمل بالضرورة المرسَل إليه الأوّل . أما هذه الآية مثلا {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } التحر ـ . فالخطاب موجّه مباشرة من الذات الأوّل إلى الذات الثاني ، الذي يشمل بالضرورة المرسَل إليه الجماعي .

يرى أركون أن نص سورة التوبة يُساعدنا على فهم الواقع من خلال أحداثها بدقة كبيرة ، فإنه يكفي أن نبين المضامين الحقيقية للمفردات اللغوية المستخدمة فيها ، حيث يقول : وهي مفردات تنتظم على هيئة حلقات معنوية تدور حول المفهوم المركزي لـــ « التوبة » ، إليكم على سبيل الإشارة جردة مختصرة لهذه المفردات . وهي جردة تعطينا فكرةً عما أدعوه بالحلقات أو التمركزات المعنوية :

ـ - مؤمنون / كافرون ، فاسقون ، قوم لا يعلمون .

! صلاة ، زكاة ، صدقة ، قربات / جزية ، مغر[508] .

ـ مسجد ، حرام ، بيت الله ، مسجد الله / مسجد ضرار

ـ أمر الله ، الله غفور ، رحيم ، توّاب ، كلام الله ، سبيل الله ، رضوان .

ـ - الأشهر الحرم ، نسيء ، كل عام مرّة أو مرتين .

ـ اليوم الآخر ، جنة ، درجة عند الله نجس ، نار ، خزي ، فوز ، طهارة .

ـ تجارة ، كتر ، ذهب ، فضة ، أموال ، أولاد ، إخوان ، أزواج ، عشيرة ، فتنة ، ..[509]

هناك فئة خطيرة متواجدة في قلب الأمة الناشئة في المدينة ، تعيثُ فساداً في الأرض ، وقد أُخبر الرسول بقائمتهم السوداء ، بالرغم من هذا لم تُسحب منهم حقوق المواطنة ، فأركون هنا ينبش عن آثارهم من خلال هذه السورة قائلاً : فالذات الكبرى التي كانت في طور الانبثاق والتشكُّل والتي كانت حريصة ، لأول وهلة ، على أن تضمن أمانها الاجتمـــاعي والسياسي ، كانت لا تزال تضم بين أعضائها أشخاصاً غير موثوقين . وهم الذين دعاهم القرآن بـــ المنافقين والفاسقين

سكان المدينة (يثرب) ثم سكان الحجاز كله ثم دار الإسلام بأكملها التي ينبغي أن تمتدّ وتتّسع تدريجياً لكي تشمل الأرض المسكونة كلها طبقاً للعملية الموصوفة في الآية الخامسة 5 . الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 4(- 5(.

[508] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 5(.

[509] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 5(.

واتهمهم بأنهم يزرعون الفتنة ، ويشعرون سراً بالفرح عندما يتعرّض البطل المحوَّل أو المتغيِّر (أي الرسول) إلى بعض النكسات أو الهزائم [10] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الحجرات 14 .

نلاحظ قمة التسامح و العفو ، بالرغم من معرفة حال هؤلاء العتاة ، وهذا ما ذهب إليه أركون قائلاً : هكذا نستطيع الآن أن نلمح القيمة المزدوجة للتوبة . ففي السيرورة الاجتماعية - التاريخية التي تحيل إليها في الأصل ، نلاحظ أنها تتمثّل أساساً في الاستسلام من دون الشروط ، أقصد : استسلام المعارضين [11] .

القرآن يقدم تأدية الصلاة والزكاة على أنهما عاملين دينيين محضيين عندما يؤديهما المسلم ، ولكن في حقيقة الأمر يؤديان كذلك الوظيفة الاجتماعية والسياسية في المجتمع ، يقول أركون : فعندما يصلّي المرء علنياً وراء النبي أو مع مجموعة من المسلمين ، أو عندما يدفع ضريبة تغير اسمها لكي يصبح صدقة أو زكاة بدلا من مَغْرم ، فإن مهمة هذا يكتسب أهمية دينية في الوقت الذي يؤدي فيه [12] الوظيفة الاجتماعية - السياسية نفسه [13] . فيما تتمثل إذا هذه الوظيفة الاجتماعية ؟ يجيب أركون : إن ذلك يعني كسر العصبيات أو التضامنات التقليدية ، والتخلّي عن الآباء ، والزوجات ، والأطفال ، من أجل الانضمام إلى الجماعة الجديد [14] .

يذكر أركون هنا وجه أو صورة المؤمن (التي أشار إليها آنفا) ، كما يحدّدها الخطاب القرآني :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة 71 - 72 .

---

[10] - المصدر نفسه ص 56 .

[11] - المصدر نفسه ص 57 .

[12] - المصدر نفسه ص 57 .

[13] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 57 .

[14] - المصدر نفسه ص 57 .

يذكر أركون بأن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهذا ما هو موجود في التراث ومتفق عليـــه : إنّ المؤمنين والمؤمنات ، يشتركون في نفس الخضوع أو الولاء للسلطة ، أي النبي . وهذه السلطة كانت قد خُلِعت عليها المشروعية من قِبَلِ سيادة عليا هي : الله [15] .

من عدل الله ﷻ أن مكن المؤمنين من التفريق بين العمل الصالح وضده ، ثم أخذ منهم ميثاقا يقول أركون وكانوا يمتلكون معرفة واضحة عن الخير والشرّ لأنهم يستطيعون أن يأمروا بالأوّل وينهوا عن الثاني . وكانوا مرتبطين بالله عن طريق عهد أو ميثاق[16] . فماذا يقول هذا العهد ؟ أركون : إنه يقضي بأن يقدّموا الطاعة لله ورسوله مقابل حصولهم على النجاة بأرواحهم في الدار الآخرة . ويُمهَّد لهذه النجاة بنصرهم على هذه الأرض (بمعنى أن الله يمهّد لنجاتهم في الآخرة بنجاة عاجلة في الدُنيا . فهو الذي ينجيّهم وينصرهم على أعدائهم)[17] .

ما جاء في الآية 72 من وصف ، هذه الصور تخضع لقوانين أخرى لا يدركها الإنسان بأدواته (العقل والحواس والخيال) التي هي خاصة بعالم الشهادة فقط ، يقول أركون : إنّ الوجه الديني للتوبة عبارة عن مجموعة الصور والتصوّرات التي تشكّل أو تنظّم مخيالاً كونياً أو عالمياً . فهناك أنهارٌ تجري[18] ، ومنازل رائعة وسط حدائق أو جنَّات يستحيل علينا أن نحدد موقعها أو أن نموضعها في زماننا ومكاننا المحسوسين . ورِضَى الله الذي يُوعَدون به أيضاً لا يتجسّد عملياً إلاّ ضمن مقياس أنه يحظى بوساطة رضى النبي والجماعة بأسره[19] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة 29 .

كما تقول الآية التاسعة والعشرون من سورة التوبة . وهكذا نجد أن الأمر يتعلّق فعلاً بالدمج الاجتماعي والثقافي ، بل ويمكن القول بالدمج السيميائي أو الدلالي إذا ما فكّرنا في العلامات

---

[15] – المصدر نفسه ص 58 بتصرف .

[16] – المصدر نفسه ص 58 .

[17] – المصدر نفسه ص 58 .

[18] – المصدر نفسه ص 58 .

[19] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 58 .

الخارجية للطاعة أو لتقديم الطاعة [20] . نلاحظ أن هذه الآية ، تطلب من المؤمنين الدخول في القتال بعد استفراغ كل الوسع والجهد ، في المسالمة والتعايش الإنساني .

ثم يذكر بعد ذلك البنية العاملية للأشخاص في هذه الآية ، قائلا : وهذه المراتبية تتمثّل في ، الله بكل صفاته ، ثم النبي المبلِّغ أو المبشِّر ، أو الوسيط ، أو القائد ، ثم المؤمنين المستفيدين من نِعَمِ الله والطائعين الشاكرين . وهذه هي ثلاثة مستويات التجلّي ، وهي تتوافق مع ثلاثة أدوار متمايزة يقوم بها العامل ، الذات ، المُرسِل إليه الأعظم [21] .

كما نلاحظ أن جميع الكلمات التي تحيط بكلمة (التوبة) ، أي جميع القيم المرتبطة بها ، يقول أركون : والتي كانت سورة التوبة قد فصَّلتها ووضَّحتها طبقاً للآية التالية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ التوبة . نُلاحظ أن أركون يصرّ على استخدام مصطلحات ألسنية وليس لاهوتية لوصف كيفية تولّد المعنى في النصّ القرآني [22] .

أركون يعمم ما أكتشفه في سورة التوبة على أنه منهج قرآني منتشر في العديد من السور القرآنية : إننا نجد في سورة التوبة ، كما في مقاطع أخرى عديدة من القرآن ، مفاهيم من نوع « دين الحق) أو (الدين القويم) أو الإسلام) ، منخرطة في الجدلية الاجتماعية المحرِّكة من قِبَلِ فاعلين ذوي [23] آفاق معنوية ومصالح مباشرة متغايرة . فهم ، أي الفاعلون الاجتماعيون ، يقومون بالمزايدة على نفس رهانات الحقيقة والنجاة المُدَافَع عنها من قبل فئات أخرى منافسة . ونقصد بهم : اليهود ، والمسيحيين ، والمشركين ، والكفّار ، والمنافقين [24] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة 30 .

---

[20] – المصدر نفسه ص 59 .

[21] – المصدر نفسه ص 59 .

[22] – المصدر نفسه ص 59 .

[23] – المصدر نفسه ص 70 .

[24] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 70 .

نلاحظ هنا أن المناقشة تدور حول ذروة السيادة العليا التي تؤسِّس مشروعية سلطة النبي و ـ ؤمنين . ونلاحظ أيضاً أن اليهود والمسيحيين مُطالبون بالتراجع عن أخطائهم (أي أن يتوبوا) تماماً كالمشركين . فالسلطة أو السيادة العليا لا ينبغي بعد الآن فصاعداً أن تنتمي إلاّ إلى الله (المُعاد تحديده بشكل صحيح من قِبَلِ العامل الذات الأعظم المرسِّخ للميثاق الجديد) ، ثم إلى النبي (الذي كان في طور خوض المعركة على كافة الجبهات : من عسكرية . وسياسية ، وثقافية ، ورمزية . وهذا هو معنى الجهاد المنقذ الذي دُعي إليه المؤمنون والذي يرفضه المتقاعسون ، والمترددون ، والحانثون بوعدهم) [25] .

فهذه الآية تدل على ما طبع عليه اليهود والمسيحيين ؛ من شرك بالله ، وبالرغم مما وقفوا عليه من أدلة وبراهين ، فهم عن ذلك غافلون .

يقول أركون : ففي مرّات عديدة يطلب من النبي (أي من محمد) ألا ينبهر أو يخاف من ثروة المعارضين له أو غناهم ، أو من كثرة أولادهم [526] وعندئذ يقوم الخطاب القرآني بإجراء نوع من التسامي أو التصعيد على البطل المحوِّل أو المغيِّر للتاريخ . يقول القرآن : ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ التوبة ثم : ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا ﴿١٢٠﴾ ﴾ التوبة ثم عندما يشعر النبي باليأس ، ينبغي له أن يفهم مايلي : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة [27] .

هذه الآية معروف سبب نزولها عندما أراد النبي أن يصلي على زعيم المنافقين ، فجاءه الأمر الرباني بأنه لا يستحق الرحمة ، والتشريف ، ويكون عبرة لأمثاله على امتداد التاريخ ، وهي عقوبة اجتماعية قبل أن تكون شرعية . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ التوبة 84 .

---

[525] – المصدر نفسه ص 70 .

[526] – يقول هاشم صالح الآية التي يشير إليها أركون هنا هي التالية : قَالَ تَعَالَىٰ چ ۞ تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ چ التوبة 55 . وفيما بعد تقول الآية 73 : قَالَ تَعَالَىٰ چ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ چ .

[527] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 73 .

يقول أركون : فالصلاة على الميت مثلاً يُعتبر عملاً علنياً يُرسِّخ ليس فقط دمج كل فرد داخل الجماعة ، وإنما يُمثّل أيضاً تواصلاً روحياً وحميمياً مع بقية أعضاء الجماعة ، وهم جميعاً مدعوون إلى الدخول في تاريخ النجاة [28] .

نلاحظ أهمية الأموال ودورها في لُحمة وتماسك المجتمع ، وأن هذه الأموال تُضْفَى عليها المشروعية عندما تنفق في أبواب الخير ، لذلك يقول أركون : فلا قداسة لها الثروات والأملاك - إذا كانت عند الخصم ، ولكن يُعاد تقديسها عندما تصبح ملكاً للمؤمنين الذين ، يطهرّونها ؛ أو ينظّفونها عن طريق الزكاة أو الصدقة المقدَّمة إلى الفقراء ، واليتامى ، والمسافرين . وهكذا نُلاحظ أن البُعد الاجتماعي والسياسي مرتبطٌ دائما بالذروة الدينية العليا التي تضفي المشروعية على الأشياء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة 60 [529] .

يتكلم أركون عن المرتبة والمكانة التي نالها المؤمنون والمؤمنات في المجتمع ، فهناك آيات تخفض من قيمة الفئة الاجتماعية التي رفضت الانخراط والانضمام إلى المجتمع الناشئ ، بل والتربص له ، وهنا نورد قول أركون في الفئتين من خلال قراءته للآيات التالية : فبقدر ما أنّ المؤمنين والمؤمنات قد رُفعوا إلى مرتبة مادية وقانونية وأخلاقية وروحية مثالية (يُنظر كل الآيات التي تخاطبهم مباشرة) ، بقدر ما أن الكفّار ، والفاسقين ، والمنافقين ، والبدو (الأعراب) يُعاملون معاملة قاسية وسلبية تماماً [30] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة 71 - 72 .

أما الآيات التي تهاجم الفئة المضادة فتقول مثلاً : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ

---

[528] - المصدر نفسه ص 74 .

[529] - المصدر نفسه ص 74 .

[530] - المصدر نفسه ص 75 .

بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ ﴾ التوبة 67 - 68 .

نجد أن أركون ذكر سبب معاملة القرآن القاسية لهؤلاء المتمردين ، الذين انعدمت فيهم الكرامة الإنسانية ، فيقول : لماذا يُحْتَقَرُون كل هذا الاحتقار ؟

يقول : لأنهم يتجرأون على الخوض واللعب و الاستهزاء عندما تنزل آية من ا ـ ات[531] (أنظر الآيتين 64 - 65)[32] .

وكما نجد أن معارضة هؤلاء المنافقين ، أصبحت تطبيقية بعدما كانت نظرية إن صح التعبير - لأن معارضتهم أخذت تتجسد في الأشياء المادية أي ذلك التنافس المحاكاتي ، قد عُبر عنه بشكل صريح من خلال المتضادات الثنائية التالية : مسجد ضرار (أو وثني / مسجد حرام (أو مقدس) ، التقويم الوثني (أو النسيء) / والتقويم الذي شرعه الله ، .. ، ولا تقتصر على الرمزية ، لذلك يقول : ولأنهم يبنون مسجداً منافساً لمسجد النبي من أجل الاعتراض على الرمزانية الدينية الجديدة ، بل وتدميرها ؛ ولأنهم حانثون باليمين وينقضون العهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم ؛ كما أنهم يرفضون الاعتراف بالمقدس الجديد ويستمرون في التأكيد على صلاحية المقدس الموروث عن آبائهم[33].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ ﴾ التوبة 107 .[534]

يقول أركون في حق هؤلاء : فالتوبة مستحيلة لأننا في مرحلة حرجة لا يزال فيها بعض من هم في معسكر المؤمنين يستمعون إلى زارعي الفتنة والشغب والتشكيك والتمرد ، ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم

---

[531] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 76 .

[532] - يقصد أركون بهذه الإحالة ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ ﴾ التوبة 64 - 65 .

[533] – المصدر نفسه ص 75 .

[534] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 75 .

مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ التوبة 47 [35] .

يقول بأن دراسة سورة التوبة نستفيد منها الدقة والخصوبة في دراسة البعد الأنتربولوجي ويقوم بإسقاطه على الواقع ، ومعرفة كيفية تشكل الجدلية الكائنة بين الثوابت الأنتربولوجية الثلاثة : عنف ، تقديس ، حقيق . إن سورة التوبة تتيح لنا أن نتِ مَّق أكثر في دراسة البعد الأنتربولوجي للمثل المفهومي الذي اخترته كعنوان عريض : عنف ، تقديس ، حقيقة . فالحروب الدينية أو القومية أو الاستعمارية ... إلخ . كلها حروب تقدّم أمثلة على ما نقوله . أقصد أنها تجسّد في السياقات الحديثة أمثلة عملية على تلك الجدلية التي اتخذت في سورة التوبة شكل النموذج المثالي الأعلى[536] .

يتكلم أركون عن مميزات ومواصفات النبي قائلاً : ينبغي أن نعلم أن النـــبي يتميّز بمكانة نفسانية ومعرفية مختلفة عن مكانة كل الأبطال الآخرين أو كل الشخصيات الاستثنائية الأخرى التي تظهر في التاريخ . فالنبي شخصٌ مُلْهَمٌ ، راءٍ أو رؤيوي ، حكيم ، صاحب خيال وثّاب ، قائد ، روح جبّارة قادرة على سبر أغوار المجهول ، وانتهاك الحدود المضروبة على المعرفة وتجاوزها أو تخطّيها بفضل الإلهام المستمر الذي يزوده الله به [537] .

ونلاحظ أن هذا المرسَل إليه الجماعي يشمل بشكل أدق وطبقاً لنفس الآية الأنصار المدعوين بشكل عام بـــ المؤمنين كما يشمل المعارضين المدعوين بـــ المشركين أو المنافقين ثم الفاسقين وأخيراً اليهود والنصارى ، فأركون يمزج هنا بين : البنيان التمثيلي القصصي ومخطط التنصيص القانوني (أي تركيبة الآيات النحوية القانونية) ثم مخطط السرد المتبع فإننا نحصل على التركيبة السيميائية التالية التيتشمل[538]

كل النص القرآني (أو التي هي شائعة في كل النص القرآني :

---

[535] – المصدر نفسه ص 76 .

[536] – المصدر نفسه ص 76 - 77 بتصرف .

[537] – المصدر نفسه ص 34 - 35 .

[38] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 94 .

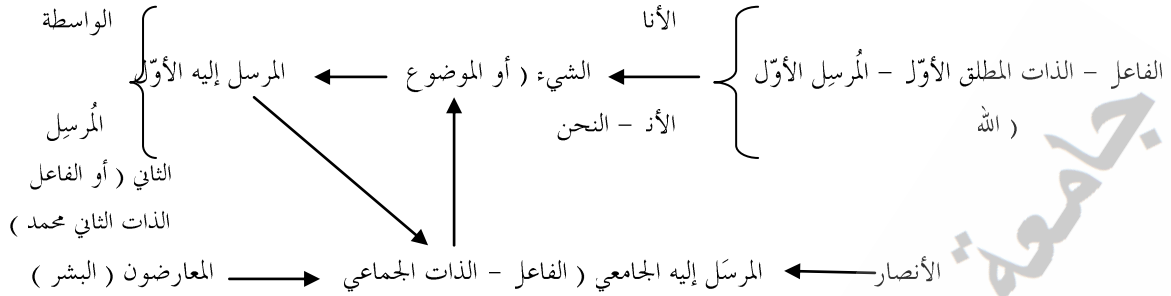

يتيح لنا هذا المخطط السيميائي أن نقرأ الآية الخامسة بصفتها وحدة سردية صغيرة مندمجة في الوحدة المركزية الكبرى المتمثلة بحكاية الميثاق الأوّلي الذي ربط بين آدم وال[39] .

وهكذا تكونت شبكة علاقات وظائفية ومفهومية بين **العنف** ، **التقديس** ، **الحقيقة** . وهذا ما تدل عليه بكل وضوح الآية ن من سورة التوبة ، بحسب زعم أركون الذي يؤكد على ذلك : وحدها القراءة الأنتربولوجية لهذه القوى الثلاث تتيح لنا أن نكشف عن الآليات المخفيّة التي لا تزال تتحكّم حتى الآن بوعي الجماعة أو الطائفة أو الأمة الحديثة كما وتتحكّم بدمج كل عضو داخله[40]

هذه السورة ، لغتها المجازية قليلة جداً ، وحبلى بالأحداث التاريخية الواقعية ، وهذا ما لاحظه أركون قائلاً : ونلاحظ بشكل عام أن أسلوب السُّورة ومفرداتها تبقى على مستوى الدلالة الحرفية والفهم المباشر . ونحن نجد فيها إلاّ القليل جداً من المجازات الحيّة ، أي من الابتكارات السيميائية المعنوية ، وذلك بالقياس إلى بقية الخطاب القرآني[41] .

أما آخر آية من سورة التوبة (رقم 129) ، التي يصلح الاستشهاد بها في أي موضع ، أنها تقوي تاليها ، وتربطه بخالقه ، ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة .

يقول أركون : هذه الآية الأخيرة المنتزعة من سياقها ... بإمكانها أن تولد إلى ما لا نهاية الأمل[42] لدى المؤمنين ضمن الظروف والأوضاع الأكثر مأساوية[43] .

---

[539] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 94 .

[540] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 231 - 232 .

[541] – المصدر السابق ص 97 .

[542] – المصدر نفسه ص 103 .

[543] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 103 .

هذه السورة التي جاءت فاضحة لكل من ينافق ، ويضمر الشر ؛ وهي عبرت عن صراعٍ كبير بين فئتين ، وخلاصة هذه السورة العظيمة ، هي أنها :

- كشفت عن التاريخ الواقعي (وذلك من خلال سرد الأحداث) ، الناتج عن طريق الجماعة الوليدة للمؤمنين .
- كما شكّلت الوعي الأسطوري التاريخي القادر على مَفْصَلة التاريخ الأرضي المحسوس أو ربطه بالتاريخ المثالي المتعالي الذي يؤدي إلى لنجاة في الدار الآخرة .
- نص سورة التوبة يُساعدنا على فهم الواقع من خلال أحداثها بدقة كبيرة .
- أركون يعمم ما أكتشفه في سورة التوبة على أنه منهج قرآني منتشر في العديد من السور القرآنية .
- سورة التوبة نستفيد منها الدقة والخصوبة في دراسة البعد الأنتربولوجي ويقوم بإسقاطه على الواقع ، ومعرفة كيفية تشكل الجدلية الكائنة بين الثوابت الأنتربولوجية الثلاثة : عنف تقديس ، حقيقة .

المبحث الثاني : القراءة الحداثية للسور المدنية

ثانياً : سورة الحجرات

من خلال هذه السورة يحاول أركون فهم العلاقة التي تربط بين الدين والمجتمع ، لذلك نجده قد أعطى لها هذا العنوان ، في محاولة منه لمعرفة ذلك .

- محاولة لدراسة الروابط بين الدين والمجتمع من خلال النموذج الإسلامي :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات 3. [44] .

يقول أركون : لن يكون لهذا البحث أية أهمية إن لم يساعد على :

- إدراك نقص أو خطورة التعميمات والاختزالات والتفسيرات الشائعة للإسلام التي يدعمها المسلمون أنفسهم والاختصاصيون الغربيون معاً .

- فتح مجالات جديدة للتفحص العلمي والتأمل النقدي .

لكي نصل إلى هذا الهدف المزدوج فإننا سنبدأ بتذكير موجز بالمواقع الأساسية الراهنة التي تتناول مسألة الروابط بين الإسلام والمجتمع[45] .

- **إدراك نقص أو خطورة التعميمات والاختزالات والتفسيرات الشائعة للإسلا :**

باعتبار الإنسان خليفة الله في الأرض ، فلابد له من دستور وأوامر يطبقها ، وخاصة إذا أُريد له بأن يكون صالحا لكل زمان ومكان ، لذلك جاء بلغة مجازية متعالية ، حتى تبقى مستوعبة الحياة البشرية ، وكل مستجداتها ، يقول أركون : يلخص هذا الموقف بشكل تام ذلك المجاز اللفظي الذي طالما استخدمه القرآن وكرره ، إنه نزول الكتاب أو الوحي من فوق إلى تحت ، أو بلغة القرآن " إنه التنزيل " . راح هذا المجاز يفرض الرؤية العمودية للإنسان تجاه المخلوقات والعالم والكون[46] .

---

[544] - ذكرها أركون مع الآية السابقة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨ ﴾ الشورى ٧ - ٨ .

[545] - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 97 .

[546] - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 97 - 98 بتصرف .

فالله سبحانه منزه عن صفات وأفعال المخلوقات ، وأنه هو الرزاق المانح ، وأن النبوة هي اصطفاء ، وليس أمر كسبي . قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ البقرة 255 . ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ الرعد 38 - 39 .

يقول أركون : تساعدنا هاتان الآيتان على أن نفهم جيداً الرؤيا الإسلامية " للتاريخ " و " المجتمع " . إنه لمن المهم فعلاً أن نقيس حجم المسافة التي تفصل مصطلحات الرؤيا العقلانية الحديثة عن تلك المصطلحات التي خلَّدها القرآن في العقول ورسخه[47] .

هل مفهوم التغيُّر - بحسب القرآن - عائدٌ إلى لعبة القوى المتصارعة المختلفة ؟

يقول أركون : وإنما هو عائد إلى الله نفسه الذي يزود كل نبي جديد بكتاب يمحو فيه أو يثبت الأوامر و النواهي المعتبرة أنها الخير كل الخير للبشر في هذا العالم[48] .

بعدما حاول أركون في هذه العجالة لفت انتباهنا إلى إدراك نقص أو خطورة التعميمات والاختزالات وتجاوز التاريخ ، والتفسيرات الشائعة للإسلام التي يدعمها المسلمون أنفسهم والاختصاصيون الغربيون معه ، ننتقل الآن معه إلى العنصر الثاني .

ب - فتح مجالات جديدة للتفحص العلمي والتأمل النقدي :

لقد وقع نقاش حاد بين العلماء المسلمين ، حول علمية محتوى القرآن الكريم ؛ حيث نجد البعض أنكر حتى تلك الإشارات الخفيفة ، وقال بأنه كتاب هداية ، أوّلاً وأخيراً ، والطرف الآخر اتفق معهم بأنه كتاب هداية ، وانفرد بأن هذا لا يمنع من صحة ودقة إشاراته العلمية ، أما أركون فيقول : إن القرآن ، تماماً كالتوراة ، يقدم بعض المعلومات الأولية العديدة والدقيقة قليلاً أو كثيراً والتي تنتسب إلى كل من هذه العلوم المذكورة . لكن هذا لا يعني أبدا بأن كل اكتشافات العلم الحديث كان قد نُصّ عليها سابقاً في القرآن[49] .

- المعتقد وتكوين الذات الإنسانية في السياقات الإسلامي :

بعدما حاول أركون آنفاً ، دراسة الروابط بين الدين والمجتمع من خلال النموذج الإسلامي ، هذه المرة يريد معرفة العلاقة بين المعتقد والذات الإنسانية ، فيقول :

---

547 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 198 .

548 - المصدر نفسه ص 198 .

549 - المصدر نفسه ص 199 .

مسألة إعادة قراءة القرآن بطريقة تعددية منفتحة . وأنا ، إذ أتصدّى اليوم لمسألة الاعتقاد ، فإني في الواقع أريد أن أقدم مثالاً تطبيقياً جديداً على برنامجي أو مشروعي العريض . من خلال سورة الحجرات ، الآية رقم 4 . وهي الآية التي تُفَرِّق بشكل واضح ومضيء بين الإيمان وبين الإسلام الذي لفظ من رؤوس الشفاه والذي أُدِين من قِبل القرآن بصفته خضوعاً سطحياً ، ظاهرياً لا يعتد به . (يُنظر بهذا الصدد سورة الحجرات كلها)[50] .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الحجرات 4. .

لقد فصل القرآن الكريم بين الإيمان والإسلام ، وأن الأعراب لم يصلوا بعد إلى درجة الإيمان ، مع هذا باب التوبة مفتوح ، وهذا من رحمة الرحيم بهم ، يقول أركون : أمّا القراءة اللاتاريخية ، حتى لو كانت غير لاهوتية ، فإنها تسمح لنفسها بأن تنطلق من سورة الحجرات المرتبة رقم (49) في القرآن والتي تحتوي على تمييز واضح بين الإيمان / والإسلام . فالإيمان على مستوى القرآن (أو بحسب القرآن) يعني الاعتقاد المُستبطَن في القلب . جاء في الآية السابعة من هذه السورة : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الحجرات /.[51] .

ما الهدف من إلحاح أركون ، على احترام التسلسل الزمني للآيات القرآنية ؟

فيقول : يتيح لنا أن نتعرّف بشكل تدريجي دقيق على تلك المجادلة المتكررة ضد المعارضين العديدين ، وعلى المواقع الاجتماعية والسياسية للفئات الموجودة في الساحة . و يمكننا أن نشكّل فكرة عن مرحلة تشكّل وآلية الاشتغال التي توصل إليها الاعتقاد بعد عشرين سنة من التعليم والممارسة العملية من أجل ترقية أمة (الإخوان) في الله[52] .

يعود أركون مجدداً إلى عملية الإحصاء ، ويقول : هذه السورة مؤلفة من (18) آية ، بينها خمس آيات تبتدئ بالصيغة التالية (أو العبارة التالية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُ } ! - الحجرات 553

---

[550] – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ص 5؛ بتصرف .

[551] – المصدر نفسه ص 136 .

[552] – المصدر نفسه ص 142 .

[553] – المصدر نفسه ص 142 .

(، ، ، 1 ، 12 – فهنا يوجد استجواب مباشر لفئة المؤمنين [554] .

لا شك أن هذه الآية (13) ذات مضمون عالمي ، وبعد إنساني وروحاني عميق ، فهذه الآية تحث على التعارف والتعاون ، على الأقل على مستوى البعد الإنساني :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ الحجرات 3 - 5 .

يقول أركون : عندما نقرأ هذه الآيات نلمح فوراً وبكل وضوح وجود نوع من التوتر أو الصراع بين رؤيا للإنسان والمجتمع تقاوم التغيير وبين جهد بيداغوجي تربوي ، صبور و خيِّر يحب رفعة وترقية ما ندعوه اليوم بالوضع البشري (أو بالشرط البشري) [555] .

ما هدف أركون من ممارسة القراءة التاريخية ، على سورة الحجرات ؟

يجيب : الهدف إثبات تاريخية القرآن [556] .

ما نخلُص إليه من هذه السورة ، تركيز أركون على محاولة معرفة الطُرق والآليات التي تكوّن الروابط بين الدين والمجتمع . وأن التغيير عائدٌ إلى الله ﷻ ، الذي يزود كل نبي جديد بكتاب ، كما أراد أركون من خلال هذه السورة لفت الانتباه إلى فتح مجالات جديدة للتفحص العلمي الجاد والتأمل النقدي الدقيق ، حتى نقلص المسافة البعيدة بيننا وبين الغرب .

كما أراد أركون أن يثبت من خلال قراءته تاريخية القرآن من خلال سورتي التوبة ، وكذا سورة الحجرات .

---

554 – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ص 142 .

555 – المصدر نفسه ص 144 .

556 – يُنظر : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ص 145 .

الفصل الثاني
القراءة الحداثية للآيات المنتقاة

المبحث الأوّل :

القراءة الحداثية للسور التي تناول منها سبع (7) آيات فما فوق

المبحث الثاني :

القراءة الحداثية للسور التي تناول منها أقل من سبع (7) آيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور التي تناول منها سبع 7) آيات فما أكثر

أوّلاً : القراءة الحداثية للآيات المكية

في هذا المبحث سوف نتناول السور التي تناول منها سبع فما فوق من الآيات ، والتي قام بتطبيق قراءته عليها ، وهي السور المكية الست ، الآتي الإسراء ، الفرقان ، الشعراء ، الشورى ، النجم ، المدثر .

1 - آيات سورة الإسراء :

- مفهوم كلام الله :

يقول أركون : إن تعريفنا للقرآن يتيح لنا دراسة مفهوم كلام الله باعتباره موضوعاً لغوياً . وبذا نتسأل ما هي السبل اللغوية والأدبية بالمعنى الصحيح التي يشيد بها النص القرآني ؟ فيجيب قائـــلاً : في الواقع أن معاصري (محمد) قد تأثروا ، وسرعان ما رضخوا ، للشكل الخارق وللكلام المبلّغ باسم الله . والقرآن ذاته يقدم الحاصل الأدبي لهذا الكلام على أنه لا يُقلّد[57] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء 88 .

يُقَسِم أركون من الناحية الأدبية القرآن إلى ثلاثة مستويات تتحرك داخل النص القرآني باعتباره شكلاً ومعنى ، فهو يقول : ومن الجائز أن نحدد للمسيرة الأدبية في النص القرآني مستويات ثلاثة . مستوى مجازي . ومستوى قصصي ، ومستوى أسلوبي . وهذه الأنماط من التعبير تجري في إطارين عامين يؤلفان وحدة النص القرآني باعتباره شكلاً - معنى : بنية علاقات الشخص ، الإطار المكاني - الزماني للتمثيل . وليس في وسعنا أن نقدم هنا إلا بعض الإلماعات بادئين بفحص الأطر الموحّد[58] وفي هذا المخطط أحاول من خلاله تلخيص ما ذكره أركون :

المستوى المجازي	المستوى القصصي	المستوى الأسلوبي
	بنيه الاشخاص	

[557] - الفكر العربي ص 33 .

[558] - المصدر نفسه ص 34 .

أ - بنية علاقات الشخص :

كما مر معنا سابقا ، بأن هذه البنية تتمثل في ثلاثة : الله ﷻ . ومحمد ﷺ ، والبشر . لذلك يقول أركون : التجارب المعاشة التي تجمعها والتي تكفل دوام الشعور . فالكلام إذن هو محل طفو كيان الـــ (أنا) الذي يتحلى دوماً بوضع فعالٍ حيال " أنت " ، وبالرغم من ذلك فإن الأوضاع يمكن أن تنقلب من جراء علاقة الحوار حيث تتجاوب بالضرورة (أنا) و (أنت . لنقرأ في ضوء هذه الآراء الآيات القصيرة التالية : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الإسرا 06 - 07.[59] .

وعلى هذا النحو يظهر المقال القرآني ثلاثة فاعلين أوليين ، يقول أركون : قائل - مؤلف ، ومخاطب - مبلّغ (محمد) . ومخاطب جمعي (النّاس)[60] .

ب - الإطار المكاني - الزماني :

الإنسان أسير بين أين ؟ ولماذا ؟ ، وهذان لايخرجان عن المكان والزمان ، وهما من مميزات عالم الشهادة ، يقول أركون : إن كل إدراك يفسح المجال لتمثيل ذهني بالرجوع إلى مكان وزمان[561] .

جاء الكلام هنا على المعجزة الخالدة ، وكيف أن النبي ﷺ الذي لم يزر بيت المقدس قط ؟ وكفار قريش يدركون ذلك ، يصف لهم المسجد الأقصى ، ويخبرهم يوم وصول القافلة ، وكان ذلك ، وهذا ما عبر عنه أركون قائـــلاً : فقد قام محمد بسفرة ليلية ، أي بالإسراء . تقول الآية القرآنية قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء الآية 1[62] .

منذ تلك الحادثة ، تغير المفهوم ، فلم يعد الأمر يحتاج إلى أدلة وبراهين ، بقدر ما أزداد عناد المعاندين حسداً ، وهذا الذي يشير إليه أركون : بدءا من تلك اللحظة راح مفهوم " الكفا " يتحول ويتغير : فلم يعد الأمر يتعلق بأولئك الذين يطالبون ببراهين مشروعة لكي يصدّقو[63] ،

---

559 - هاتان الآيتان {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } الناس { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } العلق . لهما نفس المعنى مع آيتي الإسراء .

560 - الفكر العربي ص 34 - 35 .

561 - المصدر نفسه ص 36 .

562 - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 09 .

563 - المصدر نفسه ص 09 .

وإنما بأولئك الذين يظلّون معاندين حتى بعد أن تُقـــدَّم لهم البراهيـــن الكافيـــة [64] .

فأركون من خلال ما تقدم لم يختلف في قراءته ، عن ما هو موجود في مضمون التراث الإسلامي ، بل نجده لا يمل ، ولا يزال يُلح على الترتيب الزمني للآيات أو إرجاعها إلى سياقها الأوّل ، وهو طبعاً عاجزٌ عن ذلك . من خلال كلامه : إن الترتيب الزمني للآيات القرآنية كان سيتيح لنا - لو عرفناه بدقة - أن نتتبع تطوّر معنى هذا المفهوم " الكفّار " ، والمفهوم المرافق له المؤمنون " . ولو حصل ذلك لنتج عنه استخدام لاهوتي أقلّ تبسيطيةً وأكثر تاريخيةً [65] . وهذا لا لشيء إلا ليثبت تاريخية القرآن الكريم .

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الإسراء 39 .

لم يذكر مع هذه الآية أي قراءة سوى أن لو كان بإمكاننا أن نضعها في سياقها الأوّل إن هذه الآيات التي استشهدنا بها كعيّنات لا يمكن أن نفهم معناها الحقيقي إلا إذا موضعناها في سياقها الأولي الذي صدرت فيه لأوّل مرة في مكةَ والمدينة [66] .

يواصل أركون كلامه : هناك آيات عديدة في القرآن تبرهن بكل وضوح على أن الجمهور المستمع لمحمد ، وبخاصة اليهود والمسيحيين ، كانوا يُطالبونه بتقديم البراهين على صحة قوله بأنه يتحدث باسم الله حقاً [67] .

وهـــذه الآيات هي : (العنكبوت 47 ، الجاثية 6 - 7 ، فاطر 31 ، النساء 80 ، البقرة ، 83 ، الفرقان 4 - 8 21 80 - 83 ، النجم - 7) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ الإسرا 93 - 94 .

أركون من خلال تساؤله هنا يريد استثمار قضية ظاهرة الوحي التي أُثيرت في عهد النبي ﷺ ،

---

[64] - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 99 .

[65] - المصدر نفسه ص 99 .

[66] - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 205 .

[67] - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 95 .

ـ ثّ الفكر الإسلامي الحديث على القيام بمراجعة نقدية ، فهو يقول : إننا نهدف إلى طرح السؤال التالي : إلى أي مدى يمكن للمشكلة التي آثارها معاصرو النبي أن تحثّ الفكر الإسلامي الحديث على القيام بمراجعة نقدية للموقف المكرس و المرسّخ منذ قرون عديدة من قِبَلِ الأرثوذكسية ، وعلى فتح المناقشة من جديد بناء على الأُسس العلمية الحالية [68] .

2 - آيات سورة الفرقان :

- موقف المشركين من ظاهرة الوحي :

يقول أركون : إنّ هدفنا من ه ا العرض القصير ينحصر فقط في الإجابة على السؤال التالي : لماذا تشكّل مسألة موقف المشركين من ظاهرة الوحي أحد المواقع الإستراتيجية التي تنبغي دراستها من أجل تأسيس فكر مبدع وجديد عن دلالة الدين ومعناه ؟ [69] .

يقول أركون : إنّ هدفنا من ه ا العرض القصير ينحصر فقط في الإجابة على السؤال التالي : لماذا تشكّل مسألة موقف المشركين من ظاهرة الوحي أحد المواقع الإستراتيجية التي تنبغي دراستها من أجل تأسيس فكر مبدع وجديد عن دلالة الدين ومعناه ؟ [70] .

- المقاربة التاريخية للمسأل :

هناك آيات عديدة في القرآن تبرهن بكل وضوح على أن الجمهور المستمع لمحمد ، وبخاصة اليهود والمسيحيين ، كانوا يُطالبونه بتقديم البراهين على صحة قوله بأنه يتحدث باسم الله حقاً . طبعاً ، إننا لا نُ ـ ط هنا بين المشركين وبين اليهود والمسيحيين . ولكنهم في ما يخصّ هذه النقطة ، اتخذوا موقفاً متشابهاً ، ورفضوا التصديق بنبوة محمد والوحي القرآني [71] .

يقول أركون : ومن المفيد أن نبتدئ بتجميع هذه الآيات ووضعها أمام أنظارنا من أجل إجراء التحرّي التاريخي فيما بعد على أرض صلبة [72] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ

---

[568] – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 05 .

[569] – المصدر نفسه ص 03 .

[570] – المصدر نفسه ص 03 .

[571] – المصدر نفسه ص 03 .

[572] – المصدر نفسه ص 04 .

ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ﴾ الفرقان 1 - 3 .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ ﴾ الفرقان 21 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾ الفرقان 30 - 33[73] .

يقول أركون بالنسبة لكثرة الآيات التي تعالج هذا الموضوع ، ما يلي : يمكننا بسهولة أن نكثر من عدد الاستشهادات أو الآيات القرآنية التي تذهب في الاتجاه عينه إذا كنا مهتمين بالتعرّف على أنواع الرفض والاعتراضات التي لاقاها أنبياء آخرون غير محمد أو قبله [74] .

---

[73] – توجد هذه الآيات أيضا يصب معناها في هذا السياق وقد ذكرها أركون ، في هذا الموضوع : قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ ﴾ الإسرا 94 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ طه 113 - 114 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ ﴾ العنكبوت 48 - 49 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ﴾ فاطر 31 . والفكرة نفسها موجودة في سورة النساء ، الآية 80 ، وسورة البقرة ، الآية 33 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٠ ﴾ النسا 50 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣ ﴾ البقر 83 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖۚ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ﴾ النجـ 1 - 7 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧ ﴾ الجاثية 16 - 17 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ النساء الآية 82 .

[74] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 75 .

نلاحظ أن الآيات برهنت على صدق النبي ﷺ ، كما أنها أعادت تصحيح مفهوم مصطلح " الكتاب السماوي " ، وهذا خاص بأهل الكتاب من يهود ونصارى ، فهو يقول : ولكن الآيات التي ذكرناها تكفي للبرهنة على الدور المحوري الذي لعبه موضوع الصحة الإلهيـــة للكتاب . فهي تتيح لنا أن نكشف عن المفاهيم المشكّلة أو المؤسِّسة لذلك المصطلح القديم ، مصطلح " الكتاب السماوي " الذي استعاده القرآن وبلوره باللغة العربية [75] .

لقد عاد إلى التفاسير الكلاسيكية ، وكلامه لم يخرج عن إطارها ، بالرغم من أنه أشار إلى أن هدفه أعمق من ذلك ، لكن في حقيقة الأمر هذا العمق هو عبـــارة عن مجموعة من الأسئلة التي يتمنى يوما ما أن يجد إجابة لها ، قائلاً : هذا يعني أننا لن نكتفي بتكرار ما قالته التفاسير الإسلامية الكلاسيكية عن طريق ضبط تاريخية معلوماتها وتقييم مدى صحة أو متانة تفسيراتها ، وإنما نهدف من وراء هذا البحث إلى شيء أبعد وأعمق [76] .

3 - آيات سورة الشعراء :

– السيادة العليا (المشروعية العليا) و السلطة السياسية (التنفيذية) :

سوف نحاول أن نبين مفهوم السلطة في القرآن الكريم ، وعلاقة كل ذلك بعمل النبي ﷺ ، يقول أركـــون : في سورة الشعراء نجد أن خمسة من الأنبياء السابقين هم : نوح ، هود ، صالح ، لوط ، شعيب ، يوجهون على الترتيب إلى شعوبهم النداء التالي [77] : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الشعرا 04 - 120 .

---

[575] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 05 .

[576] – المصدر نفسه ص 05 .

[577] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 146 .

جميع الأنبياء ، يخرجون من مشكاة واحدة ، والواسطة ملك واحد لهم جميعاً ، وكلهم جاء لتثبيت التوحيد ، ونزع الشرك من النفوس ، وكما دلت بعض الآيات أن الدين منذ آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام هو الإسلام ، ومطالبتهم لأقوامهم بالطاعة ، لأن طاعة النبي هي طاعة لله عز وجل فكلام أركون لا يخرج عن التفاسير الكلاسيكية . حيث يقـــول : يحتوي هذا النداء الذي وجهه الأنبياء الآخرون على الألفاظ نفسها مع التركيز بإلحاح وبشكل خاص على التعبير التالي : { فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ }[78] .

القصص القرآني كما قال العلماء جاء لتثبيت الرسو {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } الأحقاف 35 ، وهذه سنن ثابتة وإن تغير الزمان والمكان ، فالإنسان هـــو الإنسان ، فأركون يحيلنا للقراءة الاستشراقية ، قائـــلاً : القراءة التاريخانية أي الاستشراقية لا ترى في هذه المقاطع المعادة إلاّ نوعاً من تعميم (أو مـــدٌ) قصة نوح المشهورة مع قومه على شعوب عربية : عاد وثمود . في الحقيقة ، وكما لاحظ ذلك جيداً المعلقون والشارحون الكلاسيكيون تعبر القصص الخمس عن حالة محمد أثناء مواجهته للمعارضين المكيين وذلك بربط هذه الحالة بالقاعدة المتبعة من قِبل الله في تاريخ النجاة وذلك إزاء المخلوقين (سنة الله في العباد)[79] .

بعد هذا التمهيد المطوّل ، يعود بنا أركـــون إلى عنوان هذا الموضوع ، ألا وهـــو " السيادة العليا (المشروعية العليا) و السلطة السياسية (التنفيذية " ، التي يقول لا تنفكان عن بعضهما البعض {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الحشر 7 . والرسول ﷺ ما ينطق عن الهوى . لذلك يقـــول أركـــون : إذا كانت الصياغات القرآنية قد ركّزت كثيراً على مسألة اعتماد السلطة السياسية ولا استقلاليتها بالقياس إلى السيادة العليا الإلهية ؛ فإن العلاقة العكسية التي تتلخص في معرفة دور المبادرات السياسية للنبي في ترسيخ سيطرة التحديدات والآيات القرآنية على وعي البشر لم تؤخذ بعين الاعتبار . ذلك أن الله نفسه ينخرط مباشرة ، حتى في المعارك العسكرية . ضد أعدائه »[80] .

– البنيان القَصصي في الخطاب القرآني :

---

578 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 146 .

579 – المصدر نفسه ص 146 .

580 – المصدر نفسه ص 146 .

لنبدأ هنا ، بهذا السؤال : ما الحكمة من اختيار هؤلاء الأنبياء الخمسة دون غيرهم ؟

يقول أركون : إنهم يشاركون كما قلنا في تقوية البنيان التمثيلي المشترك الخاص بالخطاب القرآني كله . من وجهة نظر تركيبية (لغوية) ومعنوية سيميائية ، نجد أن هذا الخطاب مُسيطَر عليه من قِبَل الفاعل الأوّل : الله ؛ الظاهر بوضوح حيناً ، رب ، نحن) أو المختفي ضمنياً حيناً آخر (مُرسِل ، مُنذِر) [81] .

– مدخل لدراسة الروابط :

يعود أركون هنا إلى بنية العلاقات الشخصية الموجودة على مستوى النص القرآني ، فيقول : الممثل الأوّل (أو الفاعل الأوّل) هو في الوقت نفسه مخاطب وفاعل ، مُرسِل إليه وذلك بالقياس إلى الممثلين الآخرين (الأنبياء ، البشر . .. وهم (من الناحية القواعدية كذلك) أيضاً مرسلون ومرسل إليهم . لكن من وجهة النظر التي تهمنا ، عند هذه الدعوة ، الإنذار : أطيعوا الله وأطيعوني " . نلاحظ أن النبي يتخذ لنفسه صراحة صفة المطاع الذي ينبغي أن توجه إليه الطاعة [82] .

قام أركون بعملية إحصاء قرآنية لكلمة الطاعة فوجد أن صيغة : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " يلاحظ إدخال " أل " التعريف على محمد كانت قد استخدمت 9؛ مرة . هذا في حين أن علاقات الطاعة ما بين البشر أو بينهم وبين الله ، والتي تمر من خلال الأنبياء ، كانت قد كررت بشكل كثيف (3؛ مرة لحالات الفعل ذي الأصل طوع . نجد عموماً أن وظائف الممثل (أو الفاعل) الثالث قد أدت إلى ظهور تناقض تأسيسي شامل على مدار الخطاب القرآني كله [83] .

سوف أحاول الآن ترجمة الكلام السابق في هذا المخطط التوضيحي للروابط التفاعلية بين الفاعلين

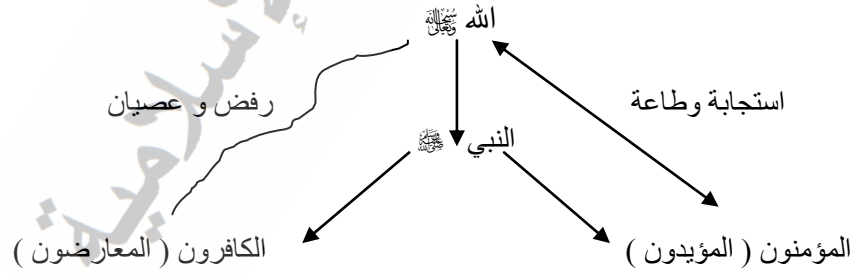

المخطط التوضيحي للروابط التفاعلية بين الفاعلين (أو الممثلين)

---

[581] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 147 .

[582] – المصدر نفسه ص 147 - 148 .

[583] – المصدر نفسه ص 148 بتصرف .

4 آيات سورة الشورى :

أما بالنسبة للآيتين ٢ و ٤ من سورة الشورى فقد أشار إليها في قراءته لسورة الحجرات فلاداعي للتكرار .

- العجيب المدهش بصفته دعامة للأنطولوجيا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى 1 .

قالت العرب قديماً الأثر يدل على السير ، وقد صدقوا ، لذلك أدرك كل من كان له عقل ، بعد تأمله وتدبره في هذا الكون ، أنه من الاستحالة أن يكون بلا صانع أو خالق ، وإدراك عظمة الخالق يكون بإدراك عظمة مخلوقاته ، لذلك جاء في الحديث النبوي الشريف « تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله »[84] ، يقول أركون : إن عجائب الخلق تتطلّب بالضرورة تَدَخُل الكائن المتعالي ذي القدرة المطلقة { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ كيف يتحدث الكائن عن نفسه ؟ الصفات أو اللغة التي تعود للتأمل الروحي وللرغبة والقداسة[85] .

أركون يشير إلى أصحاب النظرة التقليدية ، بأن الشرع يشمل جميع مناحي الحياة ، بما أنه من عند الله تعالى ، قائـــلا في ذلك : أمّا بالنسبة لله ﷻ وأنه يمثّل الأصل الأنطولوجي (الإيماني) والمرجع النهائي لجميع المخلوقات ، فهذا هو السائد لدى أصحاب النظرة الأرثوذكسية ، ويستدلون على ذلك بآيات كثيرة ، ومنها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى 3-[86] .

- السلطة السلالية (الملكية :

لقد أمر الله المسلمين أن يكون أمرهم شورى فيما بينهم ، وقد جاءت كلمة الشورى في القرآن في الشورى ، وآل عمران ، وهنا يقول أركون : إن الصورة التي قدمها المؤرخون فيما بعد عن فترة الخلافة في المدينة كانت قد ركزت على مسألة الشورى وذلك كممارسة

---

[84] - أخرجه الطبراني ، في المعجم الأوسط ، ج ، ص 250 . والبيهقي وكنز العمال .

[85] - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 206 .

[86] - القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 31 .

سياسي[87] كان النبي نفسه قد أدخلها ثم سرعان ما هجرت بحلول عهد الأمويين . كان القرآن قد ردد صدى هذه الممارسة في الآيا 8، من سورة الشورى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . ثم في آل عمران ، آية 159، [588] ﴿ رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [589] .

ربما يقصد أركون هنا الحالات الثلاث التي يتجلى فيها الوحي لأنبيائه ؛ حيث يقول : يتحدث القرآن الكريم أيضاً عن الوحي الذي هو فعل التنزيل يلقيه الله إلى أنبيائه ، بينما يحيل التنزيل أحياناً إلى الموضوع الموصى به . وإليك كيف يوضّح القرآن الكريم آلية الوحي (السور 2، الآيتان 51 - 52) : قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى 1، 52 [90] .

أركون بهذا العنوان ، ينبه إلى أن الشورى انتهت في بدايتها ، وأن الأمويين حكمهم لم يكن نظام شوري بحت ، باعتبار أنهم سلالة ملكية توارثية .

5 - آيات سورة النجم :

لقد تلقى الرسول ﷺ الوحي من الله ، بواسطة جبريل عليه السلام ، وأن هذه الآيات تشير أن الذي يُصطفى من الله لحمل رسالته ، من المستحيل أن يكون ضالاً ، بل يجب أن يحمل كل صفات الكمال البشري ، فأركون يقول : وقد تلقى الكتاب السماوي عن طريق " كائن ذي قوة عظيمة " ، كما لم يكن ضالاً أبداً . يقول القرآن بالحرف الواحد[91] :﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾

---

[587] – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 68 .

[588] – هذا الترقيم وجدته عند أركون آل عمران الآية 157 ، والصواب رقم الآية 159 . والله أعلم وأعلى .

[89] – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 68 .

[590] – نافذة على الإسلام ص 34 .

[591] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 99 .

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ النجم [592] .

يميز علماء اللسانيات بين نوعين من استخدام اللغة ، يقول أركون : السرد القصصي ، والخطاب . وهذا في النصوص غير المقدسة ، أما بالنسبة للقرآن الكريم ، فيقول أركون : القرآن يستخدم بشكل واسع كلا الشكلين أو كلتا الصيغتين في التعبير . ولكن التحليل العميق يكشف لنا أن البنية الأساسية للنصّ ككل تتمثّل بالحوار حيث نجد أن صيغتين لغويتين في حالة الشراكة تجدان نفسيهما مسؤولتين عن **الكلا** أو **القول** بالتناوب [93] .

أركـــون ينتقل الآن إلى التحليل الألسني ، فيقـــول : نجد أوّلاً بنية العلاقات بين الضمائـــر (أنا ، هو ، أنت ، نحن ، هم ، أنتم ... . وهاتين الصيغتين تعملان كالآتي :

- الأولى تتخذ صيغة النحن / أنت ، أنا (أي محمد / أنت بالمعنى الكبير للكلمة (أي الله) .
- وأما الثانية المتمثّلة بـــ نحن / أنت ، أنا (أي محمد) ، النحن (ضمنية / أنتم / هو ، النحن / أنت (ضمنية / هم بصيغة المفعول به ، والفاعل (أي بني إسرائيل) [94] .

هذا فيما يخص الطبقة الأولى الكلام ، أما بالنسبة لطبقة الثانية لعلامات القول ، فأركون يقول : أما الطبقة الثانية لعلامات القول (أو التلّفظ بالكلام) ، فمشكّلة من قِبَلِ " قرائن التبيين " ، أو " الأفراد اللغويين " الذين يحيلوننا إلى أشخاص ، أو لحظات ، أو أماكن . وهذه هي حالة الضمائر الشخصية ، أو البرهانية ، أو النعتية .. إلخ . وعن طريق هذه الضمائر يتوصل الناطق المتكلّم إلى [95] تنظيم المكان ، والعلاقات ، والأحوال أو أساليب الحياة والوجود . أنظر بهذا الصدد العبارات القرآنية التالية : **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾** ﴾ النجم [596] .

---

[592] – بقية معنى آيات سورة النجم الآيات ١ - ٥ ، يُنظر في هذا المبحث إلى آيات سورة الفرقان ص 147 .

[593] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 100 - 101 .

[594] – المصدر نفسه ص 101 - 102 بتصرف .

[595] – **المصدر نفسه ص 102 .**

[596] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 102 .

هذه الآيات تناولها أركون تحت هذا العنوان " موقف المشركين من ظاهرة الوحي " المقاربة التاريخية للمسألة إذا فلا داعي للتكرار .

6 - **آيات سورة المدثر** :

هذا الكلام فيه تهديد ووعيد ، وتذكير للإنسان حتى لا يطغى ، وهذه الآيات المكية تتكلم عن أهوال أحداث يوم القيامة ، عندما ينفخ في الصور ، لكن أركون يصفه بعدما طلب القراءة : لنقرأ هذا المقطع العنيف والملتهب الذي تثار فيه بكل وضوح مناقشة سياسية واجتماعية جرت حتماً في زمن النبي ، لكنها سرعان ما تحول وتقلب صراع بين الله والإنسان ويخلع ِ ها لباس التعالي والعمومية الشاملة ، هذه هي الخصيصة الأساسية للخطاب القرآني [97] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾

المدثر 3 - 20 .

يمثل هذا الانشطار الذي تولّد عنه فريقان ، هم كما يقول أركون : مؤمنون / كافرون (المرسَّخ في القرآن) نوعاً من التسامي والتصعيد الديني للتوتر الاجتماعي - السياسي الحاصل بين الذين يطيعون ويخضعون للسلطة الجديدة وأولئك الذين يرفضون الخضوع . تبلور هذا التوتر عن طريق سلسلة من التضادات اللغوية - المعجمية التي تدل بوضوح على تصرفات وأعمال سياسية . يمكن أن نقتطف من هذه المفردات النماذج التالية : جذور ومشتقات الفعل ' عصى ' تكـــررت 29 مرة ، ' طغى 9 مرة ، " إثـــ 8 مرة [98] .

خلاصـــ هذه القراءة الحداثية للسور المكية التي تناول منها سبع (') آيات فما أكثر ، بالنسبة لسورة الإسراء تناول مفهوم كلام الله و إسراء محمد ﷺ و كذلك تكلم عن الحكمة . سورة الفرقان تكلم عن موقف المشركين من ظاهرة الوحي وعنادهم . وفي الشعراء أشار إلى السيادة العليا السماوية والسلطة الأرضية . أما في سورة الشورى تكلم على العجيب المدهش ،

---

[597] - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 148 .

[598] - المصدر نفسه ص 49 بتصرف .

وكذا على السلطة السلالية (الملكية) التي عَوضت نظام الشورى ، وفي سورة النجم كان الكلام عن الوحي . وفي سورة المدثر ألفت الانتباه إلى التهديد والوعيد الذي سوف يلحق بالمشركين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور التي تناول منها سبع (7) آيات فما أكثر

ثانياً : القراءة الحداثية للآيات المدنية

سوف تكون القراءة على آيات ثلاث سور مدنية وهي : سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة النساء .

1 – آيات سورة البقرة :

أ – وظيفة النبوة :

وكأن أركون هنا يريد أن يقول العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالناس الذين عاصروا محمد ﷺ هم الآن عند ربهم ، ولكن ما نزل فيهم ، يبقي مفعوله ساريا إلى يوم الدين ، فهو يقول : ومن أدل الأمثلة على ذلك الآيات التي تمنع الربا : المكان (يثرب) والظروف السياسية والاقتصادية الدقيقة (رفض اليهود المساهمة المالية التي طلبها محمد) قد انمّحت ، و لم يبق سوى مقولات لا زمنية تقابل أولئك الذين يجنون بجشع الأرباح التي لن تنفعهم البتة في يوم الحساب بأولئك الذين يرضون بدفع الصدقات التي يربيها الله " [599] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ ﴾ البقرة 275 – 276 .

ب – السلطة والشرعية :

إعلان القرآن بأن الإنسان خليفة الله في الأرض ، لم تكن معروفة لدى الأمم الأمية غير الكتابي) ، فأركون يذكر هنا : وعندما أعلن القرآن أن الإنسان خليفة الله في الأرض " (2 / 30) ، إنما أدخل مقالة تسويغ شرعي جديدة لدى الشعوب كافة ممن كانوا ، كالعرب ، لما يعرفوا بعد كما كانت في الجزيرة العربية قبل الإسلام مثلما كانت في بلاد البرابرة في إفريقيا [600] .

---

[599] – الفكر العربي ص 41 .

[600] – المصدر نفسه ، ص 30 بتصرف .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقر 30 .

- نحو إعادة توحيد الوعي العربي - الإسلامي :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة 213 .

يشكو أركون من علماء الإسلام ، الذين بقوا متقوقعين على مناهجهم دون الاستفادة من المناهج الغربية الحديثة - والتي حسب زعمه لو طبقناها لاستفدنا منها الكثير - ، وأن المستشرقين قطعوا أشواطاً متقدمة علينا ، يقول : إن علم الإسلاميات لا ينفتح إلا بخجل واستحياء على المكتسبات الغنية لعلم الألسنيات والتاريخ المقارن والأنتربولوجيا (علم الأناسة) وأركيولوجيا المعرفة ، إلخ ... ولكن الممارسة " العلمية ' للمسلمين لا تزال تحت مستوى علم الإسلاميات الغربي[01]

نلاحظ أن هذه الآيات تذكر القيم السامية التي يحث عليها القرآن ، أما أركون فيقول : وأمّا القرآن الكريم فقد نصَّ على هذه القيم أو ما يشبهها في آيات بيِّنات [02] : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقر 177 .

كذلك يذكر أركون [03] ما جاء من قيم إنسانية من معلم البشرية ﷺ ، ما جاء في الحديث النبوي الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [04] .

وكأن أركون يجري مقارنة بين الإسلام والمسيحية ، فبعد ذكره للقيم السامية التي حث عليها القرآن الكريم ، يقول هنا بالنسبة للمسيحية [05] " إن الفارس المجاهد من أجل المسيح

---

501 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 143 .

502 - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 52 .

503 - المصدر نفسه ص 53 .

504 - أخرجه البخاري ومسلم .

يقتل متعمداً ويموت وضميره مرتاح . وبموته يفوز بالنجاة في الدار الآخرة ويدخل الجنة . فهو إذ يقتل إنما يعمل من أجل قضية المسيح المقدسة . .. أما من ناحية أخرى فإن هذا الشخص المؤمن يستحق الثناء والمجد والخلود ... كم يشعر المرء بالأمان والاطمئنان في الحياة عندما ليس فقط يتلقى الموت من دون وجل وإنما يرغبه ويشتهيه كذروة السعادة ويتلقاه بكل تقى وخشوع [506] .

يعقل أركون هنا ، متسائلاً : ماذا يمكن أن نقول عن هذين النصين أو المقطعين المأخوذين من أعلى مرجعيتين عقائديتين في المسيحية كما في الإسلام ؟ إنهما يسجناننا داخل الحروب الدينية إلى الأبد إذا لم نُعد تأويلهما ونربطهما بسياق تاريخي محدد مضى وانقضى [507] .

كذلك ينتقل أركون بنا إلى الآراء المتباينة ، حول مسألة اللغة الإنسانية ، وهل هي كسبية أم توقيفية ؟ ، أما بالنسبة للمسلمين فقد فصل لهم القرآن هذا الأمر ، يقول : إن فلسفة اللغة تختلف طبعا بحسب الفكر المستخدم . أما تلك التي هيمنت في الإسلام فهي التي تقول بأن اللغة قد أتت من الله للسورة الثانية [508] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة 31 .

كذلك قضية ، ماذا علم ﷻ آدم عليه السلام أسماء الأشياء ؟ وقد أثارت جدلاً كبيراً في تراثنا دون الوصول إلى أي نتيجة ، أما رأي أركون الذي يقول : ينتج عن ذلك أن الأسماء تحيلنا مباشرة إلى الأشياء ، وأن كل جملة لها معنىً واحد – كما ستعلّمنا الفيلولوجيا في القرن التاسع عشر بأن [509] اللغة تشكل نظاماً مطابقاً للمعرفة الحقيقية الصحيحة . هكذا يبدو الفكر عندئذ محدوداً باللغة [510] . ثم يضيف قائلاً في مسألة اللغة : نجد ضمن هذا المنظور ، أن لغة القرآن المختارة من

---

505 – إليكم الآن هذين الاستشهادين اللذين يثيران التفكير حقاً وذلك ضمن منظور علم أخلاق جديد نريد بلورته ويتجاوز كل التركيبات اللاهوتية القديمة وكذلك السياسية الإيديولوجية المعاصرة . الاستشهاد الأوّل مأخوذ من كلام صادر عن المجمع الكنسي الذي انعقد في مدينة « ترو » الفرنسية قبل تسعمئة سنة تقريباً (1128) . وقد صدر هذا الكلام بناءً على طلب القديس سان برنار دو كليرفو . وكان جان دانييل قد استشهد به في إحدى افتتاحياته في مجلة " نوفيل أوبسرفاتور " تحت عنوان : " الاستمتاع بالشر " ، وذلك على أثر ضربة 11 أيلول / سبتمبر ، وقد صدرت الافتتاحية بتاريخ 24 / 9 / 2002 م . نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 89 .

506 – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 90 .

507 – المصدر نفسه ص 90 .

508 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 126 .

509 – المصدر نفسه ص 127 .

510 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 127 .

قِبَل الله لتعليم الأسماء و الأحكام ، تأخذ قيمة تنظيم نحوي وفضاء معنوي (سيمانتي) نموذجي ومتعالٍ[11] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة 251 .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة 136 .

يعود أركون إلى مسألة السياق الأوّل ، ولو أخذ بأسباب النزول - الصحيح - لكفانا هذا العناء : إن هذه الآيات التي استشهدنا بها كعيّنات لا يمكن أن نفهم معناها الحقيقي إلا إذا موضعناها في سياقها الأولي الذي صدرت فيه لأوّل مرة في مكةَ والمدينةِ[12] .

هذا من رحمة الله تعالى ، أن كف أيدي الناس عن بعضهم البعض ، وهذا ما يريد أركون أن يقوله : إن العنف موجود داخل كل إنسان . ففي داخل كل شخص يوجد توتر حاد قليلاً أو كثيراً بين غريزة العنف ، وبين الميل إلى حب الخير والجمال والحق . والآية التي ذكرناها سابقاً توضح هذا الوجه الازدواجي للإنسان بعبارات بسيطة جداً : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة 251[13] .

2 - آيات سورة آل عمران :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران 130 . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ آل عمران 132 .

---

[11] - المصدر نفسه ص 127 .

[12] - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل - نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 205 .

[13] - المصدر نفسه ص 231 .

طاعة الرسول ﷺ ، هي طاعة للخالق ، فيقول أركون : وعلى هذا النحو يحافظ النبي في التاريخ المباشر على مطلب شهادة نوعية : إنه الشاهد على الإلهي لدى البشر لدى الله . وإن القرآن يعلن عنه دوماً على أنه « بشير » و « نذير » و « هاد » و « شفيع » و « صديق » و « مختار » و « مبلّغ كلام الله »[14] .

يقول أركون : وهكذا تتشكل علاقة محددة تماما تتمثل بنعم الله من جهة / وطاعة الإنسان من جهة أخرى . وهـــذه العلاقة متضمِّنة في كلمة إسلام بحسب المعنى القرآني لها ، هـــذا المعنى الوارد[15] في سورة آل عمران ، الآية 67 ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[616] .

يشرح أركون هنا معنى كلمة مسلم " قائلاً : فكلمة مسلم هنا تعني ذلك القبول العفوي والطوعي والمتلهف بل وحتى العاشق لكل ما تأمر به إرادة الله وتعلمنا إياه . إنها لا تعني إطلاقاً الاستسلام لسلطة حتمية أو الخضوع المؤذي للإكراهات[17] .

يذكر أركون أن الإسلام من خلال هذه الآية يقدم نفسه بديلاً عن جميع الأديان التي سبقته ، سواء الذي اندثر منها ، أو الذي حرف : لدينا من جهة دين اسمه الإسلام ، الذي يقدم نفسه ، استثناءٌ على كل الأديان الأخرى ، بصفته الدين الحقيقي ، لأنه كان محلاً للوحي النهائي والأخير المعطى من قبل الله لكل البشر[18] .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران .

يعود أركون هنا إلى مصطلح الإسلام ، مرة أخرى ، ثم ينتقل إلى المصطلح القرين به ، وهو الإيمان ، وهذا الأخير درجة الإنسان فيه أقرب لله من درجة الإسلام ، وهو يأتي بعد الإحساس –

---

[14] – الفكر العربي ص 12 .

[15] – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال – أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 83

[16] – المصدر نفسه ص 33 .

[17] – المصدر نفسه ص 33 .

[18] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 113 .

أي يتوسطهم – لذلك يقول : ثم بعدئذٍ الإيمان المتميِّز بشكل واضح عن الإسلام ، من المفيد أن نضيف إلى كل ذلك ، أنه منذ البداية ، فإن هذا الاستخدام (أي استخدام كلمة إسلام) ، كان يحمل مف ـ وم ـ دي الموت ، أو التضحية بالنفس في سبيل النضال من أجل قضية الله والرسول "[19] مهما يكن من أمر ، فإنه لمن الواضح أن القرآن يركز بشكل شديد على ضرورة الإيمان وكل الأعمال التي تعبر عنه أو تترجم[20] .

يقول أركون : والصياغة اللغوية المركزية التي تعبِّر عن ، أخلاقية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وردت سبع مرات في القرآن ضمن سياقات ومناسبات مختلفة . إليكم مثالاً عنها الآن إحدى السور الأكثر انتشاراً اليوم بين المسلمين : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران 104 [21] .

يواصل أركون كلامه عن هذه الآية الكريمة ، متسائلاً عن فهمها ، ربما نقول فهمها يكمن فيها ، فالقرآن يفسر بعضه بعضا ، والأمور كما يقال تُعرف بأضدادها ، فكلمة معروف تقابلها منكر ، فهو يقول : كيف نفهم هذه الآية ؟ كيف نشرحها ؟ ينبغي العلم أن الكلمتين العربيتين « معروف » و « منكر » تحيلاننا إلى معجم لفظي غني ، لكنه اجتماعي – أخلاقي أكثر مما هو ديني . إنهما تدلان على التصرفات الحسنة والسيئة المتعلقة بقانون « العِرض » أو الشرف . وهو قانون كان مُتَّخذاً كذروة عليا لتقويم ما هو خير وما هو شر في المجتمع العربي قبل ظهور القرآن[22] .

بُعث ﷺ رحمة للعالمين ، ولذلك لم يبلغ كل شيء ، بل بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ، ويُصبح الولاء و البراء لله تعالى فقط ، وهذا ما أشار إليه أركون :

ثم جاء التطبيق الطويل للأمر القرآني القطعي لكي يعدِّل قانون العِرض السائد في كل فئة اجتماعية محددة من قبل عصبية القرابة والذاكرة الجماعية[23] .

---

[19] – كما تُبيِّن لنا ذلك سورة التوبة ، آية 24 و سورة الحجرات ، آية 14 سبقت دراسة هاتين الآيتين في سورهما .

[20] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 115 .

[21] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 163 .

[22] – المصدر نفسه ص 163 .

[23] – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 163 .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾

يتكلم أركون في قراءته لهذه الآية فيقول : وهذا الكتاب الأعلى أو أمّ الكتاب مصون في اللوح المحفوظ ، يحصل ذلك كما لو أن كتب الوحي المتتابعة ليست إلاّ طبعات أرضية لهذا الكتاب السماوي والنموذجي الأعلى ، وهذا الاعتقاد تترتب عليه نتائج وانعكاسات مطلوب من إعادة القراءة أن تتفحّصها بكل انتباه [24] .

ما هي النتائج والانعكاسات التي تترتب على الاعتقاد المشار إليه آنفاً ؟

يجُيب أركون : أوّلاً : المعرفة في " أم الكتاب " متصوَّرة وكأنها كلّية و صحيحة ، أزلية وأبدية . كما أنها صحيحة ، ولكنها جزئية وعُرضة للتنقيح والتعديل والمراجعة (أو الناسخ / والمنسوخ) في الطبقات الأرضية . ثانياً : إنّ علوم اللغة تميل إلى أن تحتل المرتبة الأولى في تنظيم المعرفة ككل داخل هذا النوع من المجتمعات . ولكننا نلاحظ في الوقت ذاته أن هذه العلوم تعتمد في آن معاً على نظام العقائد / و اللاعقائد المفروض من قِبَلِ الكتاب السماوي ... وبالتالي فمن الضروري أن نبيّن إلى أي مدى يُمكن وصف جدلية الكتابات المقدسة ⟵⟶ القراءات [25] بصفتها انعكاساً للجدلية الاجتماعية في مجتمعات الكتاب السماوي ومُحفّزاً لهذه الجدلية [26] .

نلاحظ بالنسبة لصاحب هذه النتائج كمن يَرُم في المحال ، فالأشياء التي مر عليها الزمان لا يمكن أن تعود ؛ حتى نقف على سياقها الأول ، ونفهمها الفهم الصحيح ، كما يُلح دائماً . فالنتيجة الأولى مثلاً متعلقة بالقضاء والقدر ، وهي من الأمور التي يجب الإيمان بها والانقياد لها ، لماذا ؟ لأن الرسول الكريم نهى صحابته وهم الكرام ؛ عن الخوض فيه ، فمن باب أولى أن نمتثل نحن لأوامره ﷺ . وكذا العاقل أن يعتبر من التاريخ ؛ وما جـــرى في هذه القضية ، وماذا كانت النتيجة ؟ لا شيء - تجوز - ، بل لا نبالغ ، وأعتقد أن هذا هو الصواب على الأقل من الناحية

---

[24] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب ص 109 .

[25] – يقول أركون : لشرح هذه الصياغة التعبيرية أو المفهومية ، يُنظر كتاب محمد أركون : مقالات في الفكر الإسلامي (بالفرنسية) ، وهذا المصدر لم أقف عليه ، رغم إلحاحي في طلبه .

[26] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب ص 109 .

الاعتقادية وثم الاجتماعية ترك آثارٍ سلبية ، لا تزال بقياها تنخر في فكر ومعتقد الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا .

3 - آيات سورة النساء :

في بداية الكلام ، ماذا يريد أن يقول أركون ؟

يقول : سوف نبتدئ بتحليل الجزء الثاني من الآية الثانية عشرة لسورة النساء لأننا نجد فيها المشاكل الأكثر صحة وملائمة لتوضيح ضرورة الانتقال من مرحلة الاجتهاد إلى مرحلة نقد العقل الإسلامي . ومن المهم بهذا الصدد أن نسجل هنا تلك الآية بالحرف العربي ، ولكن دون إعراب أو حركات ... وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة . } النساء 2 [27] .

أركون في كلامه هنا ، اعتمد على تجربة المستشرق الأمريكي دافيد س . بور كمصدر له ، حيث كتب آية 2. من سورة النساء ، طبعاً بالحرف العربي غير المشكولة ، فوجد الفئة الأولى التي اختبرها تقرأها هكذا {يُورَثُ كَلاَلَةً أو امرأَةٌ وهي غير حافظة للقرآن ، ناطقة باللغة العربية ، أما الفئة الثانية ، الحافظة فتقرأها كما في المصحف {يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَ ، قائلاً : " وقد فعلت ، كما فعل بورز من جهته ، بعرض هذه الآية غير المشكَّلة على الناطقين بالعربية كلغة أم ، فيقول فاكتشفت الشيء المدهش والممتع التالي : أن أولئك الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب يتلون الآية كما هي واردة في القرآن ، وبنفس الإعراب والحركات . ومن المعروف أن هذه القراءة هي التي كانت قد اعتُمِدت بعد ط ل نقاش من قبل التفسير الكلاسيكي ، ثم فُرِضَت في المصحف الرسمي منذ الطبري على الأقل . ولكن أولئك الذين لا يحفظون القرآن عن ظهر قلب ويخضعون فقط للكفاءة [28] القواعدية واللغوية العربية يختارون دائما القراءات الأخرى التي استبعدها التفسير الأرثوذكسي " [29] .

يشير أركون هنا إلى منهجية الطبري ، وكما هو معروف يعد من أبرز علماء القراءات [30] ، أمّا بالنسبة للخلافات ، أظن أن ابن جرير قادرٌ بمكانته وقدرته العلمية على الترجيح بين

---

527 – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 33 – 34 .

528 – يقول هاشم صالح : المقصود بالكفاءة القواعدية هنا تلك الملكة أو الموهبة التي يكتسبها الطفل (بالفطرة وعن طريق التعليم . المصدر نفسه ص 34 .

529 – المصدر نفسه ص 34 - 35 .

530 – يقول محمد حسين الذهبي : ولقد يرجع السبب في عناية ابن كثير بالقراءات وتوجيهها إلى أن كان من علماء القراءات المشهورين ، حتى إنهم ليقولون عنه : إنه ألف فيها مؤلفاً خاصاً في ثمانية عشر مجلداً ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ

الروايات ، ونحسن الظن في اختياره ، فهو يقـــول : إن الخلافات المذكورة ، بالطبع ، من قبل الطبري بحسب منهجيته [31] المعروفة في التفسير والمرتكزة على الأخبار المدعومة بالإسناد ، أقول إنَّ هذه الخلافات تخص فعلين أساسيين هما : يورث ويوصي . فهما مقروءان بشكل مبني للمجهول أو للمعلوم بحسب التفسير المعتمد . وعندئذ تصبح كلمة امرأ مفعولاً به مباشراً ، تماماً مثل كلمة كلالة (اللهم إذا ما اعتمدنا قراءة الفعلين وهما مبنيان للمعلوم) . وعندئذ تصبح القراءة : وإنْ كَانَ رجلٌ يُورِثُ [32] بدل قراءة المصحف الشريف {يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَ ! . لكن أعتقد أن القضية ، ليست بهذه السهولة ، فالمسألة ليست متعلقة مصحف مكتوب يُغيرون فيه كيف شاءوا ! ربما قد يصدق هذا القول في الكتب السماوية الأخرى ، غير المحفوظة في صدور أتباعها ، وفي الغالب حتى الكتب لا تقرأ ولا يُعرف ما يطرأ عليها . لكن عند المسلمين فهناك نسخة ثانية ، الشفاهية ، أشد صرامة من الأوّلى ، والقرآن الكريم يتابع يومياً من أتباعه تلاوة من الكتب ، ومن الصدور ، وخيرُ دليل على ذلك بعض المحاولات الحديثة التي حاولت أن تنال من هذا الكتاب الخالد وقد كُشفت وفشلت .

وعلل ذلل ذلك وشرحه ، واختاره منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور ، وإن كان هذا الكتاب قد ضاع بمرور الزمن و لم يصل إلى أيدينا ، شأن الكثير من مؤلفاته . التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، الناشر مكتبة وهبة ص 154 .

[31] – طريقة (منهجيته) ابن جرير الطبري في تفسيره : – إنكاره على من يفسر بمجرد الرأي ب – موقفه من الأسانيد : يقول محمد حسين الذهبي : ثم إن ابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها ، إلا أنه في الأعم الأغلب لا ينقدها لا بتصحيح ولا تضعيف ، لأنه كان يؤمن بما هو مقرر في أصول الحديث (من اسند فقد خرج من العهدة) . ج – تقديره للإجماع : كذلك نجد ابن جرير في تفسيره يُقدِّر إجماع الأمة ، ويعطيه سلطاناً كبيراً في اختيار ما يذهب إليه من التفسير . د – موقفه من القراءات : كذلك نجد ابن جرير يعني بذكر القراءات ويترلها على المعاني المختلفة وكثيراً ما يرد القراءات التي لا تعتمد على الأئمة الذين يُعتبرون عنده علماء القراءات حجة ، والتي تقوم على أصول مضطربة مما يكون فيه تغيير وتبديل لكتاب الله ، ثم يتبع ذلك برأيه في آخر الأمر مع توجيه رأيه بالأسباب . هـــ – موقفه من الإسرائيليات : ثم إننا نجد ابن جرير يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي ، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ، ووهب بن منبِّه ، وابن جريج ، و السدي ، وغيرهم ، ونراه ينقل عن محمد بن إسحاق كثيراً مما رواه عن مسلمة النصارى . . . وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات ، ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة . و – انصرافه عما لا فائدة منه . ز – احتكامه إلى المعروف من كلام العرب . ح – رجوعه إلى الشعر العربي . ط – اهتمامه بالمذاهب النحوية ي – معالجته للأحكام الفقهية . ك – خوضه في مسائل الكلام . يُنظر كتاب : التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، الناشر مكتبة وهبة ص 51 - 58 بتصرف .

[32] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 15 .

لكن ما نريد معرفته ، هل نقرأ كتاب ربنا بطريقتنا الخاصة ، أم بالطريقة [33] التي طلبها الله منا ؟ أم أن القراءة تناسب لسان الناس ، ليقوموا بليّ بأعناق النصوص ! ، لنترك الكلام الآن لأركون : { كَلاَلَةً أو امرأة } ، وهي القراءة الطبيعية المناسبة للفطرة العربية والذوق العربي السليم والملكة اللغوية أو الكفاءة اللغوية للناطقين بالعربية بحسب المعنى الألسني لكلمة الكفاءة اللغوية .

أما القراءة التي فرضت في القرآن من قبل الفقهاء فهي صعبة جداً وملتوية وعسرة على الذوق اللغوي العربي ، وقد احتاجت إلى الكثير من الشروحات والتخريجات القواعدية واللغوية [34] .

ما هي هذه المحاجات والتأويلات التي أضطر إليها الفقهاء والمفسرين ؛ كما يدعي أركون ؟

فيقول : أحيلُ القارئ هنا إلى تفسير الطبري للاطلاع على شيء من ذلك . تقول القراءة التي اعتمدت في المصحف الرسمي : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [35] .

يواصل أركون اجتهاده الحداثي في قراءة الآية قائلاً : يُوَرَثُ و يُوصَى (أي قراءة الفعل وهو مبني للمجهول . ونلاحظ صعوبة القراءة على الذوق العربي السليم ، ونستغرب ما السبب ؟ أي ما السبب في اعتماد هذه القراءة الصعبة دون غيرها في المصحف الرسمي . وعندما يعرف السبب يبطل العجب . ولن يعرف القارئ السبب ، ولن يكتشف السر إلا بعد الاطلاع الكامل على هذه الدراسة التطبيقية [36] .

أعتقد أن أركون يريد توجيهنا في مسار معين ، يريده هو ، ثم بعد ذلك يقوم بسرد مرويات ابن جـــرير الـ ـ ري ـ ذلك ـ ول :

وإنما سنكتفي بذكر المعطيات التالية من أجل الاستفادة منها في تحليلاتنا اللاحقة [37] .

1 - الطبري يخصص مكانة ما للقراءة التي يبجلها البعض ويعتمدونها ولكن دون أن يذكر النتائج والانعكاسات السلبية المترتبة على حذفها لمصلحة تلك القراءة الشائعة التي اعتمدت رسمياً .

---

[33] – فلنرجع لشروط قراءة القرآن وحكمها ، التي أستنبطها العلماء من الدين .

[34] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 36 .

[35] – المصدر نفسه ص 36 .

[36] – المصدر نفسه ص 36 - 37 بتصرف .

[37] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 37 .

2 - إن السيرورة التاريخية (أو العملية التاريخية) التي أدت إلى تشكل الأغلبية ، وصلابة مواقع السيادات التي تدعمها ، بالقياس إلى تشكل الأقلية المسفَّهة وضعف مواقعها لم تتعرض لأية دراسية نقدية ترتفع إلى مستوى الرهان الأوّلي لكل مشكلة قراءة أو تفسير . نقصد بالرهان الأوّلي هنا : إعادة تركيب الصيغة اللغوية الصحيحة لكلام الله .

3 - أنه لصحيح القول بأن العلماء المسلمين قد اهتموا بنقد سلاسل الإسناد من أجل التأكد من صحة الأخبار المنقولة . ولكنهم فعلوا ذلك ضمن إطار كتابة التاريخ السائدة في زمنهم بكل محدوديتها وإمكانياتها[38] .

بعدما ذكر أركون المعطيات الثلاثة السابقة الخاصة بالتراث ، الآن يشير إلى المعطيات الخاصة به :

4 - أما ضمن منظورنا نحن فإنه يحق للتحري الفللوجي أن يتدخل في المرحلة الأولى بالطبع . وينبغي القيام به قبل كل شيء آخر . فإذا ما توصل إلى نتائج لا غبار عليها أو متفق عليها من قبل التراث الإسلامي نفسه ومن قبل الباحث الحديث ، أمكننا عندئذ أن نجتاز مرحلة أخرى في البحث لم يكن القدماء بقادرين على اجتيازها بسبب نقص الإمكانيات المعرفية والمنهجيات المناسبة . هكذا نجد مثلاً إن معنى كلمة كلالة لم يحسم حتى بعد كل تحريات بورز الفللوجية وفرضياته .

5 - الكلام الحق والمتخيّل الديني : لنشرع إذن في إنجاز العمل الذي لم يعرف بورز وأساتذته أن ينجزه (أقصد باساتذته كبار المستشرقين من أمثال غولدزيهر . جوزيف شاخت ، جونيبال ، وهم المختصون بنقد التراث الإسلامي . وسوف نهتم بتحليل الأخبار التي نقلها الطبري بخصوص " الكلالة "[39] .

أعتقد أن النقاط التي ذكرها أركـــون كلها ، تحتاج إلى إعادة نظر ، لمـــاذا ؟ لأن :

1 - الطبري في هذه النقطة يُتهم ضمنيا ، وأنه يكتم الحق ، من أجل إرضاء البشر ، على حساب دين الله ، وهذا قول خطير يحتاج إلى دليل كبير .

2 - تَشَكُل الأغلبية ، وصلابة مواقع السيادات التي تدعمها ، لما لا يكون هذا دليلاً على قوة ما ذهب إليه وليس العكس ؟ والأمة لا تجتمع على ضلال ، إن شاء الله ، .

---

[38] - المصدر نفسه ص 67 - 69 بتصرف .

[39] - المصدر نفسه ص 44 - 50 بتصرف .

3 يعد علم الجرح والتعديل – أي نقد الرجال – ابن حقيقي للحضارة الإسلامية ، منها بدأت جذوره ، ويعد علماً دقيقاً جداً ، و العلماء المسل ن فعلاً قد اهتموا بنقد سلاسل الإسناد ، من أجل التأكد من صحة الأخبار المنقولة . وقَبول الصحيح منها ، ورفض المردود والتحذير منه ، تذكيراً بتحذير نبيهم ، كان هذا هو الهدف الأوّل والرئيسي .

4 أما بالنسبة لمصطلح " الكلالة " فإذا لم يستطع عمر الفاروق ﷺ ، العبقري ، المُحَدَّث[40] أن يفصل فيه ، ومعه الصحابا رضوان الله عليهم جميعً العرب الأقحاح حتى الثمالة ؛ أيفصل فيه المستشرق الأمريكي الأعجمي " دافيد س . بور " !

أما بالنسبة للنقطة الخامسة سوف نتركها لأركون ، لأنه زعم أنه سوف ينجز عملاً ، لم يعرف بورز وأساتذته أن ينجـ ، وذلك بدء بتحليل للأخبار التي أوردها الطبري في تفسيره ، لسورة النساء الآي 76 . فمـــاذا يقـــول بشأنها ؟

يقول أركـــون : سوف نكتفي إذن بذكر أربع روايات ذات أهمية ودلالة بالغة بالنسبة لبحثنا .

جاء في تفسير الطبري :

أ – " حدثني المثنى ، قال : ثنا سفيان بن عُيينة ، عن ابن المكندر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : مرضت فأتاني النبي ﷺ يعودني هو وأبوبكر ، وهما ماشيان ، فوجداني قد أغمي عليّ ، فتوضـ[641] رسول الله ﷺ ثم صبَّ عليَّ من وضوئه ، فأفقت ، فقلت : يا رسول الله كيف أقضي في مالي ؟ وكان لي تسع أخوات ، (و لم يكن له والد ولا ولد) ، قال : فلم يجبني شيئاً حتى نزلت آية الميراث (يستفتونك ، قل الله يفتيكم في الكلالة ... إلى آخر السورة . قال ابن المكندر : قال جابر : إنما أنزلت هذه الآية فيَّ . وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول : إن هذه الآية هي[642]

جابر : إنما أنزلت هذه الآية فيَّ . وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول : إن هذه الآية هي آخر آية أُنزلت من القرآن " .[643]

---

[640] – هذا حديث مروي عن أبي هريرة ﷺ : « لقدِ كان فِيمَا قَبلَكُمْ مِنْ الأمم مُحَدَّثُون فإنَ يَكُ فِي أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ **عُمَرُ** » أخرجه البخاري .

[641] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 46 – 47 .

[642] – المصدر نفسه ص 46 - 47 .

[643] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 46 - 47 .

ب - حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، قال : نزلت : (يستفتونك ، قل الله يفتيكم في الكلالة) والنبي في مسير له ، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان ، فبلّغها النبي ﷺ حذيفة ، وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه ، فلما استخلف عمر سأل عنها حذيفة ، ورجا أن يكون عنده تفسيرها ، فقال له حذيفة : والله إنك لعاجز إن ظننت أنَّ إمارتك تحملني أن أحدثك فيها بما لم أحدثك يومئذٍ ، فقال عمر : لم أرد هذا رحمك الله " .

وهناك رواية أخرى تفصل في الموضوع أكثر فتقول : " والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقّانيها رسول الله ، فلقنتكها كما لقانيها ، والله لا أزيدك عليها شيئاً ابداً . قال : وكان عمر يقول : اللهم إن كنت بيَّنتها له ، فإنها لم تُبيَّن لي " .

ج - حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمري . عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أن عمـــر بن الخطاب كتب في الجد والكلالة كتاباً ، فمكث يستخير الله فيه ، يقول : اللهمّ إن علمت فيه خيراً ، فأمضه ، حتى إذا طُعِنَ دعا بالكتاب فمحى ، فلم يدر أحد ما كتب فيه ، فقال : إني كنت كتبت في الجد والكلالة كتاباً وكنت أستخير الله فيه ، فرأيت أن أترككم على ما كنت عليه " .

د - حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال ثنا عمرو بن مرة الهمداني ، قال : قال عمر : ثلاث لأن يَكون النبي ﷺ يُبيِّنهنَّ لنا ، أحب إليّ من الدنيا وما فيها : الكلالة ، والخلافة ، وأبواب الربا " [644] .

بعدا هذا السرد للروايات ، شعر أركون بأنه تقدم نحو مرحلة ثانية ، ولا بد من توفير آلياتها ، فيقول متسائلاً كيف نقرأ هذه الأخبار ؟ كيف نحلّلها ونفهمها ؟

فيجيب : سوف نحترس أوّلاً فلا نطرح مشكلة صحتها أو عدم صحتها ضمن المنظور الذي[645] يمارسه النقد التقليدي أو الاستشراقي . وإنما سوف نقدم قراءة على درجتين أو مستويين : المستوى الأوّل يُعنىَ باكتشاف المعنى المباشر ويلخص البديهيات التي تفرض نفسها على الوعي الإيماني . وأما المستـــوى الثاني من القراءة فسوف يكون أكثر نضجاً وبلورة ، أو أكثر عمقاً .

---

[644] - المصدر نفسه ص 47 - 48 .

[645] – المصدر نفسه ص 50 .

نلاحظ أن أركون على المستوى الأوّل للقراءة ، أشار إلى أنه لخص بديهيات : كانت قد فرضت نفسها على الوعي الإيماني ، فما هي هذه البدهيات التي استخلصها من روايات[546] الطبري ؟ يجيب قائـــلاً : البديهية الأولى التي أوردها الطبري هي محاولته المستبسلة والضاربة لإبقاء كلمة " الكلالة " دون معنى ، أي العجز عن تحديد معناها .

وأما البد ; هية الثانية المستخلصة مباشرة فهي أن التفسير التقليدي للقرآن لا يتردد في حسم المشكلة التي يعترف من جهة أخرى بغموضها الكامل . (أي مسألة معنى الكلالة بالطبع)[647] .

وأما الب ة الثالثة التي نستخلصها فهي أن عمل المفسرين والقضاة قد حفر هوّة بين النظام التشريعي الذي قصده القرآن ، وبين النظام الفعلي المبلور والمطبَّق داخل إطار الدولة الخليفية ثم الدولة الإسلامية فيما بعد[48] .

---

[46] – أركون قال بأنه سوف يذكر بذكر أربع روايات ، ولكنه ذكر أكثر من ذلك ، وتجنباً للإطالة تركت الأربع روايات التي صرح بعددها ، ووضعت بقيتها على الهامش . وهي : هـــ – " حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبي يقول ، أخبرنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن الحسن بن مسروق ، عن أبيه قال : سألت عمر وهو يخطب الناس عن ذي قرابة لي وَرِث كلالة ، فقال : الكلالة ، الكلالة ، الكلالة ! وأخذ بلحيته ، ثم قال : والله لأن أعلمَها أحبَّ إليّ من أن يكون لي ما على الأرض من شيء ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « ألم تسمع الآية التي أنزلت في الصيف ؟ فأعادها ثلاث مرات » .

ونلاحظ أن هناك نوادر أخرى عديدة تستعيد الموقف نفسه ، الذي نجد فيه عمر وهو يلح على النبي لكي يحصل منه على معنى كلمة الكلالة . إنه يلح عليه بذلك إلى درجة أنه يثير غضبه وردود فعله الحادة . فهو يضع أصبعه على صدره أو على حلقه ويكرر له قائلاً : بأن الآية التي نزلت في الصيف كافية .

– حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام قال ، حدثنا الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : أخذ عمر كتِفًا وجمع أصحاب محمد ﷺ ، ثم قال : لأقضين في الكلالة قضاءً تحدَّثُ به النساء في خدورهن ! فخرجت حينئذ حيَّة من البيت ، فتفرَّقوا ، فقال : لو أراد الله أن يتم هذا الأمر لأتمَّه .

– هناك رواية أخرى تصور لنا عمر بن الخطاب وهو يخطب خطبة الجمعة ويقول بأنه لن يموت قبل أن يحل هذه المسألة المهمة جداً : مسألة معنى الكلالة . ولكن النبي كان يرفض دائماً أن يجيب على إلحاحه . **تنبيه** أحالنا أركون بعد هذه الرواية الأخيرة إلى مصدره بهذه الطريقة الطبري ، التفسير ، طبعة محمود محمد شاكر ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر ، الجزء الثامن ص 53 - 8؛ ثم الجزء التاسع) ، أن هذه الإحالة خاصة بالآية رقم 12 ، فلا توجد فيها هذه الروايات بل توجد في الآية 176 ، ' ص 132 وما بعدها . وكم أعتقد أن المقصود بها بالرواية (ز) ، هذا المتر : " حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة : أن عمر بن الخطاب خطب الناس يوم الجمعة فقال : إنيّ والله ما أدع بعدي شيئًا هو أهمّ إليّ من أمر الكلالة ، وقد سألت عنها رسول الله ﷺ ، فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها ، حتى طعن في نحري وقال :" تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء " ، وإن أعِش أقض فيها بقضية لا يختلف فيها أحدٌ قرأ القرآن " .

[647] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 31 - 33 بتصرف .

[48] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 34 .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ النساء .

يقول أركون هذه هي الآية (النساء 176) التي لما كان عمر بن الخطاب ﷺ يسأل عنها الرسول ﷺ : كان النبي يكتفي بإحالة عمر إليها في كل مرة يسأله عن معنى الكلالة[49] .

ويواصل أركون قراءته لهذه الآية ، قائلاً : ونلاحظ أنها تشرح الطريقة (طريقة الإرث) ولكنها لا توضح بالفعل معنى الكلالة . كل ما نفهمه منها أن المرء إذ يموت دون أن يخلف ورأءه طفلاً يمثل حالة من حالات الكلالة . وهذا ما يبرر قراءة فعل يُوَرث الوارد في الآية 2 من السورة نفسها بطريقة المبني للمجهول لا المعلوم[50] .

وهنا يتوجه أركون بسؤال مهم جداً ، وهو : إذا كانت الحالة المشروحة هكذا في الآية 176 تكفي لتوضيح معنى الكلالة ، فلماذا إذن يورد الطبري كل ذلك العدد الهائل من الحكايات الدالّ على قلق عمر ؟

فيما يخص الروايات الكثيرة التي يوردها الطبري ، فهذه طريقته في كتبه وليس في تفسيره فقط ، وأعتقد أنها منهجية متفق عليها كانت سائدة في عصره – تجميع العدد الهائل من الروايات – ، وكانوا يختلفون في درجة النقد لها . أمّا بالنسبة لقلق عمر بن الخطاب ﷺ ، أعتقد أن هذه الروايات تحتاج إلى إعادة دراسة ، سواء على مستوى السند أو المتن وما يتعلق بهما من سياقات .

وردت كلمة كلالة في القرآن الكريم مرتين في سورة النساء ، مرة في الآية 2 و الثانية في الآية 76 ، فمن الناحية المنهجية لو قام أركون بجمع الروايات المذكورة في الآيتين ، وهي تتكلم عن كلمة " ا ـ لالة " ، ثم بعد ذلك يحاول تحديد المعنى من هذه الروايات ، ولكنه لم يفعل ، لأنه كان محدداً مساره مسبقاً في هذه الدراسة .

فلما رَجَعْت إلى تفسير الطبري ، سورة النساء الآية 2 ، وجدت أن الروايات الخاصة بكلمة كلالة . فيها ثلاث آراء ، وهي : الكلالة معناها الميت والحي ، معناها ما خلا الوالد ، وأكثرية

---

[49] – المصدر نفسه ص 52 .

[50] – المصدر نفسه ص 53 .

الروايات ذكرت الرأي الثالث : الكلالة ما خلا الولد والوالد ، وقد ذُكر هذا [51] المعنى في خمس عشرة رواية ، رويت عن أبي بكر وعمر وابن عباس ، ... وفي رواية سليم بن عبد قال : « ما رايتهم إلا قد أجمعوا أن الكلالة الذي ليس له ولد ولا والد » [52] .

بعد كل هذا السرد المطول ، لم نصل مع أركون لمعنى كلمة كلالة ، الذي يريده هو ، مادام رافضاً لبقية المعاني ، فهو يقول : وهكذا نفهم كيف أن كلمة الكلالة يمكنها أن تظل بلا معنٍ محددٍ ، ويمكنها أن ترتبط بمجال الأسرار والغيوب التي لم يشأ الله أن يكشفها للإنسان . وهكذا نجد أن غموض معنى الكلمة قد أصبح شيئاً إيجابياً لا سلبياً [53] .

نلاحظ أن أركون قد انتابه قلق فكري كبير ، فلا قِبل بمعنى الكلالة كما جاء في التفاسير ؛ ولا أستطاع السكوت ، لذا فهو يقو ل : وذلك ليس فقط لأن مسألة الإرث كانت تشغل غالياً بال المؤمنين ، وإنما لأنه يبدو أن مكانة الكلالة تحدث وضعاً جديداً يؤدي إلى زعزعة نظام الإرث العربي السابق ! [54] .

هل يستطيع أركون تحديد معنى كلمة " كلالة " ؟

فيجيب : لقد كانت القراءة المرفوضة تتيح للميراث أن ينتقل إلى نسل النساء وخصوصاً إذا ما أعطينا كلمة كلالة معنى الكنة أو الخطيبة . لذا نجد من الضروري أن نرجع إلى نظام الميراث السائد في الجزيرة العربية في زمن النبي لكي نقارنه بالأنظمة السائدة في الأوساط العراقية والسورية في القرن الأوّل الهجري [55] .

إذا كان الإسلام ، جاء للعرب منذ بدايته بأشياء تزلزل هرمية المجتمع ، وأركانه ، مثل المساواة بين الرجل والمرأة ، تحريم الزواج من زوجة الأب ، وزوجة الابن ، وهذه قضايا لها علاقة وطيدة بالميراث والمال ، وكذا المساواة بين الأسياد وعبيدهم ، والولاء يكون على أساس الدين يدل على العصبية والقبلية ، ... أيعقل ألا يفصل في مسألة " الكلالة " ؟ ! . والمنهج القرآني معروف ، أن المجتمع آنذاك لما يتساءل عن حكم الشرع في بعض الأمور ، يجيبهم القرآن مباشرة ، و لم يثبت خلاف ذلك ، ومن بين هذه المسائل " الكلالة " .

---

[51] – ينظُر : تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل أي القرآن – ص 3 - 9 .

[52] – ينظُر : تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل أي القرآن – ص 3 - 9 .

[53] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 0 .

[54] – المصدر نفسه ص 2 .

[55] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 266 .

يقول أركون حسب زعمه أن الأسباب التي منعت عمر من تبيين معنى الكلالة ، خوفه من أن تحدث وضعاً جديداً يؤدي إلى زعزعة نظام الإرث العربي الذي اعتاد عليه : ومن هنا نفهم سر المقاومة والمعارضة التي تمنع عمر ، أي الشخصية الأساسية التي ركزت عليها الروايات ، من الكشف عن معناها الحقيقي [56] .

إذا كان عمر بن الخطاب ﷺ ، يخشى الناس ، ولا يراعي لله دينا ولا ملة ، فلماذا قام بهذه الأعمال الآتي ذكرها ؟

قضية أرض سواد العراق ، وقد كانت منبع مالي يدر على المجاهدين وأبنائهم ، فلماذا لم يخشاهم هنا ، ويترك لهم الأرض ؟

تسوية عربي من قريش (ابن عمرو بن العاص) ، بالشاب القبطي ، رُغم وجود ظاهرة تمييز العِرق العربي عن غيره ، التي كانت متفشية آنذاك ، حتى أن العلماء فيما بعد جعلوا من شروط الخلافة ، أن يكون الخليفة من قريش ... ونكتفي بهذه الشواهد ، ويبقى منها الكثير في سيرة عبقري مثل عمر الفاروق ﷺ .

- حرية كتابة الوصية للتوريث :

كتبت هذا العنوان ، استنتاجا من كلام أركون أثناء قراءته لهذه الآيات البينات :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقر 180 .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ البقر 181 .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ البقر 182 .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ البقر 240 .

يقول أركون : إن اهمية هذه الآيات تكمن في أنها تعترف بشكل صريح بحق كل مؤمن ليس فقط في حرية التوريث لمن يشاء ، وإنما بواجب التوريث عن طريق ترك وصية بأملاكه للأبوين

---

[56] - من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 62 .

وللأقارب وللزوجات ، أي لكل من لهم الحق في ورثته والذين يستطيع توريثهم بإرادته الصريحة أو حرمانهم من التوريث[57] .

هل العمل بهذه الآيات الأربع (180 - 182 ، 240 من سورة البقرة) بقي ساري المفعول ؟

يجيب أركون : هذه الآيات قد أُبطلت أو نُسِخت من قبل الآيتين (11 - 12 سورة النساء)[58] .

ولكن ما هو الدليل على نسخ هذه الآيات ؟

يجيب أركون : فإن المشرعين من البشر (أي الفقهاء) قد سمحوا لأنفسهم بالتلاعب بالآيات القرآنية من أجل تشكيل علم للتوريث " يتناسب مع الإكراهات والقيود الاجتماعية - الاقتصادية الخاصة بالمجتمعات التي اشتغل فيها الفقهاء الأوائل "[59] . والصحيح أن الوصية لا تزال يعمل بها ، بشروطها المعروفة ، التي وضعها الفقهاء .

هل يفهم من هذا أن أركون لا يقول بالنسخ ؟

يُجيبنا قائلاً : إن مصطلح النسخ موجود في القرآن بمعنى الإلغاء والإبطال . أنظر مثلاً الآية رقم (106) من سورة البقرة :﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ وأنظر الآية رقم (52) من سورة الحج : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[60] .

كما يوجد معنى آخر للنسخ ، وهو المعنى اللغوي ، وهذا الذي يذكره أر ـ ون قائـــلاً :

كما يوجد معنى آخر للنسخ ، وهو المعنى اللغوي ، وهذا الذي يذكره أركون قائـــلاً : كما أن مصطلح النسخ موجود في القرآن بالمعنى الحرفي للكلمة ، أي بمعنى الكتابة . تقول الآية رقم 29 من سورة الجاثية : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[61] بعدما ذكر لنا أركون معنيين للنسخ (الإلغاء والإبطال ، الكتابة) ، يذكر هنا نوعا آخر ، وهو الذي قال به علماء الأصول ، كما يقول : وأما المعنى الثالث لكلمة النسخ . والذي يعني استبدال

---

[57] - من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 56 .

[58] - المصدر نفسه ص 56 .

[59] - المصدر نفسه ص 57 .

[60] - المصدر نفسه ص 58 .

[61] - من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 58 .

نص بنص أو نص لاحق بنص سابق ، فهو ناتج عن مناقشات الأصوليين الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة نصوص متناقضة . وبالتالي فقد اضطروا لاختيار النص الذي يتناسب أكثر مع التوفيق وتحقيق الانسجام بين الأحكام الشرعية التي كانت قد حظيت بتثبيت الفقهاء الأوائل [62] .

هل القول بالنسخ أو المبالغة فيه ، له آثارٌ سلبية ؟

يجيب أركون : إن القَبول بمبدأ نسخ آية من قبل أخرى يؤدي إلى إثارة مشكلة تيولوجية مهملة من قبل الفقهاء . نقصد بذلك أن إبطال آية قر آنية معينة يفترض وجود تناقض في الأصل الذي تشكله كل آية بصفتها كلام الله . وبالتالي فينبغي تجنب هذا العمل بقدر الإمكان [63] .

وهنا يطرح أركون سؤاله قائلاً : كيف يمكن المسّ بكلام الله والمخاطرة بتغيير مقاصد الله نفسه وأوامرهِ عن طريق الاتكاء على أخبار هشة جداً وقابلة للنقاش ؟ [664]

ثم يواصل كلامه : ففيما يخص الآيتين رقم (80 و 240) من سورة البقرة نجده مؤكداً أنه لا القرآن ولا الحديث يحتويان على آية دلالة تسمح بالنسخ [65] أو بالإلغاء [66] .

إن الذين يقولون بالنسخ ، إضافة إلى ما استندوا عليه من القرآن ، يعضدون حجتهم بالحديث النبوي ، يقول أركون : نحن نعلم أن أنصار الإجماع المؤيدين لنسخ الآيتين (80 و 240) من سورة البقرة يستخدمون الحدذيث المشهور « لا وصيَّةَ لوارثٍ » من أجل تدعيم وجهة نظرهم [67] .

نلاحظ أن أركون ينتقل بنا من مرحلة إلى مرحلة تليها ، دون الإفصاح عن رأيه ، فما هو موقف أركون من كل هذا ؟

---

[62] – المصدر نفسه ص 68 .

[63] – المصدر نفسه ص 71 .

[64] – المصدر نفسه ص 72 .

[65] – ويقال بأن ابن عباس كان قد دافع في آن واحد عن الأطروحة التي تقول بالنسخ الكلي وتلك التي تقول بالنسخ الجزئي للآية 80 من قبل الآيتين 1 و 12) من سورة النساء . وأما المفسرون الآخرون كالضحاك والحسن البصري وطاووس فقد دافعوا عن الفكرة التي تقول بالتخصيص . وأما فيما يخص الآية 240 البقرة فإن المصادر القديمة التي استشهد بها دافيد س . بور " فتنقل لنا مجادلة حامية مقلقة جرت بين ابن الزبير والخليفة عثمان : ((قلت لعثمان بأن هذه الآية 240 المتضمنة في سورة البقرة قد نسخت من قِبل الآية 234 من السورة نفسها) ، فلماذا إذن نتركها في السورة ؟ . . . فأجاب عثمان : اتركها يا ابن أخي العزيز ، فو الله لن أحذف آية من المكان الذي حُدِّد لها) . المصدر نفسه ص 72 - 73 بتصرف .

[66] – المصدر نفسه ص 71 - 72 .

[67] – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 75 .

فيجيبنا : أما فيما يخصني شخصياً فإني لن أخاطر بنفسي بالإنخراط على تلك الأرضية التاريخوية التي أراد المستشرقون حبس المناقشة فيها . فدافيد س . بورز يعتقد بامكانية البرهنة على أن هذا الحديث المذكور ليس إلا حكمة قانونية لم تبتدئ بالسريان والانتشار إلا في الربع الأوّل من القرن الثامن الهجري (700 - 725 هـ)[68] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء 28[69] .

يقول اركون : وهذا النداء لجميع قوى الفكر الإنساني على أنه كائن ظلوم ، متقلب ضعيف[70] .

– الحقيقة والتاريخ :

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء[71] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ النسا 113[72] .

أركون يذكر أن الشافعي استشهد بالآيات الكثيرة حتى يثبت سيادة النبي ، وأن سلطته مستمدة من سلطة الله ﷻ ، فهو يقول : أن يكون الشافعي قد أحس بالحاجة إلى الاستشهاد بكل هذه الآيات التي تستعيد نفس الأفكار بنفس الألفاظ ، وأن يكون القرآن قد ألح إلى هذا الحد من أجل ربط سيادة رسول الله ومشروعيته بسيادة الكتاب المقدّس والحكمة ، فإن ذلك كله يبرهن لنا إلى أي مدىّ كان فيه المكّيون قد بقو متحفّظين تجاه الدعو ومناهضين له[73] .

ويواصل أركون في سرد أدلة الشافعي ، وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على حدة الصراع ، وعناد المشركين ، قائلاً : وهكذا تستم " البرهن " بمساعدة الآيات القرآنية التي تدعو إلى طاعة

---

[68] – المصدر نفسه ص 75 .

[69] – هذه الآية أشير إليها في الدراسة مع الآيات الآتية : إبراهي 34 ، البقر 30 فلا داعي للتكرار القراءة .

[70] – الفكر العربي ص 19 بتصرف .

[71] – تنبيه : خطأ في الآية (بالله ورُسُلِ) وليس رسوله) .

[72] – هذه الآيات (البقرة 29 ، 151 ، 231 – آل عمرا 64 – الأحزاب 34 – الجمع 2) تناولها أركون مع آيات النساء تحت عنوان الحقيقة والتاريخ .

[73] – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 76 - 77 .

الرسول وتربطها بطاعة الله[574] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النسا 59 ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ النسا 65[575] .

بعد الانتهاء من قراءة السور المدنية التي تناول منها أكثـــر من سبع آيات (البقرة ، آل عمران ، النساء) ، نلاحظ أن أركون تناول المواضيع الآتية : بالنسبة لآيات سورة البقرة ، أشار فيها إلى وظيفة النبوة ، السلطة والشرعية ، نحو إعادة توحيد الوعي العربي الإسلامي .

بالنسبة لآيات سورة آل عمران ، أشار إلى موضوع الربا ، حنفية إبراهيم عليه السلام ، وأن الدين عند الله الإسلام ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكذا الحكمة وطاعة الله ورسوله .

بالنسبة لآيات سورة النسا ، أشار إلى الحكمة وطاعة الهك ورسوله ، والميراث والوصية ، وإلى ضعف الإنسان وجهله .

---

574 – إن عبارة { أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ } ذُكرت في القرآن الكريم طلب الطاعة لله ورسوله مقرونتين مع 11 مر .

575 – المصدر نفسه ص 77 .

المبحث الثاني : القراءة الحداثية للسور التي تناول منها أقل من سبع (7) آيات

أوّلاً : القراءة الحداثية للآيات المكية

سوف نتناول هنا آيات السور المكية ، التي تناول منها في كل سورة أقل من سبع آيات ، وهذه السور ، مذكـــورة بحسب ترتيبها في المصحف الشريف : الأنعام ويونس (الأنعام والملك) ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، النحل ، طه ، الأنبياء ، المؤمنون ، العنكبوت (والجاثية وفاطر) ، فاطر ، غافر ، الشورى ، الزخرف ، الجن ، القيامة .

1 - **آيات سورة الأنعام و يونس :**

- التعبير عن الوعي الأخروي :

من دلائل عظمة الخالق آياته الباهرة التي تحيط بالإنسان سواء كان يراها أم لا يراها ، وفي نفسه أكبر الآيات لو كان يعقل طبعاً ، ومن بين هذه المعجزات الأزمنة والأمكنة ، فكيف يكون حال الإنسان بعدمهما ؟

يجيب أركون : ينبغي أن نعود هنا ، كما كنا قد أعلنا سابقاً ، إلى دراسة مفردات المكان والزمان . لا شك في أننا نجد علائم على الإدراك الواقعي المحسوس بالشمس والقمر من مثل : كان الله قد ﴿ جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾ يونس ، ثم : إدراك النجوم ﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأنعام 97 . ثم نجد في القرآن مواقيت زمنية تتعلق بالعبادة . ولكن كل هذه الأشياء ليست إلاّ معطيات عملية تندرج ضمن إدراك شمولي للكون الزمن بالمعنى المطلق للاصطلاح [76] . هذا الإدراك هو الذي يفترض إن يعتقنا من الالتصاق بالأرض ، لنصبو نحو الآخرة ، من خلال أعمالنا الدنيوية .

- **آيات سورة الأنعام و الملك :**

الله ﷻ خلق البشر ، وكل إنسان خُلق لما يُسر له ، ولما ينظر هذا المخلوق إلى أمور تفوق إمكاناته وقدراته ، فهو ظلوم جهول ، وما يُعرف عن الغالبية الساحقة للخوارج أنهم أعـــراب بدو ، وقد عادوا بالآلاف لما حاورهم ابن عباس رضي الله عنهم . وهذا إلاّ لقلة علمهم ، وما يثبته التاريخ ، الفرقة الوحيدة التي يكاد لا يكون لها مؤلفات تحمل مبادئها وأفكارها ، لأنهم

---

[76] - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 204 .

اعتمدوا على السيف بدل العقل ، ولذلك فهي لغة ذلك العصر ، ولكن العقول هي التي كانت مبهمة ، أمّا أركون فيقول : وهذا يعني أن لغة ذاك العصر كانت مبهمة . فقد قاد الخوارج كفاحهم تحت شعار ' لا حكم إلا لله " ، وهو شعار يعرب عن وضع نُص عليه في القرآن غالباً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنعام57 . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الملك 2. ولكنه كان يقابل في الواقع ضروب التكافل العشائري الوثيق [77] .

2 - **آيات سورة هود** :

– الحقيقة والتاريخ طبقاً للقرآن :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هو 20 .

يستنتج أركون من هذه الآية الكريمة ، بحسب قراءته لها خمسة مفهومات ، في حركة تفاعلية بين أطرافها ، ألا وهي : القصص المنزل عليهم ، تثبيت فؤاد النبي ، الحقيقة ، الموعظة والذكرى ، المؤمنون ، ويشرحها ويوضحها كما يلي : هناك مفهومات خمسة تتيح لنا أن نوضح كيف أن هذه الآية تحيل إلى نوع من الاستخدام الأسطوري للتاريخ ، واستخدام تاريخي للأسطورة .

القصص التي تخصّ الأنبياء : تُعدّ القصة الشكل النموذجي الأمثل للتعبير عن الفكر الأسطوري .

2 . تثبيت فؤادك : يعني هذا التعبير ضمن السياق القرآني تقوية (وترسيخ) الموقف العاطفي من أجل تلقي الصور المثالية والتقديمات والتحديدات والأوامر والنواهي الموجهة من قِبَل الله .

ؤ . الحقيقة " الحق بلغة القرآن " : الله كما يبتدئ هو نفسه من خلال كلامه ، إنه هو إذن الذي يكشف عن نفسه (أو يكتشف نفسه) في القصص القرآني عن طريق الفعل الذي يمارسه على الأشخاص وسير الأحداث . لكن ، في ما يخص السامعين المعارضين (من أهل مكة) لهذه القصص القرآنية ، فإن هذا المفهوم للحق يتخذ معنى المماحكة الجدالية [78] .

---

577 – الفكر العربي ص 32 .

578 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 30 – 31 .

موعظة وذكرى : يفترض هذان المفهومان وجود زمن مثالي منسجم وثابت هو زمن القيمة الخالدة . ذلك أن القصة أو (الحكاية) توجه اندفاعة القلب وحماسته نحو معانٍ ماضية ، ولكن هذه المعاني تبقى مسايرة لحاضر الإنسان ولمستقبله . . . إن إعادة التذكر (عن ظهر قلب) لماضٍ كهذا تتخذّ عندئذ أهمية أونطولوجية بشكل أساسي ثم , تاريخية بشكل ثانوي .

5 . المؤمنون : لهذا المفهوم قيمتان تبينان إلى أي مدى يمكن للتاريخ والأسطورة أن يتداخلا . إذ طبقاً للهدف القرآني الأساسي ، فإن هذا المفهوم يحيلنا إلى مفهوم الأمة ، أي الأمة الروحية للمخلوقات البشرية التي كانت قد لِمسَتْ من قبل الحقيقة (الحق = الله)[79] .

هذه المفهومات التي ذُكرت في هذه الآية الكريمة ، هي حقائق ثابتة وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تتحوّل ، حُطب بها النبي محمد ﷺ ، ليتخذ من سِير إخوانه الأنبياء عليهم السلام نماذج يقتدي بها .

3 - آيات سورة يوسف :

- وضع تفسيري :

تحت هذا العنوان بدأ قراءته للآية الثانية من سورة يوسف عليه السلام ، وبدل من أن يبحث عن أصل كلمة التفسير ، كما فعل المفسرون ، ذهب إلى ما يقابلها في اللغة الإغريقية ، وربما السؤال الملح هنا ، هل يجب تطوير اللغة العربية (وهي لغة كتاب سماوي معجز بواسطة حروفها) ، أم أن الإنسان العربي هو الذي يجب عليه إن يتطور إلى مستوى لغته ، ولا يرهقها ؟

قد يجيبنا أركون عن ذلك ! : إن كلمة التفسير باللفظ الفرنسي تصدر عن الكلمة الإغريقية المقابلة الدالة على معنى الشرح أو التفسير . ففي إثر التوراة والأناجيل جاء القرآن بوضع تفسيري باللغة العربية : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف 2[80] .

إن الشعوب غير العربية التي تدخل في دين الله ، فمن خلال لغتها ونمط فكرها ، وتفاعلها مع اللغة الدينية للقرآن . سوف يحدث نمو وتطور ، على مستوى اللغة والفكر ، وهذا الذي يريد أن ينبه إليه أركون قائلاً : هذا اللقاء بين لهجة خاصة وبين الفكر الديني السامي سيقود إلى طراز جديد من ممارسة فعل التفهم . وفي الواقع ، إن جميع الضمائر التي تلقت الدعوة العربية على

---

[579] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 31 – 132 .

[580] – الفكر العربي ص 55 .

أهـ[81] كلام الحقيقة ، ستقرر في صدد معنى الواقع بدءًا من تفسير النصوص القرآنية . وسيحدث منذئذٍ توسع مدهش في عالم دلالات اللغة العربية[82] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يوسف { .

ذكر أركون ما وقع ليوسف مع أخيه وبيعه لعزيز مصر كما هو معروف في التفاسير . حيث يقول : عندما كان يوسف لا يزال طفلاً هجره إخوته وتركوه في قاع بئر . بعد ذلك وجده رحَّالة وأنقذوه ثم باعوه إلى أحد المصريين . عندها أصبح مثالاً للرجل الحر الذي ليس له نسب ولا عصبية قبلية . يضاف إلى ذلك أنه قد قذف في مجتمع غريب عن مجتمع آبائه . وهذا التعبير الأخير ما هو إلاّ كناية عن الثقافة وهوية الذات في مقابل الآخر . إن الامتحانات التأهيلية = (أي لمعرفة مدى صلابة يوسف وهل هو كفؤ أم لا) التي فرضت على البطل (يوسف) توضح لنا أربع حقائق تأسيسية خاصة بالشخص الحر[83] .

4 - آيات سورة إبراهيم :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ إبراهيم 32 - 33 .

يتكلم أركون هنا على الأزمنة الثلاثة ، زمن الحياة الدنيا ، وزمن الحياة البرزخية ، ولا يعلم أجلهما إلا علام الغيوب ، وزمن الآخرة (الأبدي) ، لذا فهو يقـــول : لإدراك المكان الملمح إليه ، إن المقال القرآني يحيل على ثلاثة أزمنة متسلسلة يعضها فوق بعض ، زمان هذه الحياة المباشرة أو الزمن القصير الذي يختبر فيه الله الإنسان ، ثم زمان الموت ومدته غير محددة ، وزمان الحيا السرمدية التي تتطلع إليه الخليقة كلها[84] . فالله تعالى من رحمته ﷻ ، أنه لم يترك البشرية ، دون تتالي الأنبياء عليهم السلام ، مقدمين لهم الهداية الربانية ، التي كانت تقابل بالرفض لدى

---

[581] - المصدر نفسه ص 35 - 36 .

[582] - الفكر العربي ص 35 - 36 .

[583] - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 122 .

[584] - المصدر السابق ص 38 .

الكثير من الناس ، واعتقد أن هذا هو حاصل قول أركون هنا : إن المكان والزمان يتوضعان كلاهما في الإطار المشخص للميثاق الذي ، منذ بدء الخلق ، يجعل الله والإنسان في وضع منظور متبادل . وإنما يأتي كلام الله بوجه الدقة ليذكر بطرز ومطالب هذا المنظور المتبادل وذلك على فترات زمنية تطول أو تقصر فترة أو دارة النبو ، [685]

5 - **آيات سورة النحل** :

- مفهوم العقل في القرآن :

هذه الدراسة تعد نوعا من التفسير الموضوعي ، قام فيها أركون بإحصاء كلمة العقل ، حيث جاءت بصيغة تعقلون ، ويعقلون) ، واستنتج ثلاثة مفاهيم أساسية ، يقول أركون : إن كلمة واحدة هي العقل تدل في اللغة العربية على ثلاثة مفاهيم أساسية متباينة : العقل ، العقل النظري أوالناظ) ، والعقل العملي أوالمنظو . وهذه الكلمة لا تتدخل على هذا النحو في القرآن حيث نكشف ، بالمقابل ، عن تسعة وأربعين استعمالاً لفعل (عَقَلَ ، [686] .

والسؤال الذي يطرح بناء على ما تقدم ، هل العقل يعتبر ملكة محدودة ؟

يجيب أركون قائلاً : فهذا يعني إذن فاعليته ولا يدل على ملكة محددة . ومن الجلي أن هذه الفاعلية يُعرب عنها في أفعال ضمن جمل من بنية مماثلة . مثال ذلك : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ النحل 11 ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النحل65 . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النحل3. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنعام 98 ... إلخ [687] .

نلاحظ أن أركون أشار في سورة النحل إلى ثلاث آيات 1 ، 2 ، 13) بثلاثة أفعال (يُنْبِتُ ، سَخَّرَ ، ذَرَأَ) لها علاقة وطيدة بممارسة العقل لنشاطه ، لذ أشار قائلاً : ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [688]

---

[685] – الفكر العربي ص 38 .

[686] – المصدر نفسه ص 38 .

[687] – المصدر نفسه ص 38 - 39 .

[688] – المصدر نفسه ص 39 .

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النحل 89 .

لقد لاحظنا أن كل فعل له ملكة خاصة به في هذه الآيات ، هل هذه الملكات تعمل مع بعضها في آن واحد ، أم هي تعمل مجزأة ؟

يجيب أركون : هذا يدل على أن (عَقَلَ) تشير إلى فاعلية غير مجزّأة تستخدم نشاط الأذن والعين والعاطفة والذكرى والتعرف والاستبطان والنفاذ . وهو يشير إلى سبيل تيقظ وإقامة بنية ضمير نفسي تام الاشتداد يتطلع إلى إدراك حقيقة سابقة له ، أساس أنتولوجي (لا هوتي) بدونه يتعذر فهم حاضر الإنسان والعالم 90 .

- الانقسام : مؤمنون / كافرون :

يضرب الله ﷻ مثلاً مخاطباً به العامل الأوّل - النبي ﷺ - للتثبيت ، وللعامل الثاني أهل مكة - وذلك للتذكير ، والتخويف ، وأن الإيمان بالله الرزاق ، يضمن الرزق للمؤمنين ، فأركون يقول : في الوقت الذي يشار فيه إلى المجاعة بشكل أكثر صراحة ، فإن الحدث يدمج في المثال المألوف للمدينة التي عصت ربها فعاقبها ويفقد بذلك صفته التاريخية لكي يتخذ شكل العبرة أو العظة غير المرتبطة بزمن محدد : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ النحل 112 91 .

أركون يعيب على المفسرين ، بعدم المحافظة على اللغة المجازية الرمزية للقرآن الكريم ، والهبوط بتساميه من خلال محاولة شحن النص بالوقائع والأحداث ، المرتبطة بالزمان والمكان ، قائلاً : من الممتع أن نلاحظ أن الشارحين والمعلقين الكلاسيكيين يتصرفون بطريقة معاكسة تماماً للخطاب القرآني ، ففي الوقت الذي يمارس فيه هذا الخطاب إلغاء التفاصيل المادية والتسميات الصريحة 692

---

689 - الفكر العربي ص 09 .

690 - المصدر نفسه ص 09 .

691 - جاء ترقيم الآية 111 ، والصواب رقمها 112 . والله أعلم وأعلى .

692 - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 151 .

والحكايات المحسوسة – الواقعية لكي يهتم ويفصل على كل ذلك تعددية معاني اللغة الدينية (أي المجازات الأمثال والحكم مفردات الخطيئة مفردات العمل العادل إلخ) ، نجد علم التفسير الكلاسيكي يضاعف من المطابقات بين الأسماء الصريحة للأشخاص والأمكنة والتدقيقات الزمنية ، وإعادة تشكيل الظروف[693] ، التاريخية لأسباب النزول[94] .

5 - **آيات سورة طه :**

- الحكاية الأسطورية :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ طه . يقول أركون فيما يخص معاناة صفوة الخلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع البشرية :

إن التذكير بنضال الأنبياء وانتصاراتهم ومقاومة الشعوب العاصية وفشلها ليس إلاّ نوعاً من إعادة تنشيط الحالات النموذجية القصوى لزمن مطلق نسبي تأسيسي ، ولكن من أجل إدراك هذه القيمة النموذجية فإنه يلزم على الوعي أن يخترق الحياة والموت ، والخلاص واللعنة ، والفرح والحزن ، والأمل واليأس ، أي أن يخترق كل المفاهيم التي تتجاوز تفريقنا المعروف بين الواقعي والخيالي ، الصحيح والخطأ ، التاريخي والأسطوري ، الطبيعي والخارق للطبيعي ، ...[695] .

ومن خلال عنوان هذه الآية ، فالأسطورة هنا بمعناها الإيجابي ، كما نبه عن ذلك أركون فقَصَص الأنبياء كلها خارقة ، لأنهم أُيدوا بمعجزات باهرة[96] .

7 - **آيات سورة الأنبياء :**

أركون قام بعملية الإحصاء ، وهي من طرق التفسير الموضوعي ، بادئاً بقوله : لنتوقف أوّلاً عند الملاحظة الإحصائية التالية : وهي أن مفهوم الحق " يتكرر 287 مرة في القرآن مع أغلبية[697] واضحة للصيغة اللغوية حق " . أما المفهوم المضاد ، أي مفهوم الباطل " فيرد 50 مرة بالمعنى[698]

---

693 – يقول أركون : الطبري يورد أن أبا سفيان ربما قد ذهب إلى عند النبي لكي يقول له : " أنت تدعي أن الله قد جعلك رحمة للعالمين ، في الحقيقة أنك تقتل رجالنا بالسيف وتجعل أطفالهم يموتون من الجوع ". الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 151 .

694 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 151 .

695 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 204

696 – يُنظَر : إلى تعريف الأسطورة في مبحث المصطلحات .

697 – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 162 .

698 – المصدر نفسه ص 162 .

الذي تحتويه الآية [699] التالية : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الأنبيا 18 [00] .

الحق هو الأمر الثابت الذي لا شك فيه ، وهو ضد الباطل ، والحق اسم من أسماء الله الحسنى ، وكل ما عداه من الموجودات فهي موجودة بإيجاده لها ، يقول أركون : إن الحقّ هو الله ذاته وكل ما يندرج داخل إرادته الخلاقة وقدرته التنظيمية . وكل ما يحاول أو من يحاول أن يفلت من هذه الإرادة أو يعارضها فهو باطل ، وخادع ، وعابر [01] .

الحق يصدر عنه إلا الحق ، وخلاف ذلك فهو باطل ، وعابر ، ويذهب جفاء . والحق يمكث ، لذا يقول أركون : فإن سرد قصة بشكل حقيقي يعني بالضرورة إدراجها أو دمجها داخل الفضاء الأنطولوجي للحق [02] .

ماذا يقصد أركون بالفضاء الأنطولوجي ؟

فيجيبنا : بمعنى أن شخصيات القصة ، وتصرفاتهم ، والأماكن الوارد ذكرها ، والأقوال المتبادلة ، كلها أشياء صحيحة بحرفيتها . فالله لا يمكنه أن يستخدم الخرافات أو القصص الخيالية لكي يكشف عن أسراره ويبلّغ أوامره وإرادته للبشر . وبالتالي ، فإن المفسِّر الخاضع لمطلق الحق لا يستطيع إلاّ أن ينفتح على المعطيات " التاريخية " ، و " الجغرافية " الشائعة في تراث الشرق الأوسط [03] .

٤ - آيات سورة المؤمنون :

- المسار العكسي للخطاب القرآني و العقل الإسلامي :

تحت هذا العنوان ، أشار أركون لهذه الآيات : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي

---

[699] - عند تتبع كلمة الحق في المصحف الرقمي : وجدتها مذكورة 272 مرة ، أما كلمة الباطل وجدتها مذكورة 21 مرة فقط ، والله أعلم وأعلى .

[700] - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 162 .

[701] - المصدر نفسه ص 162 .

[702] - المصدر نفسه ص 162 .

[703] - المصدر نفسه ص 162 .

طُغۡيَٰنِهِمۡ[704] يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ المؤمنو . بعدها ذكر بأن السلطة السياسية : التي كانت في طور الظهور والتشكل[05] راحت تبحث عن سند أو دعامة لها في السيادة العليا للإلـ[06] .

نلاحظ أن المشركين قست قلوبهم ، إلى درجة حتى لو رفع الله ﷻ عنهم ما أصابهم من قحطٍ وجدبٍ ، لعادوا إلى ما نُهوا عنه ، يقول أركون : إن التدخل الفعلي للإله في التاريخ (مثلاً حبس المطر ، إرسال الكوارث والنكبات للشعوب التي عصته ، ...) منتظر ومتوقع كأنه حدث طبيعي ونظامي ، لكن في الوقت نفسه متعالٍ ، وبالتالي فهو إجباري (قسري)[07] . لأن المشركين طلبوا البراهين والأدلة ، وقد تحققت لهم و ولكن مع هذا كان العناد وتجاوزهم الحد .

9 - آيات سورة العنكبوت و الجاثية و فاطر :

- موقف المشركين من ظاهرة الوحي :

بهذا العنوان ، ذكرت الآيات[08] : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ العنكبوت 47 .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الجاثية 16 - 17 .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ﴾ فاط 31[09] .

10 - آيات سورة فاطر :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاط 28 .

---

[704] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 150 .

[05] - ينظر في هذا السياق أيضاً ك تفسير الآية 12 من سورة الإسراء .

[706] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 150 .

[707] – المصدر نفسه ص 151 .

[708] – تفاديا للتكرار ينظر مواضع الآيات التالي : (النساء 50 و 32 ، البقرة 33 ، الفرقان 1 – 3 و 21 و 50 – 33 ، الإسراء 13 – 14 ، النجم 1 – 7 . تجنباً لتكرار يُنظر إلى آيات الفرقان ، والإسراء ، تقدمت قراءتهم في هذا المبحث .

[709] – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 13 – 14 .

إن الأمة الإسلامية كانت وتكون خير أمة ، عندما تلتزم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن الأمة سوف تسأل على عدم أخذ دورها الريادي ، ولعب دورها الحضاري ، يقول أركون : إن المجتمعات الإسلامية المعاصرة لن تنجو من هذا الانحراف الأيديولوجي للعلم ، إننا نجد أن هذه المشكلة تطرح نفسها بحدّة على تلك المجتمعات الإسلامية التي حصلت حديثا على نوع من القوة المالية التي لم يسبق لها مثيل[10] .

11 - آيات سورة غافر :

- تاريخ النجاة الأخروي والتاريخ الواقعي الأرضي :

لماذا يركز أركون على تحليل دراسة التاريخ الواقعي الأرضي ؟

فيجيب : لأنه هو الذي يقدم لنا كل قواعد الحذر ونقاط الارتكاز الصلبة والوسائل التي تمكننا من كشف كل التلاعبات الإيديولوجية بالماضي ، إضافة إلى كل التركيبات اللاهوتية التعسفية . باختصار ، فإنه هو الذي يقدم لنا كل الترسانة النقدية الخاصة بالمعرفة التاريخية الإيجابية (أو الواقعية الأرضية . ولكن ينبغي أن نكون حذرين حتى فيما يخص المعلومات والتحليلات[11] .

ما المقصود بتاريخ النجاة ؟

يُجيبنا : مفهوم تاريخ النجاة فهو مسيحي أساساً . وقد وضعته التيولوجيا الكاثوليكية ثم البروتستانتية في قلب التعاليم والعقائد التي تشكل الإيمان المسيحي . فالنجاة في الدار الآخرة هي الموضوع الأساسي للأمل أو الرجاء[12] .

قام أركون بدراسة تفسيرية موضوعية ، كما نلاحظ في هذه الآية دعوة الرجل المؤمن والإشفاق على قومه بأن يدعوهم لما ينجيهم ، وهم بالمقابل يدعونه للنار ، يقول : فيما يخص الإسلام نلاحظ أن الكلمة القرآنية التي تقابل مفهوم الخلاص في المسيحية هي كلمة : النجاة . وقد ذكرت مرة واحدة في القرآن في سورة غافر ، الآية 41 : ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾ ولكن هناك صيغ أُخرى من الفعل نجو ، وقد وردت في القرآن[713]

---

[710] - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 136 .

[711] - من فيصل التفرقة إلى فصل المقال - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ص 30 .

[712] - المصدر نفسه ص 32 .

[713] - المصدر نفسه ص 32 .

(35) مرة ولكن بمعنى الخلاص من خطر قاتل [14] .

12 - آيات سورة الزخرف :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ ﴾ الزخرف - أ .

يبدأ أركون بذكر بعض أسماء القرآن الكريم ، قائلاً : ولا بدّ من الإشارة إلى أن للقرآن الكريم أسماء أخرى مثل « الكتاب » ؛ « الكتاب المُنزَل من السماء في ليلة القدر » ؛ « الذكر » ؛ ... [715]

كما يشير إلى أن مصطلح مفهوم " أم الكتاب " يُعد مفهوم جوهري ، من أجل فهم أعمق لوضع القرآن الكريم ، قائلاً : إن مفهوم « أم الكتاب » ، العليّ ، والحكيم ، والمحفوظ لدن الله ، مفهوم جوهري أيضاً من أجل تحديد أفضل لوضع القرآن الكريم . إنه بلاغات منطوقة بلغة عربية ، توضح للناس بجلاء ، الحقائق والوصايا التي يشاء الله أن يذكر بها محمداً ﷺ ، كما فعل مع الأنبياء السابقين ، ومع قوم مسرفين » [16] .

يصوّر لنا أركون مستويات دلالة القرآن الكريم ، ومستوى عمله : من هذا خلال المخطط :

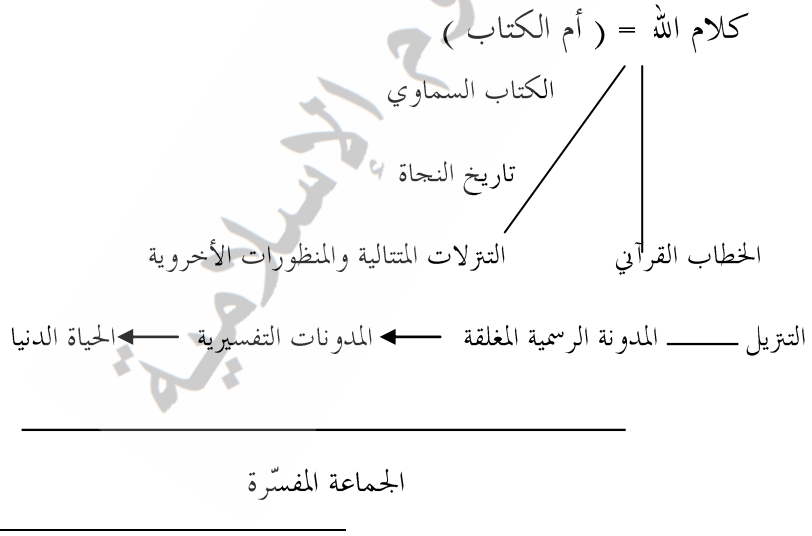

[714] - من فيصل التفرقة إلى فصل المقال - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 32 .

[715] - المصدر نفسه ص 53 .

[716] - المصدر نفسه ص 55 .

وضعنا على : المستوى العمودي : – رمزية التنزيل والصعود نحو التعالي – الحركة التي يعلن الله بها للناس جزءاً من الكتاب السماوي[17] .

المستوى الأفقي : حركة الحياة الدنيا ، والعمليات البشرية التي تقود من الخطاب القرآني (البلاغ الشفهي من الرسول في مواقف استدعت الخطاب – أسباب النزول – ولن تُنقل جميعها بأمانة إلى المدوّنة الرسمية المغلقة ثم هذا كله إلى المدونات التفسيرية ؛ أي التفسيرات العديدة التي دوّنها شتّى المفسّرين[18] .

13 - آيات سورة الجن

– " العجيب " الخلاب في القرآن :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ الجن .

بعدما تكلم أركون عن العجيب المدهش في الفلسفة والأدب من خلال الأساطير ، حيث أن الأمر يتعلق بإلحاحات العقل الذي يعترف بعجزه على إدراك العلاقة التي تربط بين الأسباب والنتائج ، يقـــول : هل تسمح لنا الملحوظات والإضاءات السابقة بأن نتحدث عن العجيب المدهش في القرآن ؟ يجيب : نعم . ضمن مقياس أننا نمتلك فيه بعض الإشارات (والدلائل) التي تمكننا من[19] استكشاف الوجود الاحتمالي لطراز معين من العجيب المدهش[20] .

إن التحليل الألسني لا يزال عاجزاً عن التعامل مع اللغة الدينية عموماً ، والعجيب الخلاب المدهش على وجه الخصوص ، لذلك يعرف أركـــون قائـــلاً : ولكن تظل أمامنا صعوبة كبرى لا يمكن تجاهلها . تتلخص هذه الصعوبة في أننا عندما نتحدث عن العجيب المدهش في القرآن ... فإنه ينبغي أن نعترف بأنه لا تزال تنقصنا الألسنيات وعلم الدلالات الملائم (سيميوتيك) من أجل أن نحلل بدقة لغةً كهذه[21] .

14 - آيات سورة القيامة :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة 16 – 17 .

---

[717] – نافذة على الإسلا ص 5 .

[718] – المصدر نفسه ص 5 .

[719] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 89 .

[720] – المصدر نفسه ص 89 .

[721] – المصدر نفسه ص 90 .

يبدأ أركون ، بتعريف معنى القرآن الكريم من الناحية اللغوية ، وأن معناه لغة يعني التلاوة . حيث يقول : لنبدأ أوّلاً بمعنى كلمة قرآن . فهي مصدر لفعل « قرأ » وهذا المصدر يعني في القرآن ذاته « التلاوة » لأنه لا يفترض نصاً مكتوباً عند أوّل تبليغ من محمد ﷺ له [22] .

يشير أركون هنا إلى أن كيفية قراءة القرآن الكريم ، أمرٌ توقيفي[23] ، ثم بعد ذلك يقول أن علماء الإسلاميات يقول بأعجمية لفظة القرآن ، مما يجعله يحبذ إطلاق خطاب قرآني بدل نصّ قرآني في المرحلة الأولى[24] من تبليغ النبي ﷺ ، لذلك يقول : الكثير من الآيات تلحّ على ضرورة أن يتقيّد النبيّ ﷺ في تبليغه للآيات ، بالتلاوة أو القراءة التي سمعها . ويقترح علماء اللغة المستشرقون أصلاً « سريانياً أو عبرياً لكلمة قرآن » . . .. ومن أجل ذلك نؤثر أن نتكلم عن خطاب قرآني لا عن نصّ قرآني في المرحلة الأولية من تبليغ النبي ﷺ ل[25] .

خلاصة القراءة الحداثية للسور المكية التي تناول منها أقل من سبع « ٧ » آيات . لاحظت أن أركون تناول فيها عدة مواضيع بعُجالة ، واعتقد أن قصده التنبيه إليها ، لا أكثر ، ففي آيات سورة الأنعام و يونس ، تكلم أركون فيها على التعبير عن الوعي الأخروي ، وأن من دلائل عظمة الخالق آياته الباهرة التي تحيط بالإنسان . أمّا آيات سورة الأنعام و الملك ، ذكر فيها الخوارج كفاحهم تحت شعار " لا حكم إلا لله " ، ولكن هذا الشعار كان يقابل في الواقع ضروب التكافل العشائري الوثيق . وفي آيات سورة هود ، ذكر بأن القصة تُعدّ الشكل النموذجي الأمثل للتعبير عن الفكر الأسطوري . من خلال هذه النقاط : تثبيت فؤادك الحقيقة " الحق بلغة القرآن " ، موعظة وذكرى المؤمنون . وفي آيات سورة يوسف ، تكلم فيها عن معنى كلمة التفسير باللفظ الفرنسي تصدر عن الكلمة الإغريقية المقابلة الدالة على معنى الشرح أو التفسير . أمّا آيات سورة إبراهيم ، تكلم أركون هنا على الأزمنة الثلاثة ، زمن الحياة الدنيا ، وزمن الحياة البرزخية . وفي آيات سورة النحل ، تكلم عن مفهوم العقل في القرآن . وفي آيات سورة طه ، تكلم عن الحكاية الأسطورية ، ومعاناة الأنبياء ونضالهم المرير مع أقوامهم . أمّا آيات

---

722 – نافذة على الإسلام ص 53 .

723 – في مواضع كثيرة لا يقول أركون بتوقيفية التلاوة للقرآن الكريم .

724 – أركون يلمح من كلامه هنا : على أن تدوين القرآن تأخر كثيراً ، على فترة نزوله ، وما كُتبت إلا آيات قليلة . !!

725 – المصدر نفسه ص 53 .

سورة الأنبياء ، تكلم فيها عن لفظي الحق والباطل وطبيعة ورودهما في القرآن الكريم . وفي آيات سورة المؤمنون ، تكلم عن المسار العكسي للخطاب القرآني و العقل الإسلامي . وبعدها ذكر بأن السلطة السياسية : التي كانت في طور الظهور والتشكل كيف راحت تبحث عن سند أو دعامة لها في السيادة العليا ، وأشار أيضاً إلى قسوة قلوب المشركين . أمّا آيات سورة العنكبوت و الجاثية و فاطر ، ذكر موقف المشركين من ظاهرة الوحي . وفي آيات فاطر ، تكلم عن المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وأنها لن تنجو من هذا الانحراف الأيديولوجي للعلم . وفي آيات سورة غافر ، تكلم عن تاريخ النجاة الأخروي والتاريخ الواقعي الأرضي وعلاقتهما ببعضهما البعض . وفي الزخرف ، يبدأ أركون بذكر بعض أسماء القرآن الكريم . أمّا آيات سورة الجن ، تكلم فيها عن " العجيب " الخلاب في القرآن . وفي آخر الآيات التي تناولها من سورة القيامة ، بدأ بتعريف القرآن من الناحية اللغوية ، وفي طريقة قراءته .

المبحث الثاني : القراءة الحداثية للسور التي تناول منها أقل من سبع (7) آيات
ثانياً : القراءة الحداثية للآيات المدنية

الآن و في آخر قسم لقراءة الآيات الأقل من (٧) سبع ، الخاصة بالسور المدنية الآتية : المائدة ، الأنفال ، الرعد ، النور ، الأحزاب ، الجمعة ، المنافقون .

1 - **آيات سورة المائدة :**

- الآخر في النصوص الكبرى لليهودية والمسيحية والإسلام :

بهذا العنوان ، أراد أركون أن يظهر صورة الإنسان في هذه النصوص المقدسة ، وهي كما يلي :

أ - « لا تفعل للآخر ما لا تحب أن يفعله لك . هنا تكمن الشريعة كلها . الباقي تفاصيل » تلمود بابل ، السبت .

- « وأحبب قريبك حبَّك لنفسك » (سفر الأحبار 19 18) .

والمقصود بالقريب هنا الصديق أو الصاحب أو الشريك . وهو لا يشمل فقط من هو قريبي ، أي اليهودي الآخر ، وإنما أيضاً الأجنبي غير اليهودي كما هو موضح لا حقاً :

« وإذا نزل بكم نزيل في أرضكم فلا تظلموه . وليكن عندكم النزيل المقيم في ما بينكم كابن بلدكم تحبُّه حبَّك لنفسك لأنكم نزلاء في أرض مصر » (سفر الأحبار 19 33) .

ب - « وكما تريدون أن يعاملكم الناس فكذلك عاملوهم » (إنجيل لوقا 6 31 . أو إنجيل متى : 7 12)[26] .

ج - قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائد .

- الحديث النبوي « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » أخرجه البخاري ومسلم[727] .

---

[726] - نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 313 .

[727] - المصدر نفسه ص 314 .

لقد استشهد أركون بهذه النصوص الدينية ، وهي تحث الإنسان على الحب والتسامي بإنسانيته ، اتجاه نفسه وأخيه الإنسان ، فهو يقول : لقد وضعتُ كل هذه الاستشهادات الدينية والفلسفية[728] عن قصد في مطلع دراستي[729] . وهي تمثل تراثاً طويلاً من التصورات عن الآخر ومن التركيبات الفكرية والاستقبالات والدمج للآخر داخل دائرة الأنا / الذات[730] .

كما نجد تلميحاً من أركون على معنى تلك النصوص من خلال تجربته الخاصة ، قائلاً : ولكن كان بإمكاني أن أتحدث بشكل محسوس عن المكانة التي احتلها الآخر داخل مساري الشخصي الوجودي منذ دخولي إلى المدرسة الابتدائية في قريتي تاوريرت – ميمون وحتى اليوم[731] .

2 – آيات سورة الأنفال :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنفال 21 - 22 .

– مفردات الإدراك (أو الإحساس = التحسّس) :

هذه الآية تتكلم على من يعرض عن الحق كما كان يفعل المنافقون يسمعون بحواسهم ، ولا يعقلون بقلوبهم ، مع أن الحواس والعقل هي وسائل الإدراك عند الإنسان ، لذا نجد أركون يقول : فإن أعضاء الإدراك (الإحساس) وآلياته هي عوامل مساعدة وضرورية لتشكيل وعي المؤمن وآليّة هذا الوعي ، هكذا نلاحظ أن كل المفردات المتعلقة بالحواس (عين ، أذن ، عمى ، صمم ، خرس ، ...) متكررة جداً ، ولكنها مستخدمة غالباً وهي مرفقة بقيمة مجازية[732] .

---

728 – كذلك ذكر أركون مع آية المائدة 48 ، هاتين الآيتين : ﴿ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة 177 . قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة 213 .

729 – يقول أركون : لم أورد الاستشهادات الفلسفية لأن موضوع الدراسة النصوص الدينية وحتى لا يتشعب الموضوع .

730 – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ص 317 .

731 – المصدر نفسه ص 317 .

732 – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 195 .

3 - آيات سورة الرعد :

- الإسلام والمجتمع :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ الرعد 33 .

يذكر أركون علاقة الدين بالمجتمع ، وكذلك يشير إلى كيفية إحداث التغيير ، والذي يتم بإرادة الله ﷻ ، فهو يقول : إن مفهوم التغيُّر - بحسب القرآن - ليس عائداً إلى لعبة القوى المتصارعة المختلفة والممكن معرفتها في المجتمع ، وهو ليس عائداً حتى إلى تلك الفئة العليا من الرجال المدعوين أنبياء أو حواريين أو مرسلين والذين يقودون الشعوب من عصر إلى عصر ، وإنما هو عائدٌ إلى الله نفسه الذي يزود كل نبي جديد بكتاب يمحو فيه أو يثبت الأوامر والنواهي المعتبرة أنها الخير كل الخير للبشر في هذا العالم وفي العالم الآخر[34] .

4 - آيات سورة النور :

- الحقيقة والتاريخ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ النور 48 – 51 .

تكلم أركون هنا على العقل الإسلامي ، وكيفية عمله ، كما تكلم عن الإمام الشافعي ، ومحاولته الباسلة بالأدلة النقلية والعقلية ، في إثبات أن طاعة الرسول من طاعة الله ﷻ ، فأركون نراه يحاول جاهداً التركيز على الآليات التي يعمل بها العقل الإسلامي ، فلماذا يا ترى ؟

يجيب أركون : - ي نقبض بشكل أ - ل على مفهوم العقل الإ - لامي ا - لاسيكي أو بالأحرى[735]

---

[733] - تحت هذا العنوان ومع هاتين الآيتين من سورة الأنفال ، أدرج أركون الآية ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة 255 . في الدراسة .

[734] - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 198 .

[735] - المصدر نفسه ص 31 .

لكي نحدده بشكل أفضل من الناحية الإبستمولوجي والاجتماعية والثقافية [36] .

هل بإمكان أركون أن يقوم بهذا المشروع ؟

يجيب : فإن مشروعاً كهذا مستحيل التحقيق ، أو بالأحرى فإنه ينبغي الشروع به باستمرار .

وهذا ما يترك المجال واسعاً وحراً للمبادرات الخلاقة وللتلاعبات الاستلابية على السواء [37] .

أركون يدرك جيداً أن طموحه هذا صعب التحقيق ، فما السبب في خوض كل هذه المعارك دون توقف ؟

يجيب مرة أخرى : إننا نأمل فقط ، فيما يخصنا ، أن نكون قد ساهمنا ولو قليلاً في الحدّ من نجاح الإيديولوجيات المدمِّرة عن طريق صياغتنا لهذه الإشكالية بشكل دقيق وصارم [38] . الواجب علينا في حقيقة الأمر ، بغض النظر عن كيفية عمل العقل أثناء الطاعة أو غيرها ، فطاعة الرسول ومحبته ﷺ واجبة وقُربة ، وهو أرحم بنا من أنفسنا .

– التنظيم المجازي (التشكيلة المجازية) :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ النو 35 [739] .

أركون كانت قراءته لهذه الآية الكريمة المعجزة ، بسؤال موجه إلى مؤيدي التفسير الكلاسيكي ، قائلاً : لن نتوقف طويلاً عند هذا المجاز الغني جداً والرائع . نريد فقط أن نلفت الانتباه إلى مشكلة تخص المشروعية فعلاً وهي : هل من المسموح أن نقرأ الآيات الموصوفة بأنها مباشرة وواضحة على مستوى الدلالات الحرفية اللفظية وأن مل المعنى المشع من المجازات المنتشرة على ـ دار [740] النص كله ؟ [741]

---

[736] – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 31 .

[737] – المصدر نفسه ص 101 .

[738] – المصدر نفسه ص 101 .

[739] – جاء ترقيم هذه الآية بـ 34 ، والصحيح رقمها 35 ، والله تعالى أعلم وأعلى .

[740] – الفكر الإسلامي – قراءة علمية ص 202 .

[741] – المصدر نفسه ص 202 .

لقد قام أركون بوصف القراءات الكلاسيكية بأنها متطرفة ، لأنها لم تعط للنص ما يستحق ، فهو يقول : لا يمكننا الإجابة بشكل حاسم عن سؤال كهذا عن طريق الاستشهاد بالموقف الإسلامي الذي كان قد مارس خلال عدة قرون بشكل متطرف القراءة الحرفية الظاهرية والقراءة الباطنية إننا نعتقد أنه ينبغي القيام باستعادة جديدة للمشكلة العامة المتعلقة بوظيفة المجاز في اللغة العربية [742] .

ز - آيات سورة الأحزاب :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ الأحزاب 59 .

هذه الآية كانت محل جدال ونقاش ، قديماً وحديثا ، وكل فريق يدعي امتلاك الفهم الصحيح وحده ، ولكن الذي يريد أركون إنكاره هو وصول هذه المناقشات ، وتباين وجهات النظر إلى حد الاتهام بالكفر ، قائلاً : وتحتدم المجادلات والمماحكات وتبلغ حد الاتهام بالكفر بخصوص آية معينة أو جملة معينة ، أو مفردة غامضة في آية من الآيات [743] .

ثم يستدل على كلامه بحادثة وقعت مع الشيخ يوسف القرضاوي ، قائلاً : وقد حاول المؤلف (يوسف القرضاوي) الذي تعرض لهجوم المناضلين المتطرّفين أن يعطي درساً في الاعتدال قائلاً بأن ما ينبغي فهمه من الآية هو الفكرة التالية : يجب على المؤمنات أن يخفين أجسادهن عن كل الأنظار الأجنبية ، وأن الوسيلة المستخدمة لهذه الغاية يمكن أن تختلف بحسب الأزياء النسائية وبحسب اختلاف الأزمنة . والسبب هو المعنى الغامض أو غير الدقيق لكلمة جِلْباب لا ريب في أن هذا الموقف أو هذا التفسير يُحقّق خطوة إلى الأمام باتجاه القبض على المقصد الحقيقي للمشرِّع [744] .

- الظاهرة القرآنية :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ الأحزاب 72 .

---

742 - الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص 202 .

743 - المصدر نفسه ص 108 .

744 - المصدر نفسه ص 108 .

سورة الأحزاب الآية 72 [45] ، سورة البقرة الآيات 30 ، 251 ، 36 ، التوبة الآية 3 ، سورة العصر . جاءت تحت عنوان الظاهرة القرآنية ، وقد دُرست في مواضع سابقة من الرسالة . فلا داعي لتكرارها .

- الحقيقة والتاريخ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الأحزاب 34 .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب 36 [46] .

هاتان الآيتان تحثان على وجوب الطاعة للرسول ومن ثم فلله ، يقول أركون بالنسبة للطاعة : تمثل أمراً إلهياً كُرِّر كثيراً في القرآن من أجل تثبيت هرم مراتبي ؛ حيث الرسول يمتلك سلطة التقويم والقرار بشرط إطاعته للأمر (أمر الله) ، أي الإلزام وتنظيم العوالم ، أو باختصار السيادة العليا والقوى الهائلة مجتمعين [47] .

5 - **آيات سورتي الجمعة و المنافقون :**

- اتجاهات " النهضة " :

أركون يتألم من خلال هذا الكلام الذي يحز في نفس كل مسلم ، يتألم لحال ما ألت إليه ' كنت خير أمة " ، لذا فهو يقول : لم هذا التخلف ، هذا العجز لدى شعب يعرف كلام الله بينما الكفار الذين ظلوا صماً عن الاستماع للوحي الأقصى قد حققوا ضروب تقدم رائعة جداً في ميدان الثقافة والحضارة ؟ لماذا ؟ إن هذا السؤال يعرب عن قلق ميتافيزيائي ويتطلب جواباً دينياً لدى عقول لا تتصرف من أجل حل لغز العالم والتاريخ إلا بلغة مثقلة بالأصداء المقدسة . ماذا ! ألم يقل الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ المنافقون 3 [748]

---

[745] – للاستزادة يُنظر : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ص 204 وما بعدها .

[746] – هاتان الآيتان : تمت دراستهما مع هذه الآيات في مواضع متقدمة : النسا 59 ، 65 ، 113 ، 171 و الجمعة 2 و البقر 129 ، 151 و آل عمرا 164 ، يُنظر : تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 76 وما بعدها .

[747] – تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 167 .

[748] – الفكر العربي ص 149 .

وكذلك : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة ؛ .

بعد ذِكْر هاتين الآيتين يلقي أر ـ و؛ باللائمة على المسلمين ، فلو تحملوا مسؤولياتهم مثل أسلافهم ، وصدقُ الله ، لمكنهم كما مُكِن لآبائهم في الماضي : إن كلام الله لا يمكن أن يكذّبه التاريخ ، ولا ريب في أن المسلمين قد نسوا معناه : يجب تحديد متى ؟ ؛ وكيف ؟ ، ولماذا ؟ .

وعلى هذا النحو يعود الموقف الإصلاحي إلى الولادة من جديد ، هذا الإصلاح أو الرجوع إلى الشكل الحقيقي الأصلي للتعليم الإسلامي[49] .

خلاصـــ هذه الدراسة ، نلاحظ من خلال السور الآتي سردها ، أن أركون قد تطرق إلى : سورة المائدة ، تكلم عن نظرة الأديان السماوية الثلاثة ، للإنسان وأنه ذلك الكائن الاجتماعي المتسامح . أما في سورة الأنفال عدد وسائل الإدراك والتي بها يتم التعقل ، وفي سورة الرعد ، حاول أركون من خلالها معرفة تكوّن العلاقة التكاملية بين المجتمع والدين ، ودور هذا الأخير في خلق الانسجام على مستوى الفرد والمجتمع . أما بالنسبة لسورة النّور ، أن طاعة الرسول ﷺ هي من طاعة الله ﷻ ، ثم محاولة مفهوم العقل الإسلامي الكلاسيكي ، وإشكالية فهمه من الناحية الإبستمولوجية والاجتماعية والثقافية ، وفي آخر قراءته لآيات هذه السورة ، طالب بالعودة إلى المجاز من أجل قراءة وفهم أعمق للقرآن الكريم ، أما سورة الأحزاب ، تكلم عن قضية الجلباب ، وفي آخر هذا الدراسة أثناء تناوله لآيات سورتي الجمعة والمنافقون ، عرَّج بحرقة المتألم على دينه وأمته نحو اتجاهات النهضة ، وأن مكمن الداء في المسلمين ، الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف .

---

[749] – الفكر العربي ص 49 .

خـاتـمـة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد الانتهاء من هذه الدراسة التحليلية النقدية لآراء الأستاذ محمد أركون ، عبر فصول هذا البحث المختلفة ؛ يمكن الخلوص إلى مجموعة من النتائج ، أُجْمِلُ ذِكْرَ أَهَمِّهَا في النِّقَاط الآتيـــة :

أوّلاً : **ما يتعلق بشخصية محمد أركون :**

1 - يُعَدُ محمد أركون من المفكرين البارزين في العصر الحديث ، و أحد أهم رواد القراءة الحداثية للقرآن الكريم .

2 - يُعَدُ صاحب مشروع ضخم ، حيث قسّمه إلى ورشتين رئيستين ؛ الورشـــة الأولى الخاصـــة " بنقد العقل الإسلامي " ، والورشـــة الثانية " علم الإسلاميات التطبيقية ".

3 - لقد عاش أركون طفولة بائسة ، ونشأ فقيراً ، كمعظم الجزائريين آنذاك ؛ بسبب الاحتلال الفرنسي ، الذي عمد إلى تجريد الجزائريين من كل شيء . إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة تعليمه وتكوينه العلمي ، حتى صار أستاذاً جامعياً ، يحاضر في العديد من جامعات العالم .

4 - نشأ في وسط ثقافي غـــربي ، فهو متشبّع منه حتى النخاع ، ثم ثقافته الثانية " العربية الإسلامية " التي كانت عصامية (أو اعتمد في تعلمها على أساتذة الاستشراق . ممّا ترك عنده بعض التشوهات الفكرية ، ومن ثم الشرعية .

5 - من الأسباب التي أثرت في أركون وربما كانت دافعاً لتفوقه ، التمييز الهرمي الذي كان سائداً في قريته " تاوريرت ميمون " معتمدا على عراقة الأسر . وكذا التمييز الفرنسي المطبق على السكان الأصليين .

6 - معاناة أركون في فرنسا ، مع علماء الاستشراق في المهجر ، حيث كان يسود علاقته مع بعضهم نوع من التوتر بسبب نظرتهم للإسلام والمسلمين ، فهو يبقى عندهم مسلما ، وربما أُتُّهم بالأصولية ، ومعاناته الثانية مع أبناء أمته حيث يُتهم بأنه يريد هدم الإسلام .

7 - يمتاز أركـــون بصبر كبير ، ونفس طويل ، وربما هذا يعود إلى نشأته ، التي صقلته ، فقد بقي يُلح في مشروعـــه منذ ميلاده سنة 1970 م إلى غاية وفاته 2010 م رحمـــه الله دون كلل أو ملل .

8 - يُعدُ متأثراً من الناحية العلمية ، بالعلماء الغربيين ، أمثال ميشيل فوكو ، إميل فنيسنت ، ريجيس بلاشير ، ... أمّا من الناحية الروحية فأعتقد أن توأم روحه كما يصفه هو ، أبو حيان التوحيدي . لأنهما يتشابهان في ماجنته عليهما مواقفهما .

ثانياً : **ما يتعلق بالمناهج المعتمدة لديه :**

1 - أركون متأثر بالمناهج الغربية ، إلى درجة أنه لا يرى بديلاً عنها ، ومتتبع لكل ما هو جديد على الساحة ، وهو يغترف منها بشراهة النهم الجائع ، دون شبع .

2 - المناهج الرئيسية التي طبقها على دراسته ، المنهج الألسني ، المنهج التاريخي (وخاصة علم النفس التاريخي) ، المنهج الأنتربولوجي .

3 - أركون لا يثق بصلاحية المناهج إلا بعد تجريبها . وأن تطبيقها على النصوص الدينية أحيانا تكون حَكَماً على صحتها أو بطلانها . ممّا يفهم عدم اكتمال ونضج البعض .

4 - أعتقد أن المناهج المطبقة من طرف أركون تحتاج إلى صقل ومراجعة ، حتى نأخذ منها ما يفيدنا ، وهذا ما فعله أسلافنا في الاستفادة من تراث الغير ، واستفادوا منه في التنظير لقواعد اللغة العربية ، وقواعد أصول الفقه ، ... إلخ .

5 - ومما عقّد من مهمة أركون ؛ استخدامه لمصطلحات صعبة ، وتزيد صعوبتها عند ترجمتها .

6 - هدفه واضح بالنسبة إليه ، وهذا ما جعله يكرر كلامه كثيراً في كتبه التي تجاوز عددها العشرين كتابا .

7 - يقول أركون إنَّ النصوص الدينية هي التي تفرض المنهج الذي أقرأها به ؛ وليس العكس .

8 - اختيار أركون في قراءته لهذه السور والآيات ، كان انتقائيا ، بهدف معالجة مواضيع معينة ولا تشتمل إلا على هذه العينات المختارة .

9 - أركون يقوم بنوع من العودة على مساره الفكري ، مستعيدا منطلقاته حين اشتغل على فكر التوحيدي ومسكويه ، وهذا ما يلاحظ في كتابه الأخير الذي صدر بعد وفاته .

ثالثاً : **ما يتعلق بآرائه في التفسير :**

1 - له طريقة في قراءته للقرآن وقد صرح عنها بوضوح ؛ وهي لا تخرج في جوهرها عما هو موجود في التراث الإسلامي وإن تغيرت العبارات ، باستثناء محاولته إبراز الأنسنة وكأنها حكراً عليه ، كما كان هذا المصطلح خاصا به وحده .

2 - لقد طبق القراءات الثلاث (الألسنية أو السيميائية ، التاريخية ، الأنتربولوجية) ، دون الإتيان بما هو جديد على التراث ، وكل القضايا التي تطرق لها ، مختلف فيها منذ القديم .

3 - استخدام أركون لبعض المسميات التي تعتبر غريبة عن أدبياتنا وتراثنا ، مثل عبارة المنطوقة بدل الآية ، المدوّنة النصية بدل القرآن الكريم .

4 - كما أعتقد أن أركون يريد محاكاة النهضة الأوروبية في كل مراحلها ، وهذا ما جعله ، يقول بأن القرآن دوّن متأخراً ، وأنه لم يتمَ الاتفاق حوله إلا في القرن الرابع الهجري (وأصبح نصاً مغلقاً) ، وفي حقيقة الأمر هذا ينطبق على الإنجيل الذي دوّن بعد عيسى عليه السلام ، بمدة تجاوزت النصف قرن بكثير ، وبعد وقوع اختلاف كبير بين الطـــوائف المسيحية ، وقعت المجامع المسكونية : مجمع نيقية سنة 325 م ، مجمع القسطنطينية سنة 381 م ، ... وهذه المجامع كلها في القرن الرابع الميلادي ، من أجل توحيد الصف المسيحي . لكن هذا لم يحدث عندنا . أمّا إذا كان مقصد أركون ليس النص القرآني وإنما يتعلق بالرسم ، من إضافة حركات ونقاط ، فهذا لا يتعلق بتثبيت النص نهائيا .

5 - نلاحظ أن أركون في مواضع كثيرة ، أثناء قراءته للآيات ، يقول أنه لا يمكن أن نفهم معناها الحقيقـــي إلا إذا موضعناها في سياقها الأول الذي صدرت فيه لأوّل مرة في مكـــةَ والمدينـــةِ ، أو أحياناً يطلب القراءة الطازجة مثلاً للفاتحة كما قُرأت من النبي ﷺ ، وهذا كمن رام المحال من الطلب ؟ !

6 - أركون في دراسته لا يستند على سبب النزول ، الذي يساعد على فهما وذلك بوضعها في سياقها الأول الذي صدرت فيه لأوّل مرة . و لا يذكر سبب النزول إلا إذا كان هدفه نقدي .

7 - أن النص القرآني كله ، تخترقه البنية السيميائية ، وأنه مسرح للأحداث ، بأشخاص فاعلين ثابتين يؤدون دورهم في النص القرآني .

8 - يقول أركون بعض السور تفيدنا في معرفة الواقع بصورة صحيحة ، وكيفية تشكل أحداثه ، مثل سورة التوبة والحجرات ، وقد حاول من خلالهما إثبات تاريخية القرآن الكريم . كما أشار إلى أن سورة التوبة نستفيد منها الدقة والخصوبة في دراسة البعد الأنتربولوجي ويقوم بإسقاطه على الواقع ، ومعرفة كيفية تشكل الجدلية الكائنة بين الثوابت الأنتربولوجية الثلاثة : عنف ، تقديس ، حقيقة .

9 - يعترف أركون بأن القرآن الكريم يمتاز بلغة مجازية رمزية رائعة ، محاولاً من خلالها معرفة الطُرق والآليات التي تكوّن الروابط بين الدين والمجتمعِ والواقع وتأثيرهم في التاريخ .

10 - أركون يقول أن التفسير الكلاسيكي لا يفرق بين الخطاب القرآني الشفهي ، و بين تحوله إلى نص مكتوب بين دفتي المصحف ، ولا يهتم ا يمكن أن ينتج عن ذلك . بالرغم من ذلك لم يقدم أركون ما يمكن أن ينتج من فرق بينهما .

11 - موقف أركون من التراث الإسلامي ، فهو لا يرفع من شأنه إلى القدر الذي يجعله يثبت له ما ليس فيه ، ولا يحط من قدره إلى درجة السكون عن الجوانب المضيئة فيه .

التوصيات والاقتراحات :

بعد هذه الرحلة المفيدة مع فصول هذه الدراسة التي تناولت آراء محمد أركون في التفسير والتي بلغ عددها تقريبا عشرون كتابا ، أزعم أنني خرجت ببعض الاقتراحات والتوصيات لعل أبرزها :

1 - ضرورة العناية بدراسة مواقف وآراء المفكرين المسلمين المعاصرين ، وخاصَّةً أولئك الذين لا يزال الغموض يكتنف بعض مواقفهم واختياراتهم ؛ لما في ذلك من كشف للبس الحاصل ، والتحقق مما يزعمه البعض .

2 - أوصي بمزيد من الاهتمام حول آراء محمد أركون في التفسير ؛ التي بلغ عددها تقريباً أكثر من عشرين كتاباً ، وكذا مواقفه في كثير من القضايا العامة .

هذا ما تيسر ذكره في هذا المقام ، فالحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ .

الفهارس

فهرس السور و الآيات و **الأحاديث**
فهرس المصادر و المراجع
فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس السور والآيات

السور - الآية أو طرفها	رقمها	الصفحة
السور المكية المتناولة كاملة		
سورة الفاتحة	1	67 - 68
سورة الكهف	18	89
سورة العلق	96	105
سورة العصر	103	115
سورة الإخلاص	112	121 - 118
السور المدنية المتناولة كاملة		
سورة التوبة	9	123
سورة الحجرات	49	130 - 123
السور المكية التي تناول منها آيات فما فوق		
سورة الإسراء	17	
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ 88		146
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ ... أَوْلَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ 106 - 107		147
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ 1		147
﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ 39		148
﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن ... أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ 93 - 94		149
سورة الفرقان	25	
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ... إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ 4- 8		150
﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾ 21		150
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ ... بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ 30 - 33		150
سورة الشعراء	26	
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ... ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ 104 - 120		151
سورة [illegible] رى	42	
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ 13		109
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ... مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ 7 - 8		187 - 139

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ 11		187
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ 38		187
﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ...إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ 51 - 52		188
سورة النجم	53	
﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . . . وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ 1- 7		50 . - 154
سورة المدثر	74	
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ . . . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ 8 - 20		156
السور المدنية التي تناول منه ٢٠٠ آيات فما فوق		
سورة البقرة	2	
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ 285		63
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ 285		116
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ 136		160 - 16.
﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ 251		160 - 16.
﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ البقر 255		140
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ 83		150
﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا ﴾ 275 - 276		157
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ ﴾ 30		158
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ 213		158
﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ 177		158
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ 31		159
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ﴾ 180		174
﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ ﴾ 181		
﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾ 182		
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ ﴾ 240		
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ 106		175
سورة آل عمران	3	
﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا ﴾ . 67		161

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ 130		161
﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ 132		161
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ 19		162
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ ﴾ 58		162
﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ 104		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٞ ﴾ 7		163
﴿ رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ ﴾ 159		187
سورة النساء	4	
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ 136		63
﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ 50		150
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ ﴾ 82		
﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ ﴾ 12		166
﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ﴾ 176		71 - 176
﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ 28		176
﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ 113		177
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ﴾ 59		
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ 65		
السور المكية التي تناول منها أقل من ٢٠ آيات		
سورة الأنعام	6	
﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ 162		109
﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾ 98		144
﴿ لِّتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ 97		179
﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ ﴾ 57		180
سورة يونس	10	
﴿ جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ ﴾ 5		179
سورة هـــود	11	
﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ 120		180

سورة يوسف	12	
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ 2		181
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ ﴾ 3		
سورة إبراهيم	14	
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ . . . وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ 32 - 33		182
سورة النحل	16	
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ 11		144
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ 65		
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ 13		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ...لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ 2 - 13		145
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ 112		
سورة طه	20	
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ﴾ 86		110
﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴾ 99		183
سورة الأنبياء	21	
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ 18		184
سورة ا ؤمنون		
﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . . . فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ 73 - 75		183
سورة عنكبوت	29	
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ﴾ 47		185 - 50
سورة فاطر	35	
﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ 31		185 - 50
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ 28		185
سور ر	40	
﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ 41		186
﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ 41		186
سورة زخرف	43	
﴿ حمٓ . . . صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾ 1 - 5		188

سورة الجاثية	45	
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ 16 – 17		185 - 50
﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ 29		175
سورة الأحقاف	46	
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ 35		152
سورة الملك	67	
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ 12		180
سورة الجن	72	
﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ 1		189
سورة القيامة	75	
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ 16 – 17		190
السور المدنية التي تناول منها أقل من ١٠ آيات		
سورة المائدة	5	
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ . . . بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ 48		193 - 92
سورة الأنفال	8	
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ ... ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ 21 - 22		193
سورة الرعد	13	
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن . . . وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ 38 – 39		194 - 40
سورة الحج	22	
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ 52		175
سورة النور	24	
﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ . . . وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ 48 – 51		195 - 94
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ 35		195
سورة الحزاب	33	
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ 59 ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ 72 ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ 34		196
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾ 36		196

سورة الحديد	57	
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ 16		110
سورة الحشر	59	
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ 7		109
سورة الجمعة	62	
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ 2		198
سورة المنافقون	63	
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ 8		198

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

متن الحديث	تخـــريجـــــه	الصفحة
. أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره »	أخرجه البخاري ومسلم	63
« أُنزِلَ القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة »	أخرجه الحاكم والنَسَائي والبيهقي	108
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »	أخرجه البخاري ومسلم	158
« لقدِ كان فِيمَا قَبلَكُمْ مِنْ الأمم مُحَدَّثُون فإنَ يَكُ فِي أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ عُمَرُ »	أخرجه البخاري	168
« لا وصيَّةَ لوارثٍ »	أخرجه البخاري	176
« قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل »	مالك والبخاري ومسلم	61
« تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله »	أخرجه الطبراني والبيهقي وكنز العمال	

ـ رس صـــادر والمـــراجـــع

القـــرآن الكـــريم (مصحف المدينة النبوية المنورة للنشر الحاسوبي ؛ برواية حفص عن عاصم .

أوّلاً : المصـــادر

. – الفكر العربي ، محمد أركـــون ، ترجمة عادل العوّا ، منشورات دار عويدات بيروت – باريس ، الطبعة الثالثة 985] م .

: – تاريخية الفكر العربي الإسلامي محمد أركون ترجمة هاشم صالح مركز الإنماء القومي – بيروت ، الطبعة الثاني 996] م .

ا – من فيصل التفرقة إلى فصل المقال - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ محمد أركون ، ترجمة هاشم صا دار الساقي - بيروت ، الطبعة الثاني 995] م .

ا – الإسلام ، أوروبا ، الغرب – رهانات المعنى وإرادات الهيمنة . محمد أركون ، ترجمة هاشم صا دار الساقي - بيروت ، الطبعة الثاني 2001 م .

ا – الفكر الإسلامي – قراءة علمية محمد أر ـ ون ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإتحاد القومي ؛ و المركز الثقافي العربي - بيروت ، الطبعة الثاني 996] م .

ا – نافذة على الإسلام ، محمد أركون ، ترجمة صيّاح الجهيّم ، دار عطية للنشر - بيروت ، الطبعة الأوّلى 996] م .

' – نزعة الإنسنة في الفكر العربي – جيل مسكويه والتوحيدي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صا دار الساقي - بيروت ، الطبعة الأوّلى 997] م .

3 - قضايا في نقد العقل الديني – كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ، محمد أركون ، ترجمة صالح هاشم دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الرابع 2009 م .

ا – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صا دار الساق - بيروت ، الطبعة الأوّلى 999] م .

0 – القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثاني 2005 م .

1 – الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر ، (لا يوجد رقم وتاريخ الطبعة .

2 – نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ، محمد أركون ؛ ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي – بيروت ، الطبعة الأوّلى 2011 م .

3 – من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ؛ محمد أركون ؛ ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي – بيروت ، الطبعة الأوّلى 1991 م .

ثانيا : المـــــراجــع

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية (لا توجد سنة الطبع .

– التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأوّلى 401 هـ 981 م .

– الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الفكر – لبنان ، الطبعة الأوّلى 996 م .

– العقائد الإسلامية – من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ابن باديس ، دار الفتح – الشارقة ، الطبعة الأولى 995 م

– التفسير والمفسرون ؛ محمد حسين الذهبي ، الناشر مكتبة وهبة – القاهرة ، لا يوجد عدد الطبعة والسنة .

– الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ؛ مصطفى كيحل ؛ منشورات الاختلاف – الجزائر ، الطبعة الأولى 432 هـ 2011 م .

– العقل الإسلامي أمام تراث الأنوار في الغرب – الجهود الفلسفية عند محمد أركون ؛ رون هاليير ؛ ترجمة جمال شحيد ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأوّلى 2001 م

– القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير ، محمد كالو ، دار اليمان – سوريا ، الطبعة الأوّلى 430 هـ 2010 م .

– قراءات في مشروع محمد أركون ؛ فارح مسرحي ، أعمال ندوة مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية – جامعة الجزائر 2 ، الطبع 432 هـ 2011 م .

- أسباب النزول ، بسّام الجمل ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، الطبعة الأوّلى 2005 م

1 – أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة طلال وهبة ، المنظمة العربية للترجمة - بيروت ، الطبعة الأولى 2008 م .

2 – ما ـ ح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ، مكي درار ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع – الجزائر ، طبعة خاصة 433 هـ 2012 م .

3 – البنيوية وما بعدها – من ليفي شتراوس إلى دريدا ، جون ستروك ، ترجمة محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة 996 .

4 – ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر – دراسة نقدية إسلامية – ، خالد السيف ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، الطبعة الأوّلى 431 هـ 2011 م

5 – منهجية ا ـ رآن المعرفية – أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية ، محمد أبو القاسم حاج حمد ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأوّلى 424 هـ 2003 م

6 – العالمية الإسلامية الثانية – جدلية الغيب والإنسان والطبيعة ، دار ابن حزم - بيروت ، الطبعة الثاني 996 م .

7 – المختار في ا ـ رُوض والقوافي للسنتين الأولى والثانية الثانويتين ، تأليف مجموعة من الأساتذة ، طبع المعهد التربوي الوطني – الجزائر .

8 – الإتقان في علوم ا ـ رآن ، السيوطي ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية ، (طبعة بدون الترقيم و السنة) .

9 – محاضرات في منهج الدين المقارن ، محمد إبراهيم الفيومي ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى 429 هـ 2009 م .

ثالثا : الرسائل الجامعية

– الخطاب الديني عند محمد أركون – من خلال مشروعه الفكري ، الطاوس غضابنة ، أطروحة دكتوراه ، إشراف الدكتور عبد الحفيظ عصام ، جامعة قسنطينة 2011 .

! – النزعة النقدية في فكر محمد أركون ، عبد الغني بن علي ، رسالة ماجستير ، المشرف الدكتو عبد الرحمن بوقاف ، جامعة الجزائر قسم الفلسفة ، السنة الجامعي 2004 2005 .

رابعاً : المعاجم

- المعجم الم ـ رس لألفاظ ـ رآن ا ـ ريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار الجيل - بيروت ، لا توجد سنة الطبع .

خامساً : الجـــــرائـــد

- الشرق الأوسط ـ ريدة العرب الدولية ، الكاتب غسان الإما ، العدد 1620 ، السنة 2010 م .

سادساً : المـــــواقـــع

- موقع " فونداسيون - أركون . أورغ " التحميل يو 08 06 2013 م .

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

فصل تمهيدي : محمد أركون وتطبيقاته المنهجية

المبحث الأوّل : السيرة الذاتية والعلمية لمحمد أركون 2

أوّلاً : السيرة الذاتية : 3

ثانياً : السيرة العلمية : 9

المبحث الثاني : مناهج النقد عند أركون ومصطلحاته 14

أوّلاً : مناهج النقد عند أركون : 14

ثانياً : مصطلحاته : 40

الفصل الأوّل : القراءة الحداثية للسور المنتقاة

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور المكية 58

أوّلاً : سورة الفاتحة : 58

ثانياً : سورة الكهف : 89

ثالثاً : سورة العلق : 104

رابعاً : سورة العصر : 115

خامساً : سورة الإخلاص : 118

المبحث الثاني : القراءة الحداثية للسور المدنية 122

أوّلاً : سورة التوبة : 122

ثانياً : سورة الحجرات : 139

الفصل الثاني : القراءة الحداثية للآيات المنتقاة

المبحث الأوّل : القراءة الحداثية للسور التي تناول منها سبع آيات فما فوق 144

أوّلاً : القراءة الحداثية للآيات المكية : 144

1 : آيات سورة الإسراء : 144

2 : آيات سورة الفرقان : 147

3 : آيات سورة الشعراء : 149

ـا : آيات سورة الشورى : 152
ـ : آيات سورة النجم : 154
ـ : آيات سورة المدثر : 155
ثاني : القراءة الحداثية للآيات دي ة 157
. – آيات سورة البقرة : 157
2 – آيات سورة آل عمران : 161
3 – آيات سورة النساء : 164
المبحث ثاني : القراءة الحداثية للسور التي تناول منها أقل من سبع آيات 179
أوّلاً : القراءة الحداثية للآيات المكية 179
. – آيات سورة الأنعام ويونس والملك : 179
2 – آيات سورة هود : 180
3 – آيات سورة يوسف : 181
4 – آيات سورة إبراهيم : 182
5 – آيات سورة النحل : 183
6 – آيات سور طه : 185
7 – آيات سور الأنبياء : 185
8 – آيات سور المؤمنون : 186
9 – آيات سور العنكبوت والجاثية وفاطر : 187
10 – آيات سور فاطر : 187
11 – آيات سور غافر : 188
12 – آيات سور الزخرف : 189
13 – آيات سور الجن : 190
14 – آيات سور القيامة : 191
ثاني : القراءة الحداثية للآيات د ية 193
. – آيات سورة المائدة : 193
2 – آيات سور الأنفال : 194

ﻫ - آيات سور الرعد : 195
ﻭ - آيات سور النور : 195
ﺯ - آيات سور الأحزاب : 197
ﺡ - آيات سورتي الجمعة والمنافقون : 198
خـــاتـــمـــــــة 200
الفهارس 205
فهرس السور والآيات : 206
فهرس الأحاديث : 211
فهرس الموضوعات : 216

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث باللغة العربية

تناول هذا البحث – بالتحليل والنقد – آراء المفكر محمد أركون في التفسير من خلال قراءته الحداثية للقرآن الكريم ، واقتضت هذه الدراسة تقسيم البحث إلى مقدمة ؛ وفصل تمهيدي ، وفصلين ، وخاتمة .

أمّا الفصل التمهيدي : فيتضمن مبحثاً أوّلاً : تعرضت فيه للسيرة الذاتية والعلمية لمحمد أركون ، ذكرت فيه نشأة أركون ، وحياته البائسة في ظل الاحتلال الفرنسي لبلاده الجزائر ، ثم سيرته العلمية ، مؤلفاته العديدة ونشاطاته الفكرية من خلال الندوات والملتقيات ، واشتغاله أستاذاً زائراً في العديد من جامعات العالم . ثم مبحثاً ثانياً : يتضمن المناهج النقدية والمصطلحات التي أعتمدها في قراءته للقرآن الكريم . وخَلَصت إلى أنه اعتمد في قراءته على ثلاثة مناهج رئيسية ؛ وهي : المنهج الألسني ، المنهج التاريخي ، المنهج الأنتربولوجي ؛ وبعدها قمت بشرح لأهم مصطلحاته .

وفي الفصل الأوّل : القراءة الحداثية للسور المنتقاة ويتضمن مبحثان ؛ المبحث الأول : وفيه أتطرق إلى القراءة الحداثية للسور المكية ؛ وهي مرتبة حسب ترتيب المصحف الشريف ، الفاتحة ، الكهف ، العلق ، العصر الإخلاص . أما المبحث الثاني : فيتناول القراءة الحداثية للسور المدنية . وهي : سورة التوبة ؛ والحجرات . وفي الفصل الثاني : القراءة الحداثية للآيات المنتقاة ويتضمن مبحثان ، المبحث الأول : وفيه أتطرق إلى القراءة الحداثية للسور التي تناول منها سبع (٧) آيات فما أكثر .

أوّلاً : آيات السور المكية : الإسراء ، الفرقان ، الشعراء ، الشورى ، النجم .

وثانياً : آيات السور المدنية : البقرة ، آل عمران ، النساء .

أما المبحث الثاني : فيتناول القراءة الحداثية للسور التي تناول منها أقل من سبع (٧) آيات .

أوّلاً : آيات السور المكية : الأنعام ؛ يونس ، هود ؛ يوسف ، إبراهيم ، النحل طه ، الأنبياء ، المؤمنون ، العنكبوت ، فاطر ، غافر ، الزخرف ، الجاثية ؛ الأحقاف ، الملك ، الجن ، القيامة .

وثانياً : آيات السور المدنية : المائدة ، الأنفال ، الرعد ، الحج ، النور ؛ الأحزاب ، الفتح ، الحديد ؛ الحشر الجمعة ، المنافقون .

وخاتمة ضمنت فيها أهم النتائج المتوصل إليها مع توصيات .

ملخص البحث باللغة الفرنسية

RESUME DE L'EXPOSE.

Le présent exposé a traité analytiquement et satirement les opinions du penseur Mohammed Arkon en l'explication à travers sa Rénovée lecture du Sacré Coran et cette étude a nécessité la division de l'exposé à une introduction, chapitre introductif, deux autres chapitres et une conclusion.

Quant au chapitre introductif : Il comporte un premier thème : où il a traité le curriculum vitae de soi- même ainsi que sa conduite scientifique où la naissance d'Arkon a été détaillées ainsi que sa misérable vie menée sous le joug colonial de la nation algérienne, puis sa conduite scientifique, ses plusieurs ouvrages ainsi que ses activités culturelles à travers les conférences et meetings et son occupation du poste de professeur visiteur en plusieurs universités mondiales. Puis un deuxième thème : qui comporte les méthodes satiriques et les terminologies dont il s'est référées en sa lecture du Sacré Coran et ce thème a conclue qu'il s'est appuyé en sa lecture sur trois principales méthodes, savoir, Méthode sémantique, méthode historique et enfin la méthode anthropologique puis il a expliqué ses essentiels terminologie et au premier chapitre : La rénovée lecture des choisies sourate et il comporte des thèmes, au premier thème il a étudié la rénovée lecture des Mecquoises Sourate qui sont classées suivant la classification du Saint Livre Coran, Fatiha', El- Kahf, El- Allak, El- Asser, El- Ikhlas, tandis que le deuxième, il traite la rénovée lecture des Médinoises Sourate, savoir : Sourate Et- Touba, El-Houdjourate. Et en le deuxième thème : La rénovée lecture des choisis versets qui comporte deux thème, le premier thème où il a étudié la rénovée lecture des sourate où il a traité sept (7) versets et plus.
Premièrement : Les versets des Mecquoises Sourate : El- Israâ, El- Fourkane, Ech-Chouaraâ, Ech- Choura, En- Nedjm , El- modater .
Deuxièmement : Les versets des Médinoises Sourate : El- Bagara, El- Omrane, En-Nissaâ.

Tandis qu'au deuxième thème, il traite la lecture rénovée des sourate où il a étudié moins de sept (7) versets.
Premièrement : Les Versets des Mecquoises Sourate, El- An- Ame, Younes, Houd, Youcef, Ibrahim, En- Nahl, Taha, El- Enbia', El- Mouminoun, El- Ankabout, Fater, Ghafer, Ez- Zoukhrof, El- Djathia, El- hekaf , El- Moulk, El- Djin, El-Kiama.
Et deuxièmement : Les versets des Médinoises Sourate : El- Maïda, El- Anfel, Er-Raâd, En- Nour, El- Ahzeb, El- fAteh, El- hAdid, El- hAcher, El- Djoumouâ, El-Mounafikoun.

Et une conclusion résumant les importants déduits résultats avec des recommandations.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

This research dealt - by analysis and criticism - with Muhammad Arkoun's viewpoints in interpretation through his modernist reading of the Holy Quran and this study required for the research to be devided into introduction , introductry chapter , two chapters and a conclusion.

The Introductory Chapter : Includes The First Topic where I exposed Muhammad Arkoun's personal and the sientific biography by reporting his upbringing and his miserable life under the shadow of the French occupation to his country,Algeria , then his scientific biography , his numerous publications and intellectual activities through forums and seminars, and his work as visiting professor at many universities over the world. Then The Second Topic , which includes the critical approaches and the terminology adopted by Muhammed Arkoun in reading of the Holy Quran. Thus, I concluded that his reading is based on three principal approaches : Linguistic approache, Historical approache and Anthropological approache, after that I elucidated his most important terminology.

In The First Chapter we find the modernist reading of the selected Quranic Surahs , and it includes two topics.. In the First Topic , deals with the modernist reading of the Makki Surahs arranged as in the arrangement of the Holy Quran (Al-Fatiha , Al-Kahf , Al-Alaq , Al-Asr, Al-Ikhlas). In the Second Topic, I treated the modernist reading of the selected Madani Surahs (Al-Tawbah , al-Hujurat).

In The second Chapter we find the modernist reading of the selected Ayat and it includes two topics .. The First Topic deals with the modernist reading of the Surahs which he treated in seven (7) Ayat or more .

- Firstly , Ayat of Makki Surahs : Al-Isr'a , Al-Forqan , Al-Shuar'a , Al-Shura , Al-Najm .

- Secondly, Ayat of Madani Surahs : Al-Baqarah , Al Imran , al-Nisa'a .

The Second Topic deals with the modernist reading of the Surahs which he treated in seven (7) Ayat or less .

- Firstly, Ayat of Makki Surahs : Al-An'am , Yunes , Houd , Yusuf , Ibrahim , An-Nahl , Ta-Ha , Al-Anbya'a , Al-Muminoon , Al-Ankabut , Fatir , Ghafir , Az-Zukhruf , Al-Jathiya , Al-Ahqakh , Al-Mulk , Al-Jinn , Al-Qiyamah .

- Secondly, Ayat of Madani Surahs : Al-Ma'ida , Al-Anfal , Ar-Ra'd , Al-Hajj , An-Nour , Al-Ahzab , Al-Fath , Al-Hadid , Al-Hashr , Al-Jumu'aa , Al-Munafiqoun .

Then , a conclusion includes the important results I reached with recommendations .